كلية الدراسات العليا
برنامج التاريخ العربي الإسلامي

رسالة ماجستير بعنوان
سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية

(1908 -1909)

TWO DECISIVE YEARS IN THE RULE OF THE OTTOMAN EMPIRE

(1908 - 1909)

ابتسام أبو ميزر

إشراف
الدكتور سليم تماري

بير زيت - فلسطين

2017 م

كلية الدراسات العليا
برنامج التاريخ العربي الإسلامي

رسالة ماجستير بعنوان

"سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية"

(1908 -1909)

TWO DECISIVE YEARS IN THE RULE OF THE OTTOMAN EMPIRE

(1908 - 1909)

ابتسام أبو ميزر

تموز 2017

لجنة الإشراف والمناقشة

د.سليم تماري (رئيسا) _____

د.نظمي الجعبة (عضوا)_____

د.عامر بركات (عضوا)_____

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا في جامعة بير زيت – فلسطين.

2017

"سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية"

(1908 -1909)

TWO DECISIVE YEARS IN THE RULE OF THE OTTOMAN EMPIRE

(1908 - 1909)

ابتسام أبو ميزر

تموز 2017

لجنة الإشراف والمناقشة

د.سليم تماري (رئيسا)

د.نظمي الجعبة (عضوا)

د.عامر بركات (عضوا)

"قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا في جامعة بير زيت – فلسطين".

الإهداء

إلى أسرتي الغالية الكريمة التي كانت عونا لي على أداء

واجبي خلال مسيرتي التعليمية

إلى مرابطي المسجد الأقصى ومرابطاته

واعترافا لذوي الفضل بفضلهم

إلى من ساعدني في دراستي وكانوا لي عونا وسندا وشاركوني همومي ...

صديقاتي وزملائي

إنعام الخضور داغر، وماجدة دانيال، وسميرة الدجاني، ومنتهى سلامة، وعيسى قديس.

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساندني في إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى النور وأخص بالذكر

الدكتور سليم تماري الذي تفضل بالإشراف على الرسالة

كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة، الدكتور نظمي الجعبة والدكتور عامر بركات لقبولهم نقاش هذا العمل.

الأستاذ جمال الباشا لمساعدتي بتدقيق الرسالة لغويا

أخي هيثم وابن أخي عبد الحميد أبو ميزر لمساعدتي في الترجمة

وأتقدم بالعرفان والامتنان إلى مكتبة جامعة بير زيت، وأخص بالذكر:

إيمان جريس، وعمر الزبن.

ومكتبة بلدية البيرة الأستاذ عامر عوض الله

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	د
الشكر والتقدير	هـ
المحتويات	و
ملخص الدراسة	ط
Abstract	ي
المقدمة	ل
الإشكالية وأسئلة الدراسة	م
الفصل الأول: أوضاع الدولة العثمانية قبل الإنقلاب	1
1- وصول عبد الحميد الثاني إلى الحكم	2
2- مؤتمر التَرَسخَانة وإعلان الدستور	5
3- الحرب العثمانية – الروسية وحل البرلمان	8
4- مؤامرة سعاوي أفندي وحادثة جراغان	10
5- الجاسوسية في الدولة العثمانية (الخِفية) وحكم المابين	12
6- السلطان عبد الحميد الثاني والعرب	15
خاتمة الفصل الأول	17
الفصل الثاني: الانقلاب الدستوري 1908	18
1- الجمعيات والحركات العربية التي ناهضت السلطان عبد الحميد الثاني	20
- الرواد الأوائل واليقظة العربية	21

- النزعة الانفصالية في سورية 23
2- نشأة حركة تركيا الفتاة وتأسيس جمعية الاتحاد والترقي 26
- مؤامرة الانقلاب سنة 1896 35
- المؤتمر الأول عام 1902 واتساع الخلاف 38
- الحراك السياسي والحزبي والعسكري سنة 1906 41
- أوضاع الدولة العثمانية قبيل الانقلاب 50
- الحكومة الجديدة في الاستانه ونشاطها 68
خاتمة الفصل الثاني 70

الفصل الثالث: الانقلاب المضاد وعزل السلطان عبد الحميد 1909 71
1- تشكيل الأحزاب بعد انقلاب 1908 72
2- المعارضون لجمعية الاتحاد والترقي 75
3- اندلاع الفتنة وكيفية إخمادها 78
أ- حادثة 13 نيسان 1909 (الفتنة الارتجاعية)
ب- الإنقلاب المضاد 85
ت- موقف الضباط المؤيدين للسلطان عبد الحميد من الانقلاب المضاد 86
ث- خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909 91
خاتمة الفصل الثالث 99

الفصل الرابع: التغيرات التي أحدثها هاذين الانقلابين 1908- 1909 100
1- بوادر الخلاف بين العرب والترك 101
- القومية التركية – الطورانية
- الحركة العربية بعد انقلاب 1908 104

دور الجمعيات الأدبية والعلمية والسياسية

2- العرب والأتراك وفكرة العثمنة Ottomanism 111

- ردة فعل العرب (الأدباء والمفكرين) المباشر على ثورة تركيا الفتاة 114

3- الاتحاديون والصهيونية 119

نشاط الصهيونيين ونشاط العرب

- مظاهر الوعي العربي تجاه الصهيونية وسياساتها في فلسطين 124

أشكال الاحتجاج العربي ضد الصهيونية

الاستنتاجات 132

قائمة المصادر والمراجع 142

الملاحق 148

ملخص الدراسة

مرت الإمبراطورية العثمانية خلال السنتين المفصليتين 1908- 1909، في مرحلة تميزت بالتحول والتغير. فقد جاءت الأحداث متسارعة ومتلاحقة لتزيدها ضعفا على ضعف، ولتضعها أمام مخاطر كبيرة، عجزت معها مؤسساتها السياسية والعسكرية والاقتصادية عن أن تواجهها، مما دفع بالدولة إلى السير نحو التفكك والانهيار، ومن ثم الانكفاء عن مساحات كبيرة من أراضيها.

لعبت جمعية الاتحاد والترقي دوراً سياسيا لم يتسن لحركة أخرى في تاريخ الشرق الأوسط كله، بدوله كافة أن تلعبه. واستطاعت تغيير معالم هذا الشرق تغييراً جغرافياً سياسياً عميقاً. حيث فجرت هذه الجمعية انقلابي 1908و 1909، في العاصمة العثمانية اسطنبول، وفتحت الأبواب أمام سلسلة من التصدعات والزلازل السياسية امتدت آثارها على عموم المنطقة، وخصوصاً العالم العربي. وهي التي قادت سياسة التتريك الطورانية العنصرية، وبلورت معالم النزعة القومية التركية المتأوربة، والمعادية للإسلام، ومن عباءتها خرجت عشرات الأحزاب القومية التركية، والعربية، والألبانية، والكردية... الخ. وكان انهيار الدولة العثمانية النهائي قد تم أيضاً بتأثير من أفكارها وسياستها وجهود رجالها.

كما يعد الانقلاب المضاد لعام 1909، نقطة تحول مهمة وخطيرة في تاريخ الدولة العثمانية، والتي خطط لها رجال جمعية الاتحاد والترقي؛ من أجل خلع السلطان عبد الحميد الثاني. تلك الخطة التي قامت على أساس اصطناع أو خلق قوى معارضة لجمعية الاتحاد والترقي والتي ستكون المعارضة أداتها في إثارة هذه الفتنة، مع حرصهم الشديد على عدم معرفة تلك المعارضة لتلك الخطة.

وانتصر أعداء السلطان عبد الحميد عليه، ونفذوا خطتهم بوساطة جمعية الاتحاد والترقي؛ لأجل خلع السلطان عبد الحميد، وهدم وتقسيم أملاك الإمبراطورية العثمانية.

Abstract

The Ottoman Empire passed through the two crucial years 1908-1909 a phase of transformation and change. Events have accelerated and continued to make it weaker and more vulnerable and put it at a great risk thatits political, military, and economic institutions were unable to face which led the state to move towards disintegration and collapse and then retreat from large areas of its territories.

The Committee of Union and Progress played a political role that no other political movement in the history of the Middle East in any country has played, and it was able to change the features of the east a profound geopolitical change, whereas this assembly blew up a coup in the ottoman capital Istanbul in 1908 and 1909 and opened the doors to a series of political rifts that spread throughout the region, especially in the Arab world and it let the policy of Turkic radicalization and clarify the Turkish nationalism anti-Islam features, and from its cloak tens of Turkish, Arab, Albanian, and other Mideast parties have emerged. The collapse of the Ottoman Empire was influenced by its ideas, policies, and the efforts of its men.

The 1909 coup is also considered a turning point in the history of the Ottoman empire which the men of CUP planned in order to overthrow the sultan Abdel-hamit II.

The plan was based on the creation of opposed forces to CUP which the opposition will be its tools of sedition, with their keenness to not let that opposition know this plan.

The enemies of Abdel-Hamid defeated him and carried out their plan through CUP to overthrow him and to destroy and divide the Ottoman Empire.

المقدمة

وصل السلطان عبد الحميد الثاني إلى الحكم سنة 1876،[1] في لحظة حاسمة وحافلة بالأحداث، وذلك بعد أن تم خلع سلطانين، وهما السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس[2] وقد تزامن ذلك مع وضع دستور ونظام برلماني[3] وفقاً للأنظمة المعمول بها في أوروبا.[4] وذلك في بداية عهده.

إلا أن السلطان عبد الحميد ما لبث أن استغل ظروف الحرب مع روسيا وحل البرلمان في 13 شباط 1878،[5] وأمر بتعطيل مجلس "المبعوثان"، وعلق العمل بالدستور، واتبع سياسة حكم الفرد الواحد المطلق الذي استمر أكثر من ثلاثين عاما. لذلك وصف السلطان بالاستبدادي. ومنذ أن تم تعليق العمل بالدستور أصبح الهدف الرئيسي لكل برامج جمعيات الاصطلاحيين هو المطالبة بإعادة العمل بالدستور.[6]

وقام عدد من تلاميذ مدرسة الطب العسكري في اسطنبول سنة 1889، بتشكيل النواة الأولى لجمعية الاتحاد والترقي، ثم توسعت وانضم إليها أعضاء من طلاب الأكاديمية البحرية والعسكرية والمدفعية والمهندسين ومدرسة الطب البيطري[7].

وفي سنة 1906، انتشرت المعارضة وتغلغلت بين ضباط الجيش، الذين قاموا بإعلان الانقلاب في تموز 1908.[8] فأعاد السلطان عبد الحميد العمل بالدستور، وفجأة شب تمرد في 13 نيسان 1909، ثارت فيه كتائب حامية اسطنبول، والمعارضون لسياسة جمعية الاتحاد والترقي، وقامت مجموعة من ضباط جمعية الاتحاد والترقي بانقلاب مضاد، فخلعوا السلطان عبد الحميد

---

[1] عادل مناع. **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.ص 199.
[2] سليمان البستاني. **عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده.** تحقيق: خالد زيادة. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع،ط1، 2011. ص24.
[3] عادل مناع. **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918**. ص 199
[4] سليمان البستاني. **عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده.** ص.8
[5] عادل مناع. **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918**. ص 203
[6] سليمان البستاني. **عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده.** ص.24
[7] كريم طلال الركابي. **"ثورة الاتحاديين في تركيا 1908". مجلة كلية التربية الأساسية** ، ع، 49، 2006. ص 144 – 145

[8] عادل مناع. **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918**. ص240.

الثاني في 27 نيسان 1909، ونفوه إلى سلانيك، ونصبوا أخاه الأمير محمد رشاد سلطانا بدلا منه[9]. وكان هذا إيذاناً ببداية فصل جديد أو أخير في تاريخ الإمبراطورية العثمانية.

الإشكالية وأسئلة الدراسة:

تعالج هذه الأطروحة طبيعة الإطاحة بنظام السلطان عبد الحميد الثاني، والانقلاب الدستوري والانقلاب المضاد، اللذين حدثا خلال السنتين المفصليتين 1908- 1909. فقد شكل الإصلاحِيّون الأحرار وغيرهم من العناصر الانقلابية والانفصالية والمتآمرة جبهة معارضة ومناوئة للسلطان في الداخل والخارج، مما يدفع للتساؤلات الآتية:

هل كان حكم السلطان عبد الحميد الثاني الاستبدادي سببا في الانقلاب عليه؟

وهل كانت المعارضة القومية والعقائدية مدفوعة بأفكار إصلاحية ضد نظام السلطان عبد الحميد؟ أم أنها كانت مدفوعة بأطماع الدول الغربية؟ وخصوصا بريطانيا -في تقسيم أملاك الإمبراطورية العثمانية وإنهاء وجودها؟

وهل كانت معارضة السلطان عبد الحميد في بيع فلسطين للصهيونية سببا في تأييد يهود الدونمة والصهيونيين في الانقلاب على السلطان وخلعه؟ وما هو دور الحركة الماسونية في ذلك؟

تفترض الدراسة أن هدف جمعية الاتحاد والترقي والجمعيات المعارضة الأخرى المناوئة للسلطان، والتي كانت تضم فئات من جميع العناصر والقوميات العثمانية، هو إسقاط حكم السلطان عبد الحميد وبشتى الوسائل، وإعادة النظام الدستوري. وأن الجمعية كانت تحظى بدعم بعض الدول الأوروبية والماسونية العالمية، التي كانت تهدف إلى التخلص من الإمبراطورية العثمانية وبأي ثمن، لاسيما بريطانيا وروسيا وفرنسا، الذين خططوا لإسقاط وتجزئة الإمبراطورية العثمانية، واقتسام ممتلكاتها، لذا دعموا واستغلوا ومولوا ونفذوا مخططاتهم باستخدام جمعيات سرية وعلنية، وقدموا لهم الرعاية والحماية والتسهيلات اللازمة لاجتماعاتهم ولإصدار الصحف

[9] جورج انطونيوس. **يقظة العرب**. تاريخ حركة العرب القومية. ص 180.

المناهضة للسلطان عبد الحميد الثاني في عواصم الدول الأوروبية. بالإضافة إلى الصهيونية واليهود الذين ساوموا السلطان عبد الحميد على تسديد ديون الدولة مقابل تنازله عن أرض فلسطين، فرفض فتآمروا جميعهم عليه وعلى الإمبراطورية وقسموا ممتلكاتها.

كما تفترض الدراسة أن جمعية الاتحاد والترقي هي التي دبرت فتنة 13 نيسان 1909، بدعم ومساندة أيضا من الدول الأوروبية ويهود الدونمة ، من أجل تحميل السلطان عبد الحميد مسؤولية هذه الفتنة ومن ثم خلعه وإنهاء حكمه.

وتكمن **أهمية الدراسة** في المحاور الآتية:

المحور الأول: الدافع الذاتي، والمتمثل في محاولة دراسة الأوضاع التي أدت إلى حدوث أحداث السنتين المفصليتين 1908 و 1909، أي فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني وهي فترة هامة وحاسمة في تاريخ الدولة العثمانية، إذ إنها شهدت وصول السلطان عبد الحميد إلى العرش وإعلان الدستور 1876، ثم تعليق الدستور، ثم الانقلاب الدستوري 1908، ثم الفتنة والتمرد في 13 نيسان والانقلاب المضاد وخلع السلطان عبد الحميد 1909، حيث لا يزال موضوع خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909، من المواضيع التي تشجع الباحثين على المزيد من البحث لمعرفة المزيد من المعلومات، لاسيما وأن هناك تضارباً فيما يذكره أصحاب المصادر والمراجع التي تجعل الباحث في حيرة من أمره، فبعض الكتب تذكر أن السلطان هو المحرض على القيام بالتمرد والفتنة 13 نيسان 1909، وأنه كان يريد إلغاء الدستور واستعادة الحكم، والبعض الآخر يذكر أن التمرد والانقلاب المضاد 1909، كان من ورائه رجال جمعية الاتحاد والترقي أنفسهم، وهذا هو سر الصعوبة في البحث التاريخي، إضافة إلى دراسة الظروف السياسية والدولية المحيطة بالسلطان عبد الحميد داخلياً وخارجياً، وبالذات علاقته مع جمعية الاتحاد والترقي.

المحور الثاني: دراسة الأحداث السياسية في الإمبراطورية في المدة الزمنية، من العام (1906 – 1913م)، مع التركيز على السنتين المفصليتين (1908- 1909)، وما شهدته هذه الفترة الدستورية الثانية، فقد شهدت سلسلة غير اعتيادية من التحولات الاجتماعية والسياسية. حيث إن ما هو معروف عن الفترة الدستورية الثانية أقل مما هو معروف عن الفترات الأبكر من التاريخ العثماني. فقد وصلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم عقب قيامها بالانقلاب الدستوري 1908، والانقلاب المضاد وخلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909.

وأخيرا، شهدت هذه الفترة نمو الوعي القومي التركي والعربي. فقد اتبع الاتحاديون خطة جديدة في الحكم، تمثلت في فرض المركزية الإدارية، معتقدين بذلك أنهم يتمكنون من إصلاح أحوال الإمبراطورية العثمانية وإعادة تماسكها وقوتها. فأخذ هذا الوعي القومي يتضح بجلاء بعد استيلاء الاتحاديين على الحكم واتباعهم سياسة التتريك، والعمل على هيمنة وسيادة العنصر التركي على حساب العناصر العثمانية الأخرى، مما أدى إلى نشوب الخلاف بين الأتراك والعرب والأرمن. واتخذ هذا الخلاف أشكالا متعددة، وتركز حول أمور أساسية مثل اللغة العربية بشكل خاص، والجيش وانتخابات البرلمان والوظائف .

ولدراسة هذه الأحداث ستعتمد الدراسة على العديد من **المناهج** منها: استخدام المنهج التاريخي التحليلي القائم على تحليل السياسات والمواقف التي اتخذها السلطان عبد الحميد تجاه رعايا الإمبراطورية والدول الغربية والصهيونية في الإمبراطورية. كذلك تحليل سياسات تركيا الفتاة، والانقلاب الذي قامت به جمعية الاتحاد والترقي، والانقلاب المضاد وخلع السلطان، أي أحداث السنتين المفصليتين 1908 و 1909.

بالإضافة إلى استخدام المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث؛ وذلك لرسم صورة الأوضاع، ووصف التطورات والأحداث التي حصلت وأدت إلى القيام بالانقلاب الدستوري 1908، ووصف مشاعر الفرح والسرور التي انتابت الجماهير لنجاح هذا الانقلاب، ووصف أسباب وتطورات وأحداث الانقلاب المضاد 1909، ووصف الطريقة التي تم بها إبلاغ السلطان بخلعه عن العرش ونفيه إلى سالونيك.

كذلك استخدام المنهج التاريخي المقارن؛ وذلك لعمل مقارنة ما بين حكم السلطان عبد الحميد وتعامله السياسي مع رعايا الإمبراطورية العثمانية، ومع الصهيونية والدول الأجنبية، وحكم جمعية الاتحاد والترقي.

مراجعة أدبيات الدراسة:

ستعتمد الدراسة على مجمل الأدبيات والدراسات التاريخية والمصادر الأولية والثانوية العربية والأجنبية المترجمة التي تتناول الحديث عن أحداث السنتين المفصليتين (1908- 1909)، وفي هذا العرض ملخص حول الكتب التي تعالج الفترة والتي نتطرق إليها مثل:

بطرس أبو منه، الذي كتب عن ردود فعل العرب العثمانيين تجاه ثورة تركيا الفتاة، حيث كتب الفصل الثامن باللغة الانجليزية في الكتاب:

Butrus Abu- Manne. **Arab- Ottomanists' Reactions To The Young Turk Revolution.** Article in Late Ottoman Palestine: The Period of Young Turk Rulr. Ben-Bassat, Yuval and Eyal Ginio. (London: Library of Ottoman Studied) , Publishers, 2011

فقد تناول بطرس أبو منّه في هذا الفصل الحديث عن وجهة نظر المثقفين العرب، ومنهم الفلسطينيون الذين كانوا ممتعضين جدا من استبداد السلطان عبد الحميد الثاني وسياساته (1876-1909) وأيدوا الثورة واستعادة العمل بالدستور، وعلقوا آمالاً عالية على الحكومة الجديدة في اسطنبول، والتي قادتها لجنة من جمعية الاتحاد والترقي، هؤلاء المثقفون رحبوا بحكم جمعية الاتحاد والترقي، وكانوا مؤمنين جداً باستمرارية الإمبراطورية العثمانية وأفكارها. فقد تناول فيه أراء المفكرين الذين عاصروا الدولة وكانوا شهود عيان، من بينهم ثلاثة فلسطينيين هم: سليم قبعين وروحي الخالدي والشيخ عبد الله العلمي، فقد كتبوا كتيبات أو مقالات طويلة في الثناء على الدستور والحرية التي ظهرت خلال شهور من الانقلاب الدستوري 1908، وأول ما ظهر كان كتيباً قصيراً يُدعى "الدستور والأحرار" الذي كتبه "العثماني الحر" وهو الوصف الذي وصف به سليم قبعين نفسه، هذا الكتيب الذي يتكون من أربع وستين صفحة تم نشره في القاهرة في أب 1908 بعد شهر تقريباً من الثورة.

وكتب روحي الخالدي المقدسي مقالا طويلا ظهر في صحيفتي المنار والهلال في القاهرة 1908، تحت عنوان (أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة) في صحيفة المنار. وكتاب آخر كتبه عبد الله العلمي الغزاوي وأسماه (أعظم تذكار للعثمانيين الأحرار أو الحرية والمساواة من تعاليم القرآن)، ونشر في بيروت في نهاية 1908.

وكتب سليمان البستاني من لبنان كتابا أسماه (عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده) ونُشر في 1908، في القاهرة أيضاً. والنموذج الخامس كتاب (غاية الأماني في الدستور العثماني) كتبه صحفي يُدعى عبد المسيح الأنطاكي من حلب ونشر في القاهرة.

إن نظرة هؤلاء المثقفين العرب الكبار وإيمانهم وكتاباتهم كانت مؤيدة وداعية للعثمنة والدستور. من وجهة نظرهم، وإن تطبيق هذه الأفكار سيؤدي إلى توحد الرعايا العثمانيين ضمن مجتمع سياسي من المواطنين الذين يتمتعون بحقوق وواجبات متساوية. وإن تطوراً كهذا سيعطي الإمبراطورية دفعة جديدة للحياة والقوة اللازمة لمواجهة التهديدات الخارجية والتحديات الداخلية. هؤلاء الكتاب جميعهم عثمانيون بمعنى أنهم آمنوا بضرورة استمرار وجود الإمبراطورية العثمانية، وبالمساواة بين جميع المواطنين، وبالتعاون بين جميع المجموعات العرقية التي تسكن الإمبراطورية بإدارة شؤون الدولة. ورأى هؤلاء أن ما قوض التعاون، وبالتالي فكرة العثمنة، كان صعود الاستبداد والاضطهاد خلال العصر الحميدي. إلا أن روحي الخالدي وسليمان البستاني حملا المَابين (الديوان السلطاني) المسؤولية عن الاستبداد، ولم يحملا المسؤولية للسلطان عبد الحميد.

أما بطرس أبو منّه فقد انتقد المؤرخين العرب الذين ناقشوا ردة فعل العرب لسياسات تركيا الفتاة كجورج أنطونيوس وزين زين؛ لأنهم لم يشيروا إلى أي من هذه المنشورات رغم حقيقة أنهم أظهروا الموقف الفوري للعديد من العرب نحو الثورة ونهاية نظام الاستبداد.

أما عن موضوع تركيا الفتاة والاتحاد والترقي فقد استخدمت كتاب المؤرخ الأمريكي أرنست رامزور: وهو **"تركيا الفتاة وثورة 1908"**، ترجمة: صالح أحمد العلي. تقديم ومراجعة: نقولا زيادة. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1960.

"The Young Turks Prelude to the Revolution of 1908"

واعتمد الكاتب في معالجته، بالدرجة الأولى، على المصادر الأوربية، ولم يلجأ إلى صحف الاتحاديين وأوراقهم الخاصة، على الرغم من الإمكانات المتاحة أمامه، فكان كتابه تعبيرا جيدا عن وجهة النظر الأوربية حيال تلك المرحلة التاريخية. كما شرح ارنست في كتابه تكوين حركة تركيا الفتاة عام 1889م، وجهودها السرية والعلنية داخل الإمبراطورية العثمانية وخارجها، واتصال زعمائها بالسياسيين الأوروبيين، وزعماء المحافل الماسونية والحركة الصهونية وهو من المؤلفات الهامة في تاريخ حركة تركيا الفتاة وثورة 1908م، فقد أخذ المؤلف معلوماته من أهم المصادر

المعاصرة للأحداث، ومن أشخاص معاصرين لعبوا دورا هاما في ثورة 1908م، منهم جامي بيكرت، وفضالي تونغ ورحمي بك وعمر فوزي ماردين وإبراهيم تيم ورضا توفيق وغيرهم.

أما كتاب "العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914"، فهو رسالة ماجستير نال بها توفيق علي برو شهادة الماجستير. وصدر ككتاب في القاهرة سنة 1960. وموضوع الكتاب العلاقة بين العرب والترك في فترة الحكم البرلماني من التاريخ الحديث – أي منذ إعلان الحكم الدستوري في 1908م إلى قيام الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918). فقد قام توفيق برو بدراسة العلاقة بين الترك والعرب دراسة تفصيل وتمحيص لجوانبها المختلفة، سواء في ذلك ما يتعلق بها في دوائر الحكم والهيئات التشريعية، وما نشر في الصحف وغيرها من أدوات التغير العام. أي بحث العلاقات العربية – التركية بشكلها الجامع، متطرقاً إلى جميع الأقطار العربية الواقعة ضمن أراضي السلطنة العثمانية. لكن يؤخذ عليه الإطالة وتكرار ذكر الأحداث.

أما كتاب عادل مناع. "فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)". **الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت: 1999.** فقد عالج التاريخ السياسي مع الإشارة إلى أبرز التطورات الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين أواخر العهد العثماني، حيث تحدث عن الانقلاب السياسي الذي فرضه الشبان الأتراك، وأنه لم يكن إلا الخطوة الأولى التي أدت، في نهاية الأمر، إلى انقلاب مضاد أطاح بحكم السلطان عبد الحميد الثاني، والى قيام ديكتاتورية عسكرية قادت الدولة إلى الاشتراك في الحرب العالمية. إلا أن أحداث الكتاب كانت متناقضة في بعض الأحيان ويوجد تداخل في المعلومات.

هذا وقد شكلت الكتب والمذكرات عماد الرسالة، وكانت المصادر العربية والتركية المترجمة جزءاً أساسياً في الرسالة، ومن المذكرات باللغة التركية المترجمة التي اعتمدت عليها:

مذكرات مصطفى طوران، "أسرار الانقلاب العثماني".ترجمة: كمال خوجه. صدرت في القاهرة، عن دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1985.والذي كان شاهد عيان على المأساة التي بدأت في ثكنة (طاش قشلة) العسكرية وثكنة المدفعية في بك أوغلي، وعلى قتل الجنود العثمانيين بطريقة وحشية. ووصف الأحداث بدقة من بداية تجمع الجنود لتلاوة إرادة سلطانية مزيفة التي تنص على إبدال لبس الطربوش بالقبعة، إلى القيام بالتظاهرات والاحتجاجات والنزول إلى

الشارع وعمليات قتل الاتحاديين والمجرمين للجنود العثمانيين في 13 نيسان 1909، في حادثة عرفت بالتاريخ التركي بـ "31 مارت".

ومن المصادر أيضا **"مذكراتي السياسية 1891– 1908".** للسلطان عبد الحميد الصادرة في بيروت 1982. وفيه يبرر السلطان ويحلل سياساته وطريقة معالجته لمعظم الأمور والإشكاليات التي حصلت في عهده، والأسباب التي دفعته إلى اتخاذ هذا النوع من السياسة. و **"مذكرات السلطان عبد الحميد"** لمحمد حرب، الصادرة في دمشق، 1991.

ومذكرات "مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)" ج1. لمحمد عزة دروزة، والتي صدرت في دمشق 1984، والتي يصف فيها أيضا محمد عزة دروزة الحياة اليومية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعيشية للسكان في مدينة نابلس تحت الحكم العثماني.

ومن بين المصادر العربية اعتمدت على مجلة "المنار" وعلى متابعة صاحبها محمد رشيد رضا الحثيثة لكل التطورات في الإمبراطورية العثمانية وحول أحداث السنتين المفصليتين (1908-1909) وجهوده الجادة في معرفة خلفيات وأفكار القادة الجدد من الاتحاديين الذين ارتفعت نجومهم فجأة، فجاءت كتاباته غزيرة بمعلوماتها، غنية بتحليلاتها، واسعة بتفاصيلها حد المبالغة. كما كانت مقالاته مكررة وطويلة جدا لدرجة الملل.

تبقى هناك مصادر عديدة تمنت الباحثة الحصول عليها لاستكمال الصورة وإثراء البحث، وبذلت لأجل ذلك كل ما امتلكت من جهد ووقت، و "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها".

محتوى الدراسة:

وبناء على المعلومات الواردة في المصادر والمراجع، وعلى مشكلة البحث وفرضية الدراسة، تم تقسيم المحتوى إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: بعنوان "أوضاع الدولة العثمانية قبل الانقلاب" تحدثت فيه عن عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وعن ظروف توليه العرش، وظروف إعلان الدستور عام 1876، والحرب

الروسية العثمانية، ومؤتمر الترسخانة وإعلان الدستور وافتتاح البرلمان ثم حل البرلمان. وعن محاولة الانقلاب الأولى على السلطان عبد الحميد المتمثلة بحادثة جراغان التي قام بها علي سعاوي، كما تحدثت عن سياسة السلطان عبد الحميد على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعلى الصعيد الداخلي تحدثت عن نظام الجاسوسة (الخفية) وعن حكم المابين وعن سياسة السلطان عبد الحميد وتقربه من العرب.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان: **"الانقلاب الدستوري 1908"**

وقد تحدثت فيه عن الجمعيات التي كانت تناهض السلطان عبد الحميد الثاني، العربية منها والتركية، والتي كانت تطالبه بالإصلاح وتوجه إليه النقد المستمر، وخصوصا جمعية الاتحاد والترقي التي نشأت في اسطنبول سنة 1889، (كعمل منظم) وهي الجهة التنفيذية لحزب تركيا الفتاة الذي أسس سنة 1865، وكانت نواتها الأولى عددا قليلا من تلاميذ مدارس الطب العسكري، وكان عملها بسرية بالغة. وكانت هذه الجمعية تحظى بدعم بعض الدول الأوروبية، التي تهدف إلى التخلص من الدولة العثمانية ولاسيما بريطانيا، وفي سنة 1906، بدأت تتغلغل في صفوف الجيش وفي الأقاليم ومنها العربية حتى وصلت خلايا هذه الجمعية إلى الضباط في الجيش الثاني والثالث وتجمعت في سلانيك، التي انطلقت منها أحداث عملية الانقلاب الدستوري 1908، مجبرة السلطان عبد الحميد على إعادة العمل بدستور 1876، وإجراء الانتخابات وافتتاح البرلمان.

والفصل الثالث : بعنوان "الانقلاب المضاد وعزل السلطان عبد الحميد 1909" تناولت الحديث فيه عن الجمعيات السياسية التي ظهرت أواخر العهد العثماني بعد الانقلاب الدستوري 1908، وعلاقتها بموضوع خلع السلطان عبد الحميد الثاني، لاسيما جمعية الاتحاد والترقي التي كان لها الدور البارز في التخطيط والتنفيذ لخلعه، فضلا عن جمعيات أخرى مثل الجمعية المحمدية وجمعية الحرية والائتلاف وحزب الأحرار. والتطرق إلى حادثة التمرد (الفتنه) في 13 نيسان 1909، وعلاقتها بخلع السلطان عبد الحميد الثاني، وموقف المؤيدين للسلطان عبد الحميد الثاني أثناء عملية الخلع، التي خطط لها رجال جمعية الاتحاد والترقي الذين أرادوا خلع عبد الحميد الثاني، والتي كانت بداية النهاية للدولة العثمانية، وكذلك تناولت عملية الزحف من سلانيك إلى اسطنبول وعملية خلع السلطان عبد الحميد، وفتوى الخلع، وأسلوب إبلاغ السلطان عبد الحميد الثاني، بخلعه

عن الحكم في 27 نيسان 1909، ونفيه إلى سلانيك، وتنصيب السلطان محمد رشاد باسم محمد الخامس بدلا منه.

الفصل الرابع: بعنوان "التغيرات التي أحدثها هذان الانقلابان 1908- 1909" على الإمبراطورية العثمانية وعلى ولاياتها ورعاياها. ومن ثم الاستنتاجات وقائمة المصادر والمراجع والملاحق.

الفصل الأول

أوضاع الدولة العثمانية قبل الانقلاب

أصبح من البديهي في القرن التاسع عشر اعتبار الإمبراطورية العثمانية دولة لا حول لها ولا قوة للدفاع عن نفسها. فقد حدثت عدة حوادث في هذا القرن أدت إلى اقتطاع أراضٍ من الإمبراطورية العثمانية، وهددت السلطان بالخروج من أوروبا. هذه الأوضاع أقلقت رجال الإصلاح العثمانيين وزادت من شعورهم بعنف الأزمة التي تواجهها الإمبراطورية العثمانية وتهدد كيانها. ورأوا في الإصلاح السريع على طريقة الديمقراطيات الغربية الأسلوب الأنجع لإنقاذ وحماية الإمبراطورية من ألأطماع الأجنبية.[10]

1- وصول عبد الحميد الثاني إلى الحكم

كانت أحوال الإمبراطورية العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز (1830- 1876) سيئة، وأصبحت ضعيفة أمام الدول الأوروبية التي أخذت تستعد لقبول لتقسيم أملاكها. فقد كثرت الثورات والتمردات، وأخذت الشعوب الخاضعة للحكم العثماني تتطلع إلى استقلالها وتحقيق آمالها القومية، مما دفع الدول الأوروبية للتدخل بحجة حماية هذه القوميات وبالذات في البلقان.[11]

وتنبه الأحرار من العثمانيين لما يراد بالإمبراطورية العثمانية، فأرادوا أن يضعوا حدا لهذه المآسي وإنقاذ الدولة من محنتها. فعزموا على الإصلاح والطلب من السلطان عبد العزيز العمل بالدستور؛ وذلك من أجل ضمان بقاء السلطنة. وكان في طليعة هؤلاء الأحرار مدحت باشا*. فرأى مدحت باشا وبعض رفاقه من المفكرين أمثال ضيا بك ونامق كمال بك وإسماعيل بك ورؤوف بك وعدد من الوزراء مثل، حسن فهمي باشا وشاكر باشا ورفعت باشا وسعد الله باشا ورائف باشا أنه لا بدّ من الانتقال من الحكم المطلق إلى الحكم الدستوري. فاتفق هؤلاء المفكرون على تقديم لائحة* إصلاحية للسلطان عبد العزيز. وفي حالة رفضه تلبية ما جاء فيها فسوف يتم خلعه. وبالفعل قدمت اللائحة ورفضها السلطان، وعندها تسلم الأحرار زمام الحكم، واستولوا على القوة البرية والبحرية

---

[10] حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية.** مصر: مطبعة الهلال، 1921. ص65

[11] جلال يحيى. **العالم العربي الحديث.** القاهرة: دار المعارف، 1985. ص201

*مدحت باشا: (1822- 1884)ولد مدحت باشا في اسطنبول تولى منصب الصدارة العظمى مرتين في عام 1873و 1876، طالب بإقامة حكومة دستورية. صار واليا عاما على كل من ايالة الطونه، وايالة بغداد، وايالة سوريا، وايالة آيدن- ازمير تمكن من تحقيق اعمال كبيرة في المجالات الاقتصادية والتجارية والإعمارية والموصلات، توفي في سجن الطائف في 6 أيار 1884، خنقا.

*لائحة مصطفى فاضل وردت فيها المطالب التالية:-1-مساواة جميع العثمانيين بمختلف عناصرهم وطوائفهم. 2-إنشاء مجلس المبعوثان للإشراف على مالية الدولة وإصلاحها. 3-محاكمة الوزراء أمام محكمة خاصة إذا أذنبوا. 4-إطلاق حرية المطبوعات.

والمالية، وقرروا[12] خلع السلطان عبد العزيز؛ وذلك لتبذيره وزيادة مديونية الدولة وعدم أهليته لإدارة مهام الملك. ومبايعة مراد بن عبد المجيد للسلطنة، ولكي يكون خلعه شرعيا استصدروا فتوى من شيخ الإسلام حسن خيرالله هذا نصها:" إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له إلمام في الأمور السياسية، وما برح ينفق الأموال الميرية بدرجة لا طاقة للمُلك على تحملها وقد أخل بالأمور الدينية والدنيوية وشوهها وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه؟ الجواب يصح. كتبه الفقير حسن خير الله". فتم خلع السلطان عبد العزيز وتنصيب ولي العهد مراد بالسلطنة. في (6 جمادى الأولى 1293/ 30 أيار 1876).[13]

لكن السلطان مراد (1840- 1904) وبعد أسبوع من تنصيبه على العرش أصيب بمرض في عقله وبنوبات عصبية وهيجان وتوتر شديدين، وقد شخص الطبيب النمساوي ليدرسدوروف بأن المرض المصاب به السلطان يصعب شفاؤه؛ عندها قام مدحت باشا والوزراء بمبايعة الأمير عبد الحميد شقيق مراد. في 31 آب/أغسطس 1876، وأفتى شيخ الإسلام حسن خير الله أفندي "إذا جُنّ إمام المسلمين جنونا مطبقا، .. فإنه يصح حل الإمامة من عهدته؟.[14] وهكذا تم عزل السلطان مراد الخامس ابن عبد المجيد بعد ثلاثة أشهر من جلوسه على العرش.

وعند اعتلاء السلطان عبد الحميد للعرش قام مدحت باشا وأصدقاؤه بوضع ثلاثة شروط عليه: إعلان القانون الأساسي، واستشارة الوزراء وجعلهم هم المسؤولين عن أمور الحكم في السلطنة، وتعيين كمال بك وضيا بك كاتبين خاصين للمابين*، وتعيين سعد الله بك باشكاتب، لأنهم من الأحرار الحريصين على تنفيذ أحكام الدستور.[15]

وهكذا وصل السلطان عبد الحميد إلى الحكم إثر انقلاب قامت به حركة جديدة في الإمبراطورية العثمانية وهي حركة (العثمانيون الجدد) وهم الشباب المتأثرون بالمدنية الغربية الأوروبية الحديثة وبدساتيرها. هؤلاء هم الذين قاموا بالانقلاب وخلعوا السلطان عبد العزيز ثم

---

[12] روحي الخالدي. **المقدمة في المسألة الشرقية من نشأتها الاولى الى الربع الثاني من القرن الثامن عشر.** القدس: مطبعة مدرسة دار الأيتام الإسلامية، 1960. ص72

[13] سعيد أحمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري.** بيروت: الاهلية للنشر والتوزيع، 1993. ص252.

[14] المصدر السابق، ص 253.

*المابين: هو الديوان الملكي أي باب ما بين الباب الهمايوني مقر السلطان، والباب العالي مقر الصدر الأعظم. وهو مخصص لنقل أوامر السلطان إلى الصدر الأعظم. وهو مصطلح استخدم في عهد السلطان عبد الحميد للدلالة على موقع النفوذ والسلطة في الدولة العثمانية.

[15] روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة. ص75.**

السلطان مراد الخامس لعدم استطاعته ممارسة الحكم ونصبوا السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن اشترطوا عليه القيام بإصلاحات في الإمبراطورية العثمانية.

تسلم السلطان عبد الحميد السلطة الشرعية يوم الخميس الموافق 11 شعبان 1293هـ /31 آب/أغسطس 1876م. وكان عمره حينئذ أربعاً وثلاثين سنة.[16] وهكذا بدأت حقبة تاريخية مهمة في تاريخ الإمبراطورية العثمانية هي فترة حكم السلطان عبد الحميد، التي تعد حلقة فاصلة في تاريخ الدولة العثمانية، وفي تاريخ الأقاليم التي ارتبطت بها في ذلك الوقت.

بدأ السلطان عبد الحميد عمله بالإعراب لوزرائه عن رغبته في إصلاح أمور الدولة، وأرسل بتاريخ 21 شعبان 1293هـ/ 10 أيلول 1876م، إشعارا للباب العالي يعلمهم فيه بجلوسه وأعلن فيه موافقته على إصدار نظام دستوري على النمط الأوروبي يحفظ من خلاله حقوق كل رعايا الإمبراطورية العثمانية. وتقرر تشكيل لجنة من الموظفين المدنيين والعلماء يرأسها مدحت باشا، لوضع مسودة الدستور* وعرضها على السلطان الذي أضاف عليها بندا يجعل من حق السلطان نفي كل من يقوم على تهديد أمن الإمبراطورية، وعين مدحت باشا في منصب الصدارة العظمى، وأصدر فرمانا سلطانيا أرفق معه القانون الأساسي،(الدستور) كي ينشره في أنحاء السلطنة كافة من أجل مباشرة العمل بأحكامه لكي تجرى الانتخابات على أساسه.[17] وكان الدستور مقتبسا من دساتير بلدان غربية كفرنسا وبلجيكا وانكلترا، وصيغ في (119) مادة، ضمنت حقوق السلطان في الحكم، فاعتبر القانون الأساسي أن "السلطان مقدس وغير مسؤول"، ومنحه حق عزل الوزراء وتنصيبهم وتوزيع المناصب والرتب، وصك النقود باسمه، وذكر اسمه في خطبة الجمعة، وفوضه عقد المعاهدات وإعلان الحرب وفرض العقوبات وعقد وفض المجلس العمومي. كما تضمن القانون نصا يتعلق بحرية العثمانيين ومساواتهم، وبمسؤولية الموظفين عن وظائفهم. أما المجلس العمومي، فتألف من هيئتين: هيئة الأعيان وهيئة "المبعوثان". وتجتمع الهيئتان في أول تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام، في دورتين عاديتين تمتدان أربعة أشهر، وللسلطان حق دعوة المجلس العمومي وافتتاحه قبل الموعد المحدد. وتمتع أعضاء المجلس العمومي بحرية إبداء الرأي،

[16] إسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.** ط2. (د.م): مكتبة العبيكان، 1998. ص184.
[17] سعيد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص255.
*الدستور:ويسمى ايضا بالمشروطية أو القانون الاساسي.

وبحصانة ضد ما يوجه إليهم من تهم بسبب التعبير عن آرائهم أو أفكارهم. ومنع الجمع بين عضوية الأعيان وعضوية "المبعوثان".[18]

وفي 5 شوال 1293هـ/24 تشرين الأول 1876م أصدر السلطان عبد الحميد إرادة سنية بعقد مجلس العمومي/الأمة، الذي يتألف من مجلس الأعيان ومجلس "المبعوثان"، فالأول يعين أعضاؤه بمرسوم من الباب العالي والثاني ينتخب من الشعب. فكانت عملية الانتخاب تقديرية وذلك لعدم قيام الدولة بعملية إحصاء لرعايا الإمبراطورية العثمانية في حينها.[19] ونتيجة للصعوبات التي كانت تتعرض لها الإمبراطورية بسبب أحداث البلقان، قرر مدحت باشا أن يتم انتخاب النواب على أيدي مجالس المحافظات والولايات، وأن تقرر الحكومة عدد المبعوثين عن كل محافظة وذلك بناء على عدد السكان، على أن يقوم حاكم كل ولاية بإقرار نسب المسلمين والمسيحيين واليهود. فجرى تمثيل المسلمين بـ (71 مقعداً) والنصارى (43 مقعدا) واليهود (4 مقاعد).[20]

وبلغ عدد النواب العرب 16 نائبا في مجلس "المبعوثان" الأول ، منهم خمسة نواب عن ولاية سورية، وأربعة نواب عن ولاية حلب، وثلاثة نواب عن ولاية بغداد، ونائبان عن الحجاز، ونائبان عن ولاية طرابلس الغرب، وبلغ عدد نواب الإمبراطورية العثمانية 115 عضوا، هذا بالإضافة إلى رئيس ووكيلين للرئيس، وبذلك يكون المجموع 118 نائبا.[21]

2- مؤتمر التَرَسخَانة وإعلان الدستور

قررت الدول الأوروبية أن تعقد مؤتمرا في اسطنبول لمناقشة أوضاع الإمبراطورية ورعاياها الذي عُرف بـ مؤتمر الترسخانة نسبة إلى دائرة الترسخانة* في 23 كانون الأول 1876م، برئاسة ناظر الخارجية صفوت باشا. وقد اجتمع في المؤتمر مندوبون عن كل من انكلترا وألمانيا وروسيا وفرنسا والنمسا وايطاليا، بالإضافة إلى السفراء الموجودين في اسطنبول في مثل

[18] وجيه كوثراني. **التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصا وتطبيقا ومفهوما**. الدوحة:المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،مجلة "تبين"، العدد 3 شتاء 2012. ص4- 5.
[19] سعيد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص255.
[20] اسماعيل ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.** ص180
[21] وجيه كوثراني. **التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصا وتطبيقا ومفهوما**. ص26

هذا الجو، بدأت المشروطية الأولى في الدولة العثمانية.[22] فقد وافق السلطان على إعلان الدستور رسميا في 6 ذي الحجة 1293هـ/ 23 كانون الأول 1876م وهو نفس اليوم الذي اجتمع فيه مندوبو الدول الأوروبية في اسطنبول وذلك لاقتراح إدخال الإصلاحات الضرورية على الإدارة العثمانية، مما أظهر إخلاص السلطان أمام الشعب. وعدم معارضته للإصلاحات، وأفقد الدول الأوروبية مبرراتها للتدخل في شؤون الدولة العثمانية.[23]

وهكذا أصبح لسلطنة العثمانية دستور مثل دساتير الدول الأوروبية، واستبشر الناس بالخير والفلاح والإصلاح والحرية.

وكان هذا الدستور ينص على حكومة برلمانية، وعلى منح الحريات المدنية للشعب. كما أعلن أن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة التركية، وهي اللغة التي يجري بها النقاش في كل الجلسات. وأن يكون التصويت إما علنيا أو سريا حسب الظروف. وأن مجلس النواب هو الذي يوافق على الميزانية ويقرها من غير تدخل من السلطان. وأعلن أن العثمنة هي السياسة الرسمية للإمبراطورية وأعطى صفة العثمانيين لكل رعايا الدولة أيا كان دينهم، وذلك عملا بمبدأ المساواة الذي نصت عليه التنظيمات، وعلى تمتعهم بالحرية الشخصية، والمساواة أمام القانون وعليهم نفس الواجبات ولهم نفس الحقوق، وعلى استقلال القضاء مع الإبقاء على المحاكم الشرعية. أما الطوائف الأخرى فعليهم أن يلجأوا في المسائل المتعلقة بالشؤون الدينية لمحاكم الملل.[24]

وبذلك كان الدستور أول تجربة عثمانية تقوم فيها السلطنة العثمانية بتقليد أنظمة الدول الغربية في إقامة نظام برلماني، وفي الفصل بين الهيئات التشريعية والتنفيذية، ومحطة من أهم المحطات على طريق التنظيمات العثمانية التي ابتدأت بخط شريف كلخانه سنة 1839.

وبموجب التعليمات الانتخابية التي **صدرت في 28 تشرين الأول 1876**، جرت انتخابات مجلس "المبعوثان"، وكان مجموع أعضاء المجلس الأول المنتخب (118) مبعوثا في أوائل سنة 1877، وذلك "بواقع نائب واحد لكل خمسين ألف شخص من رعايا الدولة الذكور". وكان نصيب

---

[22] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية.** ترجمة: عدنان محمود سلمان: مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري.المجلد الثاني، اسطنبول: مؤسسة فيصل للتمويل، 1990. ص101- 102

*الترسخانة: كانت أوروبا تطالب الدولة العلية بإجراء الاصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاضطهاد -على حد زعمهم- فتقرر عقد مؤتمر في الاستانة لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد وإصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من أحد عشر مندوبا: اثنين من كلٍّ من انكلترا وفرنسا واوستريا/النمسا والدولة العثمانية، وواحد من روسيا وايطاليا والمانيا. فعقدوا جلستهم الاولى في 23 كانون الاول/ديسمبر 1876، في دائرة الترسخانة (معمل الاسلحة) الذي يقع على خليج دار السعادة من جهة غلاطه في اسطنبول.

[23] جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. القاهرة: دار المعارف، 1985. ص203

[24] اسماعيل ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص180

العرب 16 نائبا، منهم خمسة نواب عن ولاية سوريا وهم: لواء دمشق خالد أفندي، ولواء بيروت كل من نقولا نقاش وحسن أفندي بيهم، ولواء طرابلس الشام نوفل بك ويوسف ضياء الخالدي* عن متصرفية القدس وغيرهم. وكان يوسف ضياء من الأعضاء البارزين في البرلمان وكان جريئًا جدا في توجيه النقد للسلطان عبد الحميد ولحكومته.[25] فقد كان إصلاحيا بالفكر والعمل.

وبعد أن توطدّ حكم السلطان عبد الحميد، بدأ بالعمل على التخلص من مدحت باشا مدركا انه إذا استطاع إقصاءه فسوف يستطيع القضاء على الدستوريين الأحرار لأنهم كانوا يشكلون خطرا يهدد وضعه، ولأن من استطاع أن يعزل سلطانين باستطاعته عزل الثالث وقد اعترف عبد الحميد بذلك بقوله:" لا يستطيع أي حاكم أن يثق في رجل اشترك في عملية خلع حاكم"،[26] لذا وفي صباح 5 شباط 1877، قام السلطان عبد الحميد بعزل مدحت باشا[27] ونفاه إلى أوروبا[28] مبررا عمله إلى الدستور الجديد.[29] حيث ورد في المادة الثالثة عشرة بعد المائة: ومن ثبت عليهم بتحقيقات إدارة الضابطة إخلالهم بأمن السلطنة فيحق للسلطان إبعادهم عن السلطنة.[30] التي كان مدحت باشا نفسه قد وضعها في الدستور، مخالفا أسس التنظيمات والتي تعطي الحاكم الحق في نفي أي شخص يرى أن بقاءه في الدولة يضرها سياسيا.[31]

وأكد السلطان إن مدحت باشا ورِجَاله كانوا يخططون لاغتيالي والتخلص مني.[32] وهكذا تخلص السلطان من مدحت باشا ألد أعدائه قبل أن يتخلص مدحت باشا من السلطان.

وافتتحت أولى جلسات البرلمان العثماني في 9 آذار1877م في سراي دولمه باغجه. واجتمع نواب الولايات ونواب العاصمة،[33] ومجلس الأعيان الشيوخ المكون من 26 عضوا

---

[25] عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)** ص199- 200.

* يوسف ضياء الخالدي: (1842- 1906)ولد يوسف ضياء في القدس، درس يوسف في مدرسة غوبات ثم درس في الكلية البروتستانتية في مالطا. ثم اتصل بأنصار سياسة التنظيمات خلال وجوده في اسطنبول، فساهم في بلورة تلك المواقف وتعزيزها. ترأس بلدية القدس عدة مرات مدة عشرة أعوام، واهتم خلالها بتنفيذ مشاريع وتطوير المدينة وتحسين الخدمات الضرورية للسكان، وعمل في ديوان الترجمة التابع للباب العالي، ونائب قنصل وقائمقام في فلسطين ولبنان والاناضول. مثل متصرفيه القدس في البرلمان العثماني الأول (1877 - 1878). أصدر ديوان شعر. وأتقن ست لغات هي التركية والعربية والكردية والانكليزية والفرنسية والالمانية. وضع أول معجم كردي - عربي بعنوان الهدية الحميدية.

[26] محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد.**ط3. دمشق: دار القلم، 1991. ص75- 76

[27] اسماعيل ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص178

[28] جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص204.

[29] اسماعيل ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص178

[30] أمين الخوري. **القانون الاساسي**.بيروت:مطبعة الاداب، 1908. ص21

[31] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية.** ص104

[32] السلطان عبد الحميد. **مذكراتي السياسية 1891 – 1908.** ص71

[33] سعيد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص255

بالتعيين، منهم 21 مسلما. أما مجلس النواب فقد كان يتكون من 120 عضوا.[34] وألقى السلطان عبد الحميد خطاب العرش بحضور النواب ومن ثم بدأت المناقشة التي كانت صاخبة وحادة؛ لأن أغلبها تركز على صلاحيات مجلس "المبعوثان" وعلى جعل الحكم دستوريا تشترك فيه الأمة بواسطة نوابها كي تحد من سلطة حكم السلطان المطلقة، مما دفع السلطان إلى الاستياء من النواب المتشددين، معتبرا بأن في كلامهم تعدياً على صلاحياته.[35]

3- الحرب العثمانية – الروسية وحل البرلمان

كانت روسيا تطمح في بقاء الدولة العثمانية مشغولة بالاضطرابات والفتن، حتى تتمكن من التدخل في الشؤون الداخلية للدولة بحجة حماية الرعايا المسيحيين، وقد حاولت أن تكرس هذا التدخل في المؤتمر الأوروبي الذي عقد في الآستانة عام 1876، لكن إعلان الدستور فوّت الفرصة على روسيا وعلى الدول الأوروبية بشكل عام في إيجاد مبرر للتدخل بشؤون الدولة.

وعندما لم تجد روسيا إمكانية لتنفيذ سياستها تجاه السلطنة العثمانية، قامت بإعلان الحرب على الدولة العثمانية رسميا في 24 نيسان 1877،[36] - دون أي سبب– اشتهرت هذه الحرب الروسية – التركية في التاريخ العثماني باسم "حرب 93" إذ أنها حدثت سنة 1293 الرومية-[37] ودخلت القوات الروسية في الحدود العثمانية الأوروبية الآسيوية. في نفس اليوم،[38] وتمكنت من الاستيلاء على المدن التي تقع على طريق العاصمة اسطنبول كصوفيا وأدرنه حتى شارفت على العاصمة نفسها، في ظل صمت تام من الدول الأوروبية العظمى، مما حدا بالسلطان عبد الحميد إلى تحميل مسؤولية هذا الوضع المتردي إلى رجال الحكومة والإصلاحيين، فعلق الدستور وحل البرلمان.[39]

وأصدر في 13شباط/ فبراير 1878، قرارا موشحاً بالإرادة السنية بتعطيل الدستور لأمد غير معلوم[40] وقام بالسيطرة على الحكم وحكم حكما مطلقاً.[41] وذلك قبل انتهاء الحرب التركية –

---

34 اسماعيل ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص181
35 سعيد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص255
36 عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)** ص214
37 يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص106
38 اسماعيل ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص181
39 عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص214
40 يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص116

الروسية، وتوقيع معاهدة سان استفانو في آذار/مارس 1878،[42] ولقد كان ثمن الهزيمة في هذه الحرب مدمرا، فعلى الصعيد الإنساني والسكاني كان عدد الشهداء والمصابين والأسرى مرتفعا جدا، وعلى الصعيد المالي كان كارثياً في الأسلحة والأموال التي صرفت من الخزينة المالية التي كانت في حالة عجز أصلا، والنتيجة معاناة أكبر على جميع سكان الإمبراطورية؛ لأنه يقع على عاتقهم دفع مزيد من الضرائب لسد العجز في ميزانية الدولة.[43]

إن عدم قناعة السلطان عبد الحميد في النظم الدستورية كانت تزداد ظهورا يوما بعد يوم. فهل كان إعلان الدستور رغبة منه في التمويه على الدول الأجنبية والشعب في بداية عهده؟ أم لقناعته بوجوب وجود رأس واحد للسلطنة؟

لم يكن عمر الدستور طويلا؛ لأن السلطان عبد الحميد لم يعلنه بدافع الاقتناع بالحياة الدستورية، بل إن الظروف التي جلس فيها على عرش السلطنة هي التي دفعته إلى إعلان الدستور ولقد أكدت تصرفات عبد الحميد أنه ما كان ليؤمن بحق الشعب بحكومة دستورية تسير له أموره، وبدا بأنه كان يريد أن يضع حدا لتدخل الدول الأوروبية التي تطالبه بضرورة الإصلاح في كل أنحاء السلطنة. ولقد كان نشر الدستور السبب في فشل المؤتمر الأوروبي (مؤتمر تَرسخَانه) وفي التفاف الشعب حول السلطان عبد الحميد. لكن السلطان عبد الحميد ما لبث أن عطل الدستور[44] وطلب من النواب العودة إلى بلادهم. كما قام بإبعاد ونفي البارزين منهم.[45] وبقي معطلا مدة 31 سنة.[46] وبهذا تكون مدة انعقاد المجلس خلال دورته الأولى والثانية قد بلغت عشرة أشهر وخمسة وعشرين يوما. وإن مدة الثلاثين عاما[47] والنصف، والتي يطلق عليها مناوئو النظام الحميدي (دور الاستبداد). هي مدة الحكم والإدارة الشخصية للسلطان عبد الحميد من دون دستور، حيث إن السلطان لم يقم بإلغاء الدستور بل بقي ينشره لمدة 31 سنه متتالية وبلا انقطاع، في النشرة الرسمية السنوية للدولة. وعليه فقد أدار السلطان عبد الحميد الثاني الإمبراطورية دون مجلس نيابي وبهذا يكون قد عاد إلى عهد التنظيمات أيام رشيد باشا* وعالي باشا.* وأخذ شخصيا يدير شؤون الدولة بمفرده في الوقت الذي لا يسمح فيه نظام التنظيمات والمشروطية بتدخل السلطان في شؤون

---

41 عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص214
42 اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص181
43 عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص214- 215
44 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص204- 205
45 اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص181
46 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص205
47 اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص181

الحكومة لهذا أُطلق على السلطان لقب سلطان – دكتاتور،(مستبد) ذلك أنه استخدم صلاحيات لم تعط له في نظام غير ملغي.[48]

وهكذا بقي الدستور معطلا والبرلمان منحلا إلى مدة بلغت واحدا وثلاثين عاما، كان خلالها السلطان عبد الحميد هو الآمر الناهي، بل كان السيد المطاع والحاكم المستبد إلى أن تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من إجباره على إعادة العمل بالدستور عام 1908.

وهكذا عاشت البلاد العثمانية فترة من الحرية والديمقراطية، التي لم يشهد لها مثيل في تاريخ السلطنة العثمانية، وكان ذلك بفضل الدستور. إلا أن عمر الحياة الدستورية كان قصيرا، وقد أظهرت الأحداث اللاحقة أن السلطان عبد الحميد لم يصدر الدستور بمحض إرادته وحبا في القيام بالإصلاحات في الإمبراطورية على الطريقة الغربية، بل إن الظروف التي جلس فيها عبد الحميد على عرش السلطنة هي التي دفعته إلى إعلان الدستور. فقد كان مدركا أن موقفه كان ضعيفا في ذلك الوقت، على عكس موقف الأحرار العثمانيين الذين تمكنوا من خلع سلطانين من قبله بسبب الدستور، ولم يكن أمامه مفر من إعلان الدستور، فقد أعلنه حتى يضيع الفرصة على الدول الأوروبية التي كانت تريد عقد مؤتمر الترسخانة في اسطنبول للبحث في أمور الإصلاحات للسلطنة، كما أرد أن يظهر أمام شعبه أنه سلطان دستوري ويحكم بالدستور.

4- مؤامرة سعاوي أفندي وحادثة جراغان

بعد خلع السلطان مراد الخامس وتولي السلطان عبد الحميد عرش السلطنة مكانه، تم وضعه مع عائلته تحت حراسة مشدده في قصر جراغان، وقد منع الأفراد من دخول القصر باستثناء الأطباء المكلفين للعناية به.[49] إلا أن بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعامة[50] رجل

---

[48] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص116- 117

*رشيد محمد خوجة باشا (1780- 1938) الصدر الأعظم من أعلام الشراكسة في الدولة العثمانية.- ينتمي إلى عائلة كوشندوق الشركسية. كان قائدا عسكريا متميزا، تولى عدة مناصب في الدولة العثمانية كان آخرها منصب الصدر الأعظم الذي تولاه في زمن السلطان محمود الثاني في (16 ربيع الثاني عام 1244هـ/ 1828م).

*امين عالي باشا: (1815- 1871) ولد في اسطنبول، وهو أحد السياسيين البارزين في الإصلاحات السياسية المعروفة باسم التنظيمات، تمكن بفضل إجادته للغة الفرنسية من الالتحاق بالسلك الدبلوماسي العثماني في شبابه، وذلك عندما عُين بدائرة الترجمة سنة 1833. شغل عالي منصب سكرتير السفارة العثمانية في فيينا ثم تولى منصب وزير الخارجية سنة 1840، و 1846، كان سياسيا اصلاحيا عثمانيا ومن رواد الاصلاحات تولى أمين عالي باشا منصب الصدر الاعظم خمس مرات، بين 1852 و 1871.

[49] سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص260

[50] محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص107

يدعى علي سعاوي* وهو أحد الثوار المعروفين[51] من مدينة بخارى جاء إلى الآستانة وتعلم اللغة التركية فيها وأصبح خطيبا تحريضيا ثوريا. قام السلطان عبد العزيز بنفيه مدة تسع سنوات إلى خارج البلاد وذلك بسبب خطبه الثورية، ثم عاد إلى العاصمة بوساطة من مدحت باشا[52] حيث أصبح من حزب مدحت باشا أنصار القانون الأساسي[53] وتم تعيينه ناظرا في غالاتا في المكتب السلطاني حيث يتلقى أبناء السلطان عبد الحميد العلم إلا أنه عزل من وظيفته بسبب تدخله في الأمور السياسية. فقام إلى ساحات المساجد التي تعج بالهاربين من بلادهم[54] والناجين من سيوف الروس والبلغار[55] واللاجئين إلى اسطنبول بسبب الحرب، يلقي الخطب الحماسية لتغيير نظام الحكم العثماني بعد ما ظهر ضعف السلطان عبد الحميد أمام الدول الأجنبية وظهر فساده. هذا وبالإضافة إلى العملاء المندسين بين اللاجئين والأحياء الفقيرة يحرضونهم بالثورة على الدولة بقولهم: إن السلطان عبد الحميد اغتصب السلطة من السلطان الشرعي مراد وعزله وأسره في قصر جراغان وجر السلطنة إلى حرب كارثية. واجتمع عدد كبير من الناقمين والغاضبين على السلطان بتاريخ 18 أيار 1878، وتوجهوا جميعهم باتجاه قصر جراغان.[56] وكان الهدف من هذا الاقتحام الإفراج عن السلطان مراد وتنصيبه سلطانا مرة أخرى بدلا من السلطان عبد الحميد.[57] فاقتحموا قصر جراغان وقام حسن باشا محافظ بشكتاش وضرب بعصا على رأس سعاوي فقتله.[58] وأخذ الحراس يهرعون من البحر والبر ويحاصرون الانقلابيين ويهاجمونهم ويقتلون بعضهم ويلقون القبض على الباقين فمات 23 متمردا في الاقتحام، وجرح 15 منهم، ثم حوكموا في ديوان حرب عرفي (المجلس العرفي العسكري) ولكن لم يصدر أي حكم بالإعدام على أي واحد منهم.

لقد تم احتواء المؤامرة في ساعتين .إلا أن تأثيرها بقي يظهر على تصرفات السلطان عبد الحميد طيلة سنوات حكمه الثلاثين. تحمل خلالها الشعب الكثير من المعاناة.

---

[51] محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص20

*علي سعاوي: (1838- 1878) كاتب صحفي تركي معارض رئيس تحرير صحيفة (المخبر). كان من طلاب العلم اطلع على العلوم العربية والفنون الرياضية، وواقف على الأفكار الجديدة. نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا، وفر إلى باريس وانجلترا ونشر الرسائل والمقالات، ثم عاد الى اسطنبول، عام 1876، وصار من حزب مدحت باشا أنصار القانون الأساسي، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل، قاد هجوما لإعادة السلطان مراد إلى العرش فاتفق مع صالح بك الأرناؤط أحد الضباط وجمعا من فئة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل وهجموا على سراي جراغان لإخراج السلطان مراد منها ومبايعته، واسترداد الحرية والقانون الأساسي، ففاجأتهم العساكر بالسلاح فتشتت شملهم وقتل.

[52] سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص261

[53] محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص107

[54] سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص260

[55] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص119

[56] سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص261

[57] محمدحرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص20

[58] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص119

وقد وقف خلف هذه المؤامرة السفير الانجليزي في اسطنبول اللورد اليوت (Elliot) واشترك في الإعداد وكيل اسطنبول للمخابرات الانجليزية وهم الذين اختاروا الصحفي علي سعاوي أفندي – من العثمانيين الجدد- للقيام بهذه المؤامرة.

وقام السلطان عبد الحميد الثاني بعزل صادق باشا الصدر الأعظم؛ لاعتقاده أنه هو من دبر هذه الواقعة، في وقت كان السلطان في حالة يعتمد فيها - من أجل عقد الصلح مع روسيا- على الانكليز الذين كان يكرههم أكثر من الروس.[59]

5- الجاسوسية في الدولة العثمانية (الخِفية) وحكم المابين

ازدادت شكوك السلطان عبد الحميد بشكل كبير، بعد خلع واغتيال عمه السلطان عبد العزيز المفجع، وخلع شقيقه مراد في خلال 3 أشهر فقط. ثم جاءت مؤامرة على سعاوي التي حدثت في وقت غير متوقع الحدوث مطلقا، لتزيد الأمور تعقيدا. وإن وقوع مؤامرة غريبة كتلك في إمبراطورية واسعة على وشك الانهيار، وجيوش الأعداء تحاصر مدنها، أدت إلى إنشاء نظام مخابراتي بوليسي وتشكيلات أمنية سرية، تتبع السلطان عبد الحميد ومرتبطة به شخصيا "الخِفية".[60]

ولقد استند السلطان عبد الحميد في حكمه الطويل لهذه الدولة العثمانية الواسعة إلى الجاسوسية والكبت[61] والبوليس والعملاء والرقابة والنفي لإسكات المعارضة، فقام بمصادرة الصحف[62] والقضاء على كل محاولة تريد أن تنشئ صحافة حرة؛ وذلك لخوفه من أن لا تعترف بسلطته المطلقة، أو تنقدها، مما أدى إلى ضعف الحركات الأدبية، نظرا لافتقادها لعنصر النقد المهم[63] وأخذت الرقابة التي وضعت على الصحافة والنشر، والكتب والصحف والمجلات تشتد أكثر فأكثر. وكان يجب مراجعة الكتب أولا من قبل لجنة ذات صلاحية واسعة ومتشددة أكثر من السلطان وذلك قبل الطبع. وحصل أكثر من مرة أن قامت بمنع كتب لا محظور فيها[64] وفي وزارة

---

[59] المصدر السابق، ص119-120
[60] المصدر السابق، ص120
[61] جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص208
[62] اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص204
[63] جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص208
[64] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص144

المعارف نفسها أنشأ السلطان قسما للرقابة وكانت مهمته تطبيق قوانين الصحافة والمطبوعات حتى على مدارس الفقه الإسلامي ومطبوعات الوزارة. وقد اهتم بمناهج مدارس الفقه الإسلامي وتفسير القرآن والأخلاق، وذلك لاعتقاده أن المسلمين المؤمنين لا يمكن أن يثوروا[65] كذلك المدارس التبشيرية أخضعها للرقابة، ومنع المسلمين من الدراسة فيها، وكذلك المدارس العثمانية والاجتماعات العامة أخضعها للمراقبة، حتى المنفيين الأتراك وضع عليهم عن طريق السفارات العثمانية في الخارج رقابة دائمة.[66]

وبمرور الأيام ازداد خطر هذا النظام وفساده وازداد عدد هؤلاء الجواسيس[67] وأصبح للسلطان جيش جرار من الجواسيس، يصرف عليه مئات الألوف من الليرات سنويا، وغصت الدولة بالرُصَاد والعيون من أولها إلى آخرها[68] وازدادت السلطة التي وضعت بين أيديهم والنتائج التي تترتب على وشاياتهم.[69] حيث استغل أفراد هذا الجهاز لتقديم وشايات كاذبة ضد منافسيهم.[70] وكان من نتيجة هذا أن السجون غصت بالناس من سائر أرجاء السلطنة.[71]

وأقلق موظفو هذه التشكيلات السرية طوال 30 عاما راحة الشعب العثماني بشكل كبير. فقد كان نظام الرقابة هذا مزعجا وصارما ومتخلفا. وكان نظام الخفية هذا أشد بلاء على الإمبراطورية العثمانية من جميع ما توالى عليها من المحن منذ قيامها.

وقامت الخفية على نظام محكم، وأقيم لها دائرة منظمة في المَابين وكان رئيسها يدعى بمدير السياسة الداخلية، أو مدير سياسة المَابين. وكان لتلك الدائرة فروع متعددة ومتشعبة داخل وخارج الدولة، إذ كان موظفوها ينتشرون في كل الدوائر الحكومية من الباب العالي إلى الوزارات المنفصلة عنه إلى كل فرع من فروعها.[72] وضعفت إدارة الدولة وأصبحت تتدهور بسرعة إلى الانحطاط والتأخر، وخاب أمل الأحرار العثمانيين ورجاؤهم بعد أن كانوا يرجون تخليص السلطنة من المرض الذي أصابها. واضطهد هؤلاء الأحرار، وكانوا يزينون في عيني السلطان الاستبداد، ويبعدون عنه العارفين بطرق الإصلاح الخبيرين بأمور الدولة؛ مدعين، أنهم من أصحاب الأفكار

---

65 اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص188
66 المصدر السابق، ص204- 205
67 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص208
68 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. مصر: مطبعة الهلال، 1921. ص85
69 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص208
70 يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص155
71 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص85
72 سليمان البستاني. **عبره وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**.ص109- 110

المتطرفة وحزب تركيا الفتاة، حتى اختل نظام الإمبراطورية، ولم يتم تطبيق الأحكام القانونية، حتى ساءت الأمور الخارجية والداخلية وفسد التعليم في المدارس، ومالت إلى التخلف والتأخر.[73]

وقد برر السلطان عبد الحميد لجوءه إلى الجاسوسية فقال: أَن التجَسس أمر معيب إلا انه ضروري في بلادنا لأنه لا يوجد في أَي بقْعَة من بقاع الأرض مؤامرات و دسائس مثل الَّتِي في السلطنة العثمانية. لقد تعرضت لمحاولتي اغتيال والفضل في نجاتي يعود إلى بعض رجالي المخلصين.[74]

بدأ السلطان عبد الحميد الثاني عهده بإعلان الدستور ومن ثم تعطيله، ثم قام بوضع جميع أمور الدولة في قبضة يد جماعة من حاشية القصر **المَابين** من الذين يحبون السياسة الرجعية فقادوا البلاد إلى القهقرى بسرعة فائقة.[75]

ويتكون هذا الجهاز من مشير المابين، وهو الآمر الأكبر لهذا القسم، ثم رئيس المابين ويليه كاتب المابين الهمايوني. وكانت هذه المناصب كالنظارات، ومن يقوم بإشغالها يصبح له نفوذ أكبر من نفوذ النظار. بالإضافة إلى رئيس استخبارات ومشاورين ومرافقين وضباط الخدمات، ومكاتب للبرق، وغرف للشفرة، وللترجمة والمترجمين.[76]

وصار قصر يلدز كمدينة مستقلة. وأصبحت كل الأمور مرهونة ومرتبطة بيلدز وصارت الدولة تدار من يلدز. فكان حكم المابين يسيطر على سمع السلطان وبصره وامتدت يده إلى كل الأعمال فأصبحت الأمور المالية والجيش والشرطة وسائر المخابرات الدولية تدار من داخل السراي[77] وكان السلطان عبد الحميد يعين ويعزل وينصب الصدور العظام والنظراء كما يريد.[78] وانتهت سلطة الباب العالي. وفقد الباب العالي أو الوزارة الرسمية كل شيء من النفوذ والسلطة وصار الوزراء بلا حول ولا قوة في الكبير والصغير من الأمور.[79] وأصبح جليا أن السلطان، لم

---

[73] محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص115
[74] السلطان عبد الحميد. **مذكراتي السياسية 1891 – 1908**. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982. ص220
[75] حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص84
* الباب العالي: اسم لمقر الحكم في عاصمة الدولة العثمانية.
[76] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص155
[77] حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص86
[78] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص144
[79] حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص84- 86

يعد يقوى على تسليم إدارة الدولة إلى هؤلاء النظار الذين قاموا بخلع عمه السلطان عبد العزيز والتزموا الصمت وسكتوا على اغتياله.[80] كما صار السلطان عبد الحميد أسير النظام الذي قام هو بتأسيسه وبقي صامتا تجاه تعاظم الاستبداد. وأخذت تقارير التحريات (الخِفية)، تنكل بالناس وتتسبب في نفيهم بدون سبب.[81] وكان هذا وضعا سيئا جدا. وهذا التطور أضعف السلطان وهز مركزه. وأصبح اللوم على التقصير والمشاكل يوجه إلى يلدز بدلا من الباب العالي مما أدى إلى زعزعة وضع العائلة الحاكمة.[82]

6- السلطان عبد الحميد الثاني والعرب

كان أبناء العرب يشكلون أكبر مجموعة قومية من سكان الإمبراطورية العثمانية مقارنة مع القوميات الأخرى التي كانت تعيش تحت حكم الدولة العثمانية. وقد أدرك السلطان عبد الحميد أهمية العرب في الدولة، فأخذ يسلك سياسة التودد والتقرب من الشعوب العربية؛ لأن هذه الشعوب متى انفصلت عنه سيكون انتهاء سلطته كخليفة، وبالفعل كان حساب السلطان هذا صائبا ودقيقا وفي مكانه، إلا أن الاتحاديين عندما تسلموا زمام السلطة، أخذوا يعادون العرب واعتمدوا سياسة التتريك العنصرية مما اضطر العرب إلى طلب الانفصال عن الدولة العثمانية.

لذلك وفي إطار سياسته الإسلامية حاول السلطان عبد الحميد أن يسيطر على العناصر غير التركية عامة والعربية منها بشكل خاص والموجودة داخل الإمبراطورية.[83] فقد اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالعرب كثيرا؛ وذلك لأنهم في الأساس هم أصحاب رسالة الإسلام وبلغتهم وهي اللغة العربية نزل القرآن، وبلاد العرب تضم مدن (مكة والمدينة وبيت المقدس) وهي أهم الأماكن المقدسة عند المسلمين.[84] وعندما بدأ العرب يظهرون اهتمامهم وتمسكهم بقوميتهم العربية اهتم السلطان عبد الحميد بالعرب وأراد أن يكسبهم إلى صفه، وأكد على صلتهم الدينية الإسلامية التي تربطهم به كخليفة لهم، فبدأ بإعطاء الهبات وبإنشاء المدارس العربية وبتكريم الشيوخ العرب

[80] يلماز اوزتونا. **تاريخ الدولة العثمانية**. ص154
[81] المصدر السابق، ص144
[82] المصدر السابق، ص154
[83] جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص212
[84] اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص203

والإنفاق ببذخ على ترميم وتجميل المساجد،[85] فقام بتزيين وإصلاح المساجد في مكة والمدينة والمسجد الأقصى في بيت المقدس.[86] وأخذ يهتم بإنشاء المدارس الإعدادية والثانوية في مختلف الولايات العربية، ويعود له الفضل في تأسيس التعليم الابتدائي على النمط العربي، وإنشاء مدرسة في اسطنبول عرفت بمدرسة العشائر درس فيها أبناء العرب من سوريا والعراق واليمن مجانا وعلى نفقة السلطان الخاصة، واستطاع بعض العرب أن يترقى إلى مناصب عليا في الدولة.[87]

وقام بإنشاء كتيبة حرس خاصة من العرب وضمها إلى حرس السلطان وفي مناصب السراي عين موظفين عرباً واستعملهم في توجيه وتنظيم وسائل الدعاية له،[88] وعهد السلطان عبد الحميد لأبناء العرب بمناصب إدارية كبرى منهم أبو الهدى الصيادي من أشراف حلب، ، ومن دمشق عزت باشا العابد وعينهما مستشارين له. كما قرب إليه من الطائفة المارونية اللبنانية الأخوين نجيب وسليم ملحمة وشفيق بك المؤيد وغيرهم.[89] وقد بلغ من نفوذ هذه الشخصيات العربية في السراي مكانة عالية وكبيرة لدرجة أنه في ذلك الوقت ساد اعتقاد بين الناس يتهم فيه السراي بالوقوع تحت تأثير بعض الشخصيات العربية على حساب الأتراك، وسوف تحاول حركة تركيا الفتاة عند الانقلاب على السلطان فيما بعد، استغلال هذه الدعاية وبالتالي فرض سيطرة الأتراك على العرب داخل الإمبراطورية كما سنرى.

ولم يدخر السلطان عبد الحميد وسعا من أجل فرض نفوذه على كل الأقاليم العربية. وكجزء من إطار سياسته الإسلامية التي قام بها، ومن أجل وضع الجميع تحت نفوذ السلطان المباشرة، عمل السلطان عبد الحميد على إنشاء فريق من المخبرين والجواسيس تطوف العالم العربي وتعمل على القضاء على نفوذ رؤساء الإقطاع والشيوخ المحليين والقضاء على الشخصيات العامة أو إجبارها على السكن في العاصمة العثمانية حتى تكون تحت سمع السلطان عبد الحميد وبصره، كالحسين بن علي من رؤساء العرب. فقد خاف السلطان عبد الحميد من سلطته وإقامته بالحجاز فقام باستدعائه

---

85 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص212

86 اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص203

87 مصطفى طوران. **اسرار الانقلاب العثماني**. ترجمة: كمال خوجه. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1985.ص41

88 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص212

89 اسماعيل احمد ياغي. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**. ص203

في سنة 1893، للإقامة في اسطنبول. وبقي مع أسرته خمسة عشر عاما إلى أن وصل الاتحاديون إلى الحكم عام 1908م.[90]

كما لم تنقطع رواتب الأشراف من آل البيت طوال حكم السلطان عبد الحميد، إذ كانت تصل إليهم بانتظام، كما كانت تصل إليهم هدايا ونياشين دورية منه. وكان هناك يوم خاص يحتفل فيه باسطنبول بمناسبة إرسال سترة الكعبة إلى الحج ومع السترة ترسل أعلام وهدايا نفيسة وقيمة.[91]

8- خاتمة الفصل الأول

انفرد السلطان عبد الحميد بالحكم؛ وذلك بسبب تجارب أسلافه السابقة، ونتيجة سوء ظنه بالرجال الذين يحيطون به، وعلق العمل بالدستور الذي كان قد وافق عليه، وقام بإنشاء جهاز الاستخبارات (الخفية) الذي كانت مهمته التجسس على موظفي الإمبراطورية وعلى المواطنين، وترك إدارة جميع أمور الإمبراطورية بيد المابين الرجعيين.

[90] جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص212- 213
[91] مصطفى طوران. **اسرار الانقلاب العثماني**. ص42

الفصل الثاني

الانقلاب الدستوري 1908

منذ مطلع الثلاثينات من القرن التاسع عشر شهدت حركة الإصلاح العثماني تحولا حاسما في تاريخها، وذلك بظهور تيار جديد في الدولة العثمانية يدعو إلى ضرورة تطوير الإمبراطورية وإصلاحها، وهو الاتجاه المعروف (بالتنظيمات العثمانية) والتي بدأت رسميا في حكم السلطان عبد المجيد الثاني (1839- 1861). وانتهت بدستور مدحت باشا 1876، أو ما يعرف بالمشروطية الأولى وتشمل عصر عبد الحميد الثاني (1876- 1909).[92]

قامت فلسفة التنظيمات العثمانية على فكرة المماهاة مع التحديث. والتحديث –كما وعته في غضون القرن التاسع عشر النخب المحلية التركية والعربية وغيرها - كان يعني نقل معطيات الحداثة السياسية الأوروبية إلى إدارة الإمبراطورية ومؤسساتها.[93] لذا بوجه عام سارت الإصلاحات على أسس استلهام النظم الغربية أو اقتباسها. وذلك لأنه في الوقت الذي بدأت فيه الإمبراطورية العثمانية بالانحطاط، أخذت الدول الأوروبية بالاندفاع في طرق النهضة الشاملة بسرعة متزايدة.[94]

وبدءاً من عام 1839، أصبح الاهتمام بالمؤسسة الإدارية بمختلف اختصاصاتها، فكان صدور أول خطوط التنظيمات المعروف بخط كلخانه، والذي كان من أهم توجهاته بند إلغاء نظام الالتزام. لتنطلق بعده سلسلة من الإصدارات والإعلانات والتدبيرات القانونية والتنظيمية، من أهمها الخط الهمايوني 1856، وفيه تم التركيز على المساواة بين الطبقات والطوائف، ثم في عام 1864، صدر قانون الولايات، والذي نصّ على وجود مجالس منتخبة إدارية من مستوى القضاء إلى مستوى الولاية. تبعه سلسلة من القوانين التي تنظم أحوال (التبعية العثمانية) 1869، وتنظيم القضاء وتوزعه بين محاكم شرعية ومحاكم نظامية وملية. كما صدرت قوانين تنظم المعاملات وأحوال التجارة وتسجيل الأرض ومسحها والبلديات وصلاحياتها. وفي ذات السياق، أُعلن دستور 1876،[95] في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، والذي عرف باسم "المشروطية" أي القضاء على نظام الحكم المطلق، الذي كان قائما حينئذ، وأن يجعل حكم السلطان "مشروطاً".

---

[92] غانية بعيو. **التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839- 1876.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر: جامعة الجزائر، 2009. ص6

[93] وجيه كوثراني. **التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصا وتطبيقا ومفهوما**. ص1

[94] ساطع الحصري. **البلاد العربية والدولة العثمانية**. ط2. بيروت: دار العلم للملايين، 1960. ص72

[95] وجيه كوثراني. **التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصا وتطبيقا ومفهوما**. ص1

وكانت جهود رجال التنظيمات على الدوام تصطدم بعراقيل متنوعة وكثيرة، أهمها استبداد السلاطين ونزواتهم، بالإضافة إلى فساد رجال الحاشية المحيطين بهم. ولمعالجة هذه الأحوال رأى رجال الإصلاح وعلى رأسهم مدحت باشا ضرورة إصدار قانون أساسي يفهم السلطان أن سلطته مشروطة بحدود وقيود يقرها ويعينها الدستور وليست مطلقة. واستطاع في نهاية الأمر أن يحمل السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1876، على إصدار القانون الأساسي، وذلك عقب توليه العرش وبعد خلع السلطان عبد العزيز والسلطان مراد.

وضع القانون الأساسي 1876، موضع التنفيذ وجرت الانتخابات العامة واجتمع مجلس النواب (مجلس المبعوثان) وقام النواب العرب وغيرهم بدور هام خلال المناقشات والمذكرات في المجلس. غير أن هذا المجلس لم يعمر طويلا. فما لبث أن أمر السلطان عبد الحميد بفض المجلس، مصحوبا بإبعاد ونفي البارزين من المبعوثين، وبقيت الحياة الدستورية معطلة، والقانون الأساسي معلقا، مدة تزيد على ثلاثين عاما وذلك حتى سنة 1908،[96] لتبدأ أعمال المجلس بكل اندفاع وحماسة. إلا أن الجو المفعم بالسرور واجهه الكثير، ولم يلبث أن تلبد بغيوم كثيفة. إذ تعرض العهد الجديد إلى صدمات عدة عنيفة وواجه كثيرا من المشكلات الخارجية والداخلية.[97]

1- الجمعيات والحركات العربية التي ناهضت السلطان عبد الحميد الثاني

بينا في الفصل السابق كيف حاول السلطان عبد الحميد الثاني أن يتقرب من العرب، متبعا في ذلك عدة أساليب من أهمها تعيين عدد من الشخصيات العربية في القصر السلطاني، مثل أبي الهدى الصيادي، والشيخ ظافر المدني وعزت باشا العابد وغيرهم. كما حاول كسب عطف المسلمين، فقام بمدّ السكة الحديدية الحجازية المشهورة، واهتم بالمساجد في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي بيت المقدس.

لكن هذه السياسة لم تلق الرضى التام من المثقفين والإصلاحيين العرب، فأخذ الاتجاه القومي العربي بالظهور والنمو، فظهرت حركات وجماعات عربية في بلاد الشام كان البعض منها

[96] ساطع الحصري. **البلاد العربية والدولة العثمانية.** ط2. بيروت: دار العلم للملايين، 1960. ص98
[97] المصدر السابق، ص110

يدعو إلى الاستقلال التام والانفصال عن جسم الإمبراطورية العثمانية، بينما البعض الآخر كان يرى حصول السوريين على الاستقلال الذاتي، مع البقاء في حظيرة الدولة العثمانية.

وكانت المنطقة العربية محط أنظار الدول الغربية الطامعة في اقتسام تركة الرجل المريض،* خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، وذلك نظرا إلى أهميتها الإستراتيجية وما يرتبط باحتلالها من مزايا وآثار في مجال السياسة الدولية والتنافس بين الدول الأوروبية الكبرى على مواقع النفوذ، وكانت تمثل في الوقت ذاته أهم الأقاليم العربية الواقعة تحت لواء الخلافة العثمانية. وأخيرا شهدت المنطقة العربية الإرهاصات الأولى لميلاد القضية العربية الحديثة التي نمت وترعرعت حتى وصلت إلى مرحلتها الحاسمة.[98]

الرواد الأوائل واليقظة العربية

كان القرن التاسع عشر شاهدا على **الرواد الأوائل من المفكرين والأدباء** من مسيحيين ومسلمين في لبنان وسوريا، الذين حملوا لواء النهضة الفكرية والأدبية ومهدوا الطريق للآخرين.[99] فقد فتح عصر التحديث الباب للنزعة القومية الأوروبية، التي سادت القرن التاسع عشر.[100] وبعد قيام الثورة الفرنسية عام 1789، وانتقال صداها إلى الشرق أخذ المتنورون يتحدثون عن القومية والوطن والمساواة والحرية والأمة والحقوق الطبيعية والثورة، وأخذ الأدباء يناقشون الأمور بطريقة الفكر المتحرر، وكان هؤلاء الرواد الأحرار قد تشربوا المبادئ الدستورية وثقافة الغرب، أمثال مدحت باشا وفرنسيس فتح الله ومراش الحلبي وعبد الرحمن الكواكبي وجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا وجبران خليل جبران وأديب اسحق وعبد الله النديم ورفاعة الطهطاوي وشبلي شميل. وهم الذين شنوا حربا على الاستبداد والحكم المطلق. وأعلنوا أن على الحكومات واجب الأخذ بمبادئ الحرية، وأساليب الحكم الدستورية، رافعين مبدأ أن السلطة والسيادة للأمة وللشعب، وأن الفئة الحاكمة ليست سوى خادمة للأمة.[101]

*الرجل المريض:تعبير ساخر أطلقته الديبلوماسية الأوروبية على الدولة العثمانية المحتضرة في ذلك العصر.

[98] محمد الخير عبد القادر. **نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية فى خمسين عاما 1875- 1925** . القاهرة: مكتبة وهبه، 1985. ص7

[99] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914** القاهرة: دار الهنا للطباعة والنشر، 1960. ص20

[100] بشير موسى نافع. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية**. القاهرة: دار الشروق، 1999. ص111

[101] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص20- 21

وبدأت الأمة العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر تتجه نحو الوعي والشعور بالكيان الذاتي، وذلك بعد أن تعددت مدارسها، وكثرت مطابعها، وانتشرت الصحف، والكتب في أيدي أبنائها،[102] وظهرت موجة من الترجمة من اللغات الأوروبية المختلفة، كل هذه الأمور ساهمت في خلق فهم وإدراك جديد للنظريات المتواجدة في باقي أنحاء العالم.[103] فتفتحت الأذهان ووعى الأفراد لتاريخ أمتهم، فكان ذلك مقدمة لحركة سياسية، تحمل في طياتها شيئا من الوعي القومي، وتتقدم بخطى بطيئة، ثم بدأت بالوضوح شيئا فشيئا، حتى اتضحت معالمها في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين.[104]

واقتصرت اليقظة العربية في البداية على النواحي الأدبية والثقافية نتيجة وجود المدارس الحديثة، والمدارس التبشيرية، وانتشار الطباعة والصحافة، مما أدى إلى انتعاش اللغة العربية والأدب العربي المفرغ من أي مضمون سياسي،[105] فخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قدم الأدباء والكتاب العرب المسيحيون إسهامات مهمة، في إحياء اللغة العربية، وجعلها أيسر استعمالا للكتابات الحديثة وللصحافة، وجعلها لغة علمانية.[106]

وكانت بداية اليقظة العربية في بيروت، على يد بطرس البستاني ونصيف اليازجي، إلا أن نشاطهما توقف بعد سنة 1878، وذلك بعد أن تم تعليق العمل بالدستور، وحل البرلمان، وملاحقة الإصلاحيين، وكان تأثيرهم السياسي معدوما؛ لأن السلطان عبد الحميد استطاع بسياسته الإسلامية والتقرب من العرب، كسب دعم معظم العرب والمسلمين، حتى حدوث الانقلاب 1908، وعزله عن العرش 1909.[107]

---

[102] نفس المصدر السابق، ص12

[103] نعمان عاطف عمرو. **"مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920 "**. الخليل: جامعة القدس المفتوحة، 2008. ص3

[104] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص12

[105] عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص246

[106] بشير موسى نافع. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية**. ص112

*بطرس البستاني: (1819- 1883)عمل في التعليم أسس في عام 1863، المدرسة الوطنية التي قامت على الفكرة الوطنية وليس الدينية. ألف قاموساً للغة العربية ظهر في جزئين في 1870م، بعنوان "محيط المحيط" واختصره الى "قطر المحيط" وضع موسوعة عربية باسم "دائرة المعارف"، ظهر منها ستة مجلدات قبل موته، اصدر في عام 1860، صحيفة اسبوعية (نفير سورية)، واصدر بطرس البستاني في عام 1870، "الجنان" وهي مجلة أدبية سياسية نصف شهرية، استمرت حتى عام 1886. كما اصدر "الجنة"، وكانت هي الاخرى نصف شهرية، و "الجنينة"، التي استمرت ثلاثة أشهر.

* ناصيف اليازجي: ولد ناصيف اليازجي عام (1800- 1871) في لبنان ألف الكتب المدرسية في العلوم العربية، في عام 1840، علم اللغة العربية التي لم يتقن سواها، ويعقد الحلقات الأدبية للعرب، من كافة المذاهب. اصدر كتابه "مجمع البحرين".

[107] عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص246

- النزعة الانفصالية في سورية

خطت حركة التحرر القومي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876- 1909)، خطوات حاسمة، وانتقلت من كونها حركة أدبية إلى حركة سياسية.[108] وذلك بالمنشورات التي كانت تلصقها بعد منتصف الليل، على الجدران قرب قنصليات الدول الأجنبية[109] فخلال حكم السلطان عبد الحميد وفي مناسبات نادرة ظهرت بعض المنشورات القليلة في بيروت ودمشق هاجمت "الحكم التركي وطبيعته التعسفية"، وطالبت بإنجاز "حكم ذاتي عربي، ولا مركزية، وإصلاح"[110] كما أن بوادر الوعي القومي، التي ظهرت بداية في بلاد الشام، أخذت تنتشر إلى الأقطار العربية المجاورة.

وفي عام 1875، ظهر أول جهد سياسي منظم في بيروت، حين قام بعض الشباب المثقف بتأسيس (جمعية بيروت السرية). فقد وضعوا للجمعية برنامجا قوميا سالكين طريقة جديدة للتعريف بها، وذلك عن طريق تعليق النشرات والإعلانات الثورية على الجدران، التي وزعت سرا في مدن لبنان وسورية.[111] هذه النشرات حملت على مساوئ الحكم التركي، واعتبرتهم مغتصبين للخلافة، واتهمتهم بالقضاء على اللغة العربية ودعت إلى حكم ذاتي مستقل للعرب،[112] وحثت الشعب على الثورة والإطاحة به. وعندما اشتدت وطأة استبداد السلطان عبد الحميد وجدوا أن من الحكمة أن يتم تعليق نشاطها. وأخذت نشراتها مضامين جديدة مثل:- التأكيد على أهمية الوحدة بين مكونات الشعب المختلفة، والحث على نبذ الخلافات، وتوحيد الجهود تحت شعار العروبة. شعارها سيف مسلول وتحته عبارة :"بالسيف تتحقق الأهداف البعيدة، فجرده إن كنت ترغب في النجاح"،[113] أما برنامج الحركة فتضمن: توحيد لبنان مع سوريا، والحصول على الاستقلال، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد، وإزالة الرقابة عن الصحف ورفع القيود عن حرية التعبير والفكر، واستخدام الفرق العسكرية المحلية فقط.[114] وقد انتسب إليها أعضاء من نحلتين: المسيحية والإسلامية، كما كان لها فروع في كل من دمشق وصيدا وطرابلس، وقد كانت تضرب على وتر الوحدة المسيحية الإسلامية من الوجهة القومية والوطنية. وكانت منشوراتها موجهة للمسيحيين والمسلمين على

---

[108] عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916.** دمشق: (د.ن)، 1974. ص350
[109] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص25
[110] بشير موسى نافع. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية**. ص112
[111] عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص350
[112] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص25
[113] عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص350
[114] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص26

السواء.[115] وكان الأدباء والشعراء أمثال إبراهيم اليازجي، ونجيب الحداد، وأيوب ثابت، وعبد الرحمن الكواكبي، يعززون هذه الأفكار، وينشرون القصائد التي تتغنى بأمجاد العروبة، وتدعو أبناء العرب إلى النهوض.[116]

وهكذا يمكننا اعتبار العمل الثوري لجمعية بيروت السرية أول حلقة في سلسلة من الحركات المتتابعة، وإن لم يكن لها نتائج ملموسة، إلا أن أهدافها أصبحت شعارا للحركات السرية.

وكان نمو الوعي القومي العربي بطيئا، حيث تأخر ظهوره حتى أوائل القرن العشرين، وفي خلال هذه الفترة لم ينبض بالحياة سوى مرتين، الأولى عندما أخذت جمعية بيروت السرية على عاتقها محاولة إيقاظه، والثانية عندما أحدث الكواكبي بعض الهيجان،[117] وقد ترك الكواكبي كتابين مشهورين هما: طبائع الاستبداد، وأم القرى. وقد طبع هذان الكتابان في مصر، ووزعت بعض نسخهما في سورية سرا.[118] كما تميز الكتابان بوضوح مشروعهما، في تبرير استرداد الخلافة إلى العرب، وفي ضرورة الفصل بين السلطات الزمنية والدينية.[119]

أما في دمشق فقد تكونت **حلقة الشيخ طاهر الجزائري** قُبيل إعلان دستور سنة 1908، وهو احد أعلام الإسلام والعروبة، وقد عرف الشيخ طاهر بالأفق الإسلامي الواسع والنزعة الإصلاحية العلمية،[120] وقد كان يتحلق حوله في هذه الحلقة عدد من صفوة المتعلمين والمفكرين والنابهين العرب في دمشق. مثل الشيخ جمال الدين القاسمي، وعبد الحميد الزهراوي، ومحمد كرد علي، وعبد الرزاق البيطار. مما كان له أكبر الأثر في نشر الوعي والعلم، وازدياد نشاط الحركة الثقافية وفي مدارسة العلم، وآداب اللغة العربية، وتاريخ العرب.[121] كما أنشأ الشيخ طاهر "الجمعية الخيرية"، وأقنع والي الشام أن يقوم على رعايتها، وأن يهيئ لها أسباب النهوض والنشاط، وكان الهدف منها إنشاء المدارس الحديثة، وتحسين أساليب التعليم، وإنشاء مكتبة عامة في دمشق. إلا أن

---

[115] محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**. .بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1971. ص94
[116] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص26
[117] المصدر السابق، ص28
[118] عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص524
[119] بشير موسى نافع. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية**. ص112
[120] محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**. ص98
[121] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص17

السلطان عبد الحميد علم بنشاط الشيخ والجمعية، فأصدر أمرا بإلغاء الجمعية، واتهم الشيخ بالاشتراك في أعمال عدائية موجهة ضد السلطان، مما حدا بالشيخ لجوء إلى مصر.

وانبثق عن هذه الجمعية كتلتان سياسيتان هامتان. واحدة في دمشق،[122] وهي أول جمعية سرية سياسية، كانت مؤلفة من بعض الأعضاء المتعلمين من الترك والعرب، هدفها جعل الحكم شورى في الدولة، ونشر الدستور، والسعي لمحاربة الحكم المطلق للسلطان عبد الحميد واستبداده،[123] والعمل على إقامة حكومة ثورية، من أعضائها العسكريين سليم الجزائري، ومن المدنيين العرب شكري العسلي، وفارس الخوري، وبدري بك أمير اللواء، وحسين عوني من علماء الترك مديرا للمعارف في دمشق،[124] كما كانت على اتصال سري برجال جمعية تركية الفتاة التي كانت تسعى لنفس الهدف، وقادت حركة الثورة على السلطان عبد الحميد، مما أجبره في سنة 1908، على إعلان الدستور.[125]

أما الكتلة الثانية فقد تأسست بداية في دمشق سنة 1906، وعرفت باسم "جمعية النهضة الوطنية" وكان من بين المؤسسين لها صلاح الدين القاسمي، ونجيب الشهابي وعارف الشهابي، وصلاح الدين العظم، وعثمان مردم بك، ثم تأسس في الآستانة فرع لها تحت إشراف محب الدين الخطيب وقد تحولت هذه الجمعية بعد إعلان الدستور إلى جمعية النهضة السورية، تفاديا لضغط حكومة الاتحاد والترقي، التي أخذت تنظر بعدم الرضا إلى نشاط شباب العرب القوميين.[126]

وفي باريس أنشئت جمعيتان عربيتان، ففي سنة 1904، أنشأ **نجيب عازوري** الذي هرب من ظلم الحكم الحميدي واضطهاده "جمعية رابطة الوطن العربي"، التي كانت تدعو إلى تحرير بلاد الشام والعراق من سيطرة الأتراك، وأصدر نداءات نارية، حث فيها العرب على الثورة ضد الأتراك، كما أصدر كتابا بعنوان "يقظة الأمة العربية" باللغة الفرنسية في سنة 1905. وفي نيسان 1907، أصدر مجلة شهرية اسمها "الاستقلال العربي"، هدفها نشر المعلومات عن البلاد العربية، وإثارة الاهتمام بذلك، ودعا الى إعادة العمل بالدستور العثماني، وأثارت جهود عازوري بعض

---

[122] محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**. ص98- 99

[123] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ترجمة: صالح احمد العلي.تقدم ومراجعه: نقولا زيادة. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1960. ص19

[124] محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**. ص98- 99

[125] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص19

[126] محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**. ص99- 102

الاهتمام في أوروبا إلا أنها كانت عديمة الفائدة بالنسبة للحركة في المشرق.[127] فقد ذكر مصطفى الشهابي، أحد الناشطين العرب، أن الطلاب العرب في باريس لم يعلموا عن كتاب عازوري شيئاً، ولم يبدِ العرب اهتماماً بأفكاره.[128] وأكد عازوري في كتابه "يقظة الأمة العربية" على إيمانه بوجود أمة عربية واحدة، تضم المسيحيين والمسلمين على حد سواء، كما هاجم الأتراك، وادعى بأن السبيل الوحيد أمام العرب هو العمل للاستقلال، بمساعدة أوروبا.[129] كما أصدر عازوري صحيفة (يقظة العرب) باللغة الفرنسية.[130]

كما أنشأ **خيرالله خيرالله** في سنة 1905، جمعية ثانية تدعى (عصبة الوطن العربي) ذهبت إلى ما ذهبت إليه "جمعية رابطة الوطن العربي.[131] وكلا الاثنين نجيب عازوري وخيرالله خيرالله كانا يكتبان في الصحافة الفرنسية، مقالات نارية ينددان فيها باضطهاد واستبداد الإمبراطورية العثمانية، ويدعوان العرب إلى القيام بالثورة على الأتراك والسعي إلى الاستقلال عنها.[132]

2- نشأة حركة تركيا الفتاة وتأسيس جمعية الاتحاد والترقي

لم تقتصر المقاومة العثمانية لاستبداد السلطان عبد الحميد الثاني على الحركات الثقافية والقومية والسياسية العربية فقط، بل ظهرت حركات تركية عثمانية كان هدفها الأساسي الإطاحة بالسلطان عبد الحميد وإعادة العمل بالدستور. فالمعاناة من الاستبداد الحميدي لم تقتصر على فئة معينة من العثمانيين، بل شملت كل أبناء العثمانيين دون تمييز بين المسلمين والمسيحيين واليهود، لذلك أصبحت مسألة الانقلاب على النظام من أجل إعادة العمل بالدستور، ونشر الحرية، والعدالة والمساواة، موضوعاً عاماً يخص كل العثمانيين. كما أن نشأة حركة تركيا الفتاة والأحرار، لم تكن وليدة عهد السلطان عبد الحميد، بل ظهرت إبان حكم السلطان عبد العزيز (1861- 1876)، وترأسها مجموعة من الأدباء العثمانيين أمثال مصطفى فاضل باشا، ونامق كمال، وضيا باشا، وعلي سعاوي أفندي، حيث عرفوا باسم العثمانيين الجدد، وقد ظهرت نشاطاتهم الأدبية في مقاومة الاستبداد من خلال الصحف والروايات والكتب التي ألفوها.

---

127 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص529
128 بشير موسى نافع. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية**. ص 113
129 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص529
130 محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**.ص145
131 المصدر السابق. ص102
132 المصدر السابق. ص145

حظي السلطان عبد الحميد بفترة من الهدوء النسبي، وذلك بعد أن علق العمل بالدستور سنة 1878، وبعد أن فرق وأبعد رجال الإصلاح وأنصار الدستور وهجر البعض الآخر منهم، فعملوا في كل من القاهرة وباريس وجنيف ولندن، إلا أن تأثيرهم في داخل أراضي الإمبراطورية العثمانية بقي محدوداً إلى عام 1905، عندما انتصرت اليابان عسكريا على روسيا القيصرية، وعندما قام نظام برلماني في روسيا وإيران، عندها قويت المعارضة وأعادت نشاطها ضد استبداد وقمع السلطان عبد الحميد.[133]

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فرض واقع الغليان الفكري والاجتماعي للدولة العثمانية ظهور تنظيمات سياسية تتفاعل معه، وتعمل على تلبية رغباته، فقد جمعت بين شعور جارف بالاستياء من الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية، ورغبة جياشة في التغيير،[134] وذلك نتيجة الخلل في الإدارة والاستبداد والتعسف بالأمة. وتأسس في اسطنبول ما عرف بـ "جمعية الاتحاد والترقي"، من أجل إخماد نار الفتن المشتعلة في البلاد، والمطالبة بالحرية، والعدل لجميع الأمة العثمانية، والتأكيد على روابط الحب، والأمان، والوحدة بين جميع العثمانيين، المكونة من المسلمين والمسيحيين واليهود.[135]

ويمكن متابعة تشكل النواة الأولى لجمعية الاتحاد والترقي بين الفئة المثقفة، وضمن الصفوف الطلابية بالذات، وهي الجهة التنفيذية لحزب تركيا الفتاة التي تم تأسيسها سنة 1865، وأطلق عليهم حينها الشباب العثمانيون، وقد تشكلت بداية على يد عدد محدود من طلاب مدرسة الطب العسكرية في اسطنبول، وكان عملها يجري بدرجة عالية من السرية، لئلا يكشف أمرهم من قبل أعوان السلطان عبد الحميد الثاني. وقامت الدول الأوروبية، وبالذات بريطانيا وفرنسا، الذين يريدون التخلص من الإمبراطورية العثمانية بأي ثمن، بدعم هذه الجمعية.

وكان أعضاء هذه الجمعية عندما يشعرون أن عيون السلطان تلاحقهم، يهربون إلى الدول الأوروبية، والتي كانت تقدم لهم الحماية والتسهيلات كي يصدروا الصحف المعارضة للسلطان.[136] ففي الحادي والعشرين من أيار سنة 1889، قامت مجموعة من طلبة الكلية الطبية العسكرية

---

[133] عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص239- 240

[134] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر - 1908).** أطروحة دكتوراه، كلية الآداب. جامعة بغداد، بغداد: 2006. ص133

[135] محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص121

[136] اسماعيل نوري دوري."محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني".**مجلة تكريت للعلوم الانسانية.** المجلد (16)، العدد (3)، آذار 2009. ص328- 374. ص342

بتشكيل جمعية سرية بهدف واضح هو معارضة النظام الاستبدادي الحميدي،[137] وعزل السلطان عبد الحميد. ويُعَدّ تكوين هذه الجماعة البداية الحقيقية لحركة تركية الفتاة ضد السلطان عبد الحميد، وجاء ذلك بمبادرة من الطالب الألباني إبراهيم تيمو*. الذي قضى عدة سنوات في هذه الكلية كطالب، مما وفر له الفرصة الكافية للتعرف على عدد من الطلاب الذين يشاركونه في الرأي.

تناقش إبراهيم تيمو في أيار/مايو سنة 1889، مع زملائه الطلاب المتفقين معه، والذين كان يعرف آراءهم وتوجهاتهم،[138] وبدأ مباحثاته مع إسحاق سكوتي، وهو كردي من ديار بكر، ومحمد رشيد، شركسي من القوقاز، وعبد الله جودت، كردي من عربكير،[139] وعرض عليهم أن يقوموا بتشكيل منظمة وطنية سرية. وهكذا أصبح الطلاب الأربعة هؤلاء نواة جمعية سرعان ما انضم إليها طلاب آخرون مثل جودت عثمان وسلانيكي ناظم*.[140] ثم انضم إليهم حسين زادة علي من باكو. واختار المؤسسون اسما لجمعيتهم وهو "الاتحاد العثماني".

وعقد الأعضاء الشبان اجتماعاتهم بصورة جدية،[141] وأصبحوا يطلقون فيما بعد اسما خاصا على كل اجتماع، فأطلقوا على الاجتماع الأول اسم (اجتماع الأربعة)[142] وقد تمحورت المباحثات في هذه الاجتماعات حول أوضاع الدولة العثمانية، والتغني بقصائد نامق كمال* وقراءة كتاباته، والحديث عن الثورة الفرنسية. كما دارت المناقشات حول نظام العمل في الجمعية، وأسلوب قبول الأعضاء، حيث أصر إبراهيم تيمو على جعل القبول مفتوحا لكل عثماني، بغض النظر عن قوميته وديانته، طالما أثبت حسن نيته واستعداده للكفاح ضد الحكم الاستبدادي. كما تم انتخاب هيئة إدارية للجمعية أصبح بموجبه علي رشدي رئيسا للجمعية، وانتخب شرف الدين مغمومي أمينا للسر، وعساف درويش أمينا للصندوق.

---

[137] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص133

*إبراهيم تيمو: الباني الأصل، ولد في اذار/ مارس - 1865م في بلدة ستروغا في يوغسلافيا سابقا،تلقى تعليمه الأولي في بلدته ثم انتقل إلى اسطنبول، والتحق بالمدرسة الطبية العسكرية عام 1886، ولما تخرج فيها بعد سنتين التحق بالكلية الطبية العسكرية وتخرج فيها طبيبا للعيون عام 1893، هرب إلى رومانيا عام 1895، واصدر مجلة صدى الملة، ولما أعلن الدستور عام 1908، عاد إلى اسطنبول وأسس الحزب العثماني الديمقراطي، مات في مجيدية برومانيا في أب/أغسطس 1945.

[138] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص49- 50

[139] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص134

[140] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص50

*ناظم السلانيكي: احد طلاب المكتب العسكري. تأثر بالافكار الغربية، نفي الى آسيا الصغرى ففر الى باريس حيث تابع دراسة الطب. واصبح عضوا في جمعية الاتحاد والترقي.

[141] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص134- 135

[142] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص51

وبهذه اللقاءات تحوّلت الجمعية من مجموعة من الطلاب إلى مؤسسة ذات إطار عمل محدد، ومعقد بعض الشيء.[143] وكانت هذه الجمعية الأولى لتركيا الفتاة وكانت تدعى (الترقي والاتحاد) وليس (الاتحاد والترقي)- وهو الاسم الذي اشتهرت به فيما بعد-،[144] فقد قسمت الجمعية إلى خلايا، ضمت كل خلية خمسة أعضاء،(التنظيم الخماسي، أي كل فرد منهم يقود خمسة، ولكل منهم رقم، فلا يعرف أحدهم الآخر)،[145] للحيلولة دون إلقاء القبض على أعضائها، كما اتبعت طرق التنظيم الإيطالي إذ أن الأعضاء فيها يعرفون بعضهم بعضا بأرقام كسرية، وتتكون هذه الأرقام الكسرية من ترقيم كل خلية جديدة في الجمعية ثم بإعطاء رقم لكل عضو في تلك الجماعة، فكان رقم المنتمي هو البسط، ورقم الفرع أو الخلية هو المقام . وكان رقم منشئ الحركة إبراهيم تيمو "1/1".[146] أي العضو الأول في الخلية الأولى، وبنفس الطريقة تم إعطاء الأرقام الأخرى لبقية الأعضاء الآخرين، الذين تقرر أن تقتصر دائرة معارفهم من أعضاء الجمعية على أعضاء الخلية فقط.

دفع هذا التنظيم الكثير من الباحثين، بدءا من رامزور، والعديد ممن ساروا على نهجه إلى التأكيد على تأثرهم بمنظمة الكاربوناري* (Carbonari) وهذا الاحتمال ممكن، وفي ذات الوقت توجد إشارات واضحة على تأثرهم بالجمعية اليونانية السرية فيليكي ايتيريا* (Filiki Eteria)، حيث أن إبراهيم تيمو كان قد أشار إليها، بوصفها نموذجاً، منذ الاجتماع الأول لتأسيس الجمعية، وخلال الاجتماعات، قام بشرح أعمالها وتنظيماتها للمؤسسين. وفي الحقيقة إن الجمعيتين كان يجمعهما الكثير من التشابه، لاسيما في الجانب التنظيمي، حيث أن الجمعيتين شربتا من مصدر واحد هو الماسونية*.[147]

---

*محمد نامق كمال (1840- 1888)وهو أديب تركي مشهور، وصحفي، ورجل دولة، كما أنه شاعر من رواد القومية التركية وينتمي لحركة العثمانيين الشباب. وهو من رواد التيار القومي وأيضاً من مثقفي عصر التنظيمات الذي ينتمي لمفاهيم حب الوطن، والحرية، والقومية.

143 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص135- 136

144 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص50

145 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص136

146 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص50- 51

*الكاربوناري، أو حارق الفحم جمعية سرية تأسست في إيطاليا أوائل القرن التاسع عشر من مجموعة استفزتهم السيطرة الأجنبية على بلادهم، ورفعت الجمعية (الحرية والاستقلال)' شعارا لها. جمع بينها وبين الجمعيات الماسونية تشابه كبير في طبيعة الحفلات وماهية المراسيم والشعائر والأقسام والعهود. وكانت هذه الجمعية أشهر الجمعيات السرية في إيطاليا، وأكثرها نفوذا، أدت دورا فاعلا في الثورات لسنوات 1821 و1831، وأسهمت بشكل متميز في حركة الانبعاث والوحدة الإيطالية

*فيليكي ايتيريا، وتعني (جمعية الأصدقاء)'، وهي جمعية سياسية سرية أسسها في روسيا التجار اليونانيون المقيمون هناك عام 1814، ثم مدت نشاطها إلى أقاليم الدولة العثمانية، مع تركز أكبر في اليونان، وفي العام 1818 نقلت الجمعية مركزها إلى اسطنبول. رغم اقتصار أعضاء الجمعية في المراحل الأولى على التجار، فأنها ما لبثت أن ضمت بين صفوفها مختلف فئات المجتمع اليوناني، فمع التجار صار هناك الحرفيون، وملاك الأراضي، ورجال الدين، والمثقفون. وتزايد عدد أعضاء الجمعية بشكل سريع، فتراوح عام 1820 ما بين 80 ألف و200 ألف عضو، ساعد على نجاح نشاطها بنيتها التنظيمية المقتبسة، بدرجة كبيرة، من الكاربوناري والماسون. وقد تمكنت الجمعية من تهيئة الأوضاع للثورة في اليونان وإعلان الانتفاضة عام 1821.

وقد كتب السلطان عبد الحميد في مذكراته، أن الأتراك الشباب أو تركيا الفتاة كانوا منتسبين للمحفل الماسوني الانجليزي، ويتلقون معونة مادية منه فقد كانوا كلهم من الماسون تقريبا.[148]

أخذت الجمعية بعد بدايتها المتواضعة تنتشر بسرعة في المدرسة الطبية الحربية أولا، ثم امتدت إلى المدارس العليا الحكومية الأخرى في اسطنبول، مثل الكلية العسكرية، والكلية البحرية، والمدرسة البيطرية، والكلية الملكية، وهي معهد لتدريب موظفي الحكومة، ومدرسة المدفعية والهندسة،[149] ومدرسة الإدارة، وقد ساعدها في ذلك الجو الثوري المسيطر في هذه الأماكن، الذي كان من بين مظاهره ازدياد أعمال العصيان، وارتفاع هتافات الطلاب، مرارا بـ (يحيا الدستور) و (يسقط السلطان) بدلا من (عاش السلطان). كما بدأت الجمعية، تحظى بأنصار من بين ضباط الجيش، والعاملين في صفوف البيروقراطية.[150]

أما لماذا ارتفع علم الثورة على السلطان عبد الحميد بين طلاب الحربية؟

فلم يكن ذلك صدفة لأن تكون الكلية الطبية العسكرية أرضا صالحة للجمعية؛ إذ حافظت المدارس العسكرية على مستوى عالٍ نسبيا كي تلائم التقاليد العسكرية العثمانية،[151] كما كان الفن الطبي والعسكري يمثلان قطاعين مهمين من قطاعات الدولة، حيث جرى العمل بإصلاحات التحديث فيهما منذ مرحلة مبكرة، وكانا، بحكم موقعهما، متقدمين في أغلب الأحيان على بقية المجتمع،[152] وصارت تحتوي على كل التناقضات، كما سمح السلطان للأجانب بالقدوم إلى اسطنبول كي ينظموا جيشه، وبهذه الطريقة عرض طلابه في المدارس الحربية إلى تأثيرات الغرب، وهي التأثيرات ذاتها التي أبعدها بكل ما أوتي من قوة عن مملكته في كل المجالات التي من الممكن إقصاؤها عنها.[153] بالإضافة إلى أن التدريس منذ البداية كان باللغة الفرنسية، في الكلية الطبية العسكرية، وهو ما أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام طلابها كي ينهلوا من الفكر الأوربي، ويكونوا على اتصال أكثر بالعلوم والمفاهيم الغربية، وارتباط أقوى بالاتجاهات الفكرية

---

147 عبد ياسين، نادية. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص136-137

*الماسونية: (Mason) تعني البناء أضيفت لها كلمة (Free) (Free Mason) لتصبح البناء الحر ولهذه الجمعية ممارساتها وطقوسها، وتسمى فروعها المحلية (المحافل)، وهي عبارة عن منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكاراً واحدة فيما يخص الأخلاق والكون والحياة والإيمان. تتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض وبالذات في شعائرها مما جعلها محط كثير من الأخبار والشائعات.

148 محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص115

149 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص51- 52

150 عبد ياسين، نادية. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص134- 135

151 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص52

152 عبد ياسين، نادية. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص134

153 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص52

ألأوروبية، والابتعاد أكثر فأكثر عن الموروث الفكري السائد، إذ إن مناهجهم قد خلت من دراسة العلوم التقليدية أو الدينية، واتصفت بطابع عصري، قياسا على كل أنواع المعرفة السائدة، لينعكس كل هذا في طبيعة نظرتهم لواقعهم الاجتماعي، والشكل الذي أرادوا أن يكون عليه.[154] أيضا لم تتواجد لأبناء الأسر العثمانية المتوسطة مجالات كثيرة لمستقبلهم بشكل عام، لذا لم يكن أمامهم إلا اختيار أحد وظائف الدولة، لهذا كانوا ينخرطون في سلك الجيش، أو الدخول في الوظائف المدنية في الحكومة، وقد نتج عن هذا أن الطبقة المثقفة من الشبان في الإمبراطورية كانت موجودة في المدارس سالفة الذكر، وأن الطلاب الأربعة الأوائل كانوا خير من يمثل هذه الجماعة. فعبد الله جودت مثلا تخرج في سنة 1894، في الكلية الطبية ثم راح ينشر كتباً طبية أكسبته بعض الشهرة في هذا الميدان، كما أصبح معروفا كمترجم، إذ حرص على ترجمة كتب من الآداب الفرنسية والألمانية والفارسية والإيطالية والإنكليزية إلى العثمانية. وتأدب الشبان الثوريون بسببه بأدب الشعراء القوميين المعروفين، مثل نامق كمال، ضياء باشا، وسناشي باشا.[155]

بدأت الجاسوسية النشطة لعبد الحميد، منذ العام 1890، بالتقاط الأخبار عن وجود نشاط بين صفوف الطلبة، على الرغم من كل المحاولات للحفاظ على سرية الجمعية. وفي سنة 1892، وصلت إلى قصر يلدز معلومات تؤكد وجود تنظيم سياسي داخل الكلية الطبية الحربية،[156] فقد قام ثلاثة من الطلاب الضعاف النفوس، بتقديم تقرير للقصر يوضحون فيه أن "أفكار الحرية" تنتشر بطلاقة في الكلية الطبية العسكرية.[157] وبأن الكلية تعج بالمطبوعات الممنوعة، وعن احتمالية قيام فعاليات ضد النظام في القريب العاجل، عندئذ قامت عمليات تفتيش واسعة في الكلية،[158] وتم نقل مدير الكلية الحربية علي صائب باشا من منصبه، وعهد بالمنصب إلى زكي باشا مدير المدارس العسكرية، وطلب منه أن يقضي على هذه المؤامرة، وتم التحقيق مع عدد من الطلاب منهم عبد الله جودت إلا أنه سمح له بإكمال دراسته حيث عاد إلى العمل ضد السلطان. كذلك استمرت الجمعية في التوسع. ثم دخلت الجمعية منعطفا جديدا، وأخذت تبحث عن مناصرين لها من خارج المدارس

---

154 عبد ياسين، نادية. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص134
155 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص52- 53
156 عبد ياسين، نادية. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص138
157 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص53
158 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص138

والكليات.[159] وتوسعت في جذب عناصر جديدة، مثل نائلي أفندي شيخ دراويش المولوية، بل لم تلبث الجمعية أن بدأت بنشر نشاطها بين صفوف العثمانيين الموجودين خارج الإمبراطورية العثمانية من المنفيين، اختيارا أو جبرا.[160] ففي سنة (1894- 1895) أخذ عدد من الطلبة القدامى الذين أصبحوا موضع شبهة من أعضاء الجمعية يهربون بانتظام إلى أوروبا حيث تركز معظمهم في باريس.[161] وذلك نتيجة سياسة النظام الحميدي الاستبدادي.

وأخذت تتكون نواه للجمعية في لندن والقاهرة ورومانيا، وفي باريس وجنيف بشكل خاص. وكان من بين هؤلاء الطلاب إسماعيل زهدي، وناظم السلانيكي الذي كلف أن يتصل بالمعارضة في فرنسا، وتمكن من إقامة علاقة مع أحمد رضا بيك* (1859-1930) المعارض المعروف لعبد الحميد، والذي كان يعمل عام 1892، مديرا للمعارف العمومية في ولاية بروسة، وقد ترك هذه الوظيفة وذهب إلى باريس بحجة زيارة معرضها الدولي العام وبقي فيها،[162] وعندما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي سنة 1894، إلى باريس ، زار الوفد أحمد رضا في بيته وعرضوا عليه الانضمام إليهم، الذي سرعان ما وافق على ذلك.[163] وعندما وصل ناظم سلانيكي إلى باريس اتصل مع أحمد رضا كي يعرض عليه إدارة صحيفة (مشورت)، وهي الصحيفة الرسمية الناطقة بلسان الجمعية. وبهذا أصبح أحمد رضا عضواً فاعلاً بالمنظمة.[164] وأصبح رئيسا لفرع باريس،[165] وقد قدر له أن يصبح أشهر رجل في تركيا الفتاة في أوربا.

وفي أواخر العام 1895، بدأ بالتعاون مع خليل غانم* وعدد من المعارضين الآخرين، وقام بإصدار صحيفة (مشورت) لسان حال جمعية الاتحاد والترقي العثمانية،[166] وبعد جهود متواصلة

---

159 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص53

160 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص138- 139

161 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص54

*أحمد رضا: ولد أحمد رضا بك في اسطنبول سنة 1859، تخرج في مدارس الآستانة وعين مديرا للمدرسة الإعدادية في مدينة بروسة ذهب إلى باريس سنة 1890، لدراسة الزراعة بعد أن راعه واقع الفلاح التركي ولشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية، لكنه لم يتمكن من تحقيق أي من طموحاته في الإصلاح الزراعي، وفضل الانتقال إلى التعليم لأنه السبيل الأمثل لتنوير أذهان الناس. وبعد مدة من عمله مديرا للتعليم في ولاية بورصة أحس بيأس وإحباط عميقين بسبب استحالة نقل أفكاره إلى حيز التطبيق، زار باريس بمناسبة المعرض الزراعي وبقي هناك مفكراً ليبرالياً ومن مؤسسي الاتحاد والترقي.

162 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص139

163 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص124- 125

164 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص55

165 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص125

*خليل غانم (1864-1907)، وهو عربي مسيحي من بيروت، مَثل سوريا في مجلس المبعوثان العثماني عام 1878، وبعد إغلاق المجلس توجه إلى أوربا منخرطا، منذ 1880، بالنشاط السياسي ضد عبد الحميد. نشرا، معبرا عن أفكاره ومواقفه السياسية، في مختلف الصحف الفرنسية، لاسيما الوضعية التي كان هو من مؤيديها، علاوة على العديد من الصحف العربية. من مؤلفاته كتاب عن السلاطين

صدر العدد الأول في الأول من كانون الأول 1895، من الجريدة باللغة التركية، وصدرت النسخة الفرنسية من الجريدة، في السابع من الشهر نفسه،[167] التي كان يتم إصدارها مرتين في الشهر مستخدمة اللغة العثمانية فقط، لأنها كانت موجهة للقراء في داخل الإمبراطورية. إلا أن أحمد رضا أضاف ملحقاً باللغة الفرنسية.

نشرت مشورت أهداف الجمعية بتاريخ 3 كانون الأول/ديسمبر 1895، وقدمته إلى قرائها بمقالة تحت عنوان (منهاجنا)، وفيه ذكروا أن احمد رضا وجماعته متفقون على نقطة أساسية، وهي ضرورة عثمنة سكان الإمبراطورية، وقد بقيت هذه نقطة أساسية، لم تتزحزح من منهاج أعضاء تركيا الفتاة المتأخرين، بالرغم من الآراء المعارضة من بعض العناصر.[168]

وانتعشت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية وثبتت خطواتها في الخارج، ونجحت في ترسيخ أقدامها بالداخل، وقامت بتأسيس فروع لها في مناطق مختلفة في أرجاء الإمبراطورية العثمانية، كان من أهمها فروع البلقان، وسلانيك، وأزمير، ودمشق، وبيروت، وطرابلس، وطرابزون، ورودس، وكريت، وليسبوس، كما وجد لها فروع في كل من انقره، وأضنه، وأدرنه، وقبرص، وحمص، وحماه والبوسنة، والموصل، وقسطموني. ولقد ازداد عدد المنتسبين إلى الجمعية بسرعة هائلة نظرا لطبيعة نظامها.[169]

انخرط العرب بشكل كبير في سياسات الإمبراطورية العثمانية. وتم الاستعانة ببعض أبناء العرب، من قبل السلطان عبد الحميد الذي قام بضمهم إلى حاشيته وإدارته، إلا أن المتنورين من العرب انبروا في معارضة نظام الاستبداد، وتعلقوا بمبادئ الدستور والحرية، مع تعلقهم بالدولة العثمانية، وكانوا يطالبون بدور أكبر للعرب في إدارة شؤون الإمبراطورية.[170] لذا كان فريق من الأحرار العرب من بين الهاربين من وجه السلطان عبد الحميد، وكان في مقدمتهم أعضاء من "المبعوثان" كضيا بك الخالدي، وخليل غانم، والأمير أمين أرسلان، الذين فروا إلى فرنسا، كما فر

العثمانيين يوضح لنا ماهية أفكاره، وعلى وفقها إن ما أهلك (الأمة العثمانية)'، الاستبداد. أما العلاج، على وفق رؤية خليل غانم، فكان يكمن في العودة إلى دستور 1876.

[166] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص55- 56

[167] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص143

[168] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص56-58

[169] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص144

[170] محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص10

غيرهم من الصحفيين السوريين إلى مصر، حيث وجدوا مساحة أوسع لحرية الفكر، فأخذوا يصدرون فيها صحفهم من جديد. كان أنشطهم خليل غانم لما قام به من جهد ونشاط في باريس، عندما التجأ إلى أوروبا، وذلك بعد أن تم تعطيل البرلمان، فقد أصدر في جنيف جريدة باسم (الهلال) ثم ذهب إلى باريس حيث أسس جريدة (تركيا الفتاة)، بالاتفاق مع الأمير أرسلان، وكان هذا قد أسس جريدة باسم (كشف النقاب). ولم يكتف خليل بذلك بل أخذ يكتب في مختلف الصحف الفرنسية خاصة (الديبا) مقالات يهاجم فيها حكم السلطان عبد الحميد واستبداده، كما عمل على إدارة جريدة فرانس انترناسيونال، كذلك كان يكتب في جريدة (الايكلير)، وكانت مقالاته تعبر عن إحساسه بالرابطة العثمانية التي تترفع على كل الخلافات. ففي مقال بعثه إلى الجريدة سنة 1897، كتب يقول: إن فئة الشباب العثماني فئة مستقلة، وإنها هيئة عامة تسعى إلى إحقاق الحق والقضاء على الظلم والاستبداد. وعندما قدم أحمد رضا إلى باريس اجتمع به خليل غانم، واتفقا معا على التحرير في جريدة (مشورات)، التي أصدرها باللغة التركية مع ملحق لها باللغة الفرنسية كما ذكرنا. ويعتبر أحمد رضا وخليل غانم من أبرز النشطاء الذين عملوا في جماعة تركيا الفتاة في باريس.[171]

كذلك كان للعرب نشاط آخر في محاربة عبد الحميد وطغيانه، وذلك عن طريق تأليف الجمعيات، وكان منها الجمعية الإصلاحية التركية- العربية، التي تزعمها الأمير أمين أرسلان، والتي عاشت فترة من الزمن. وعندما اشتدت وطأة الاستبداد في الإمبراطورية، لجأ رشيد رضا* وعبد الرحمن الكواكبي* ورفيق وحقي العظم وكثيرون غيرهم من بلاد الشام إلى مصر، وقد قام اللاجئون في مصر بإنشاء جمعية باسم "جمعية الشورى العثمانية، وقامت بإصدار منشورات تهاجم فيها حكم السلطان عبد الحميد، وتدعو إلى إنهاء حكمه، كما قاموا بإصدار صحيفة ناطقة باسم الجمعية، كان يشرف عليها حقي العظم في مصر.[172]

أما السلطان عبد الحميد فقد فزع من نشاطات الأحرار العرب وحركاتهم في محاربة نظام حكمه، واضطربت نفسه اضطرابا شديدا، عندما علم بتأليف جمعية عربية بالقاهرة تحمل اسم

---

[171] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص49- 50

*محمد رشيد علي رضا (1865- 1935) ولد في قرية القلمون، في لبنان. كان أبوه علي رضا شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، حفظ رشيد القران وتعلم القراءة والحساب، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية في طرابلس، ثم المدرسة الوطنية الإسلامية التي كانت تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، ويعتبر محمد رشيد رضا مفكراً إسلامياً صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا. وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده أسس مجلة المنار، توفي بمصر.

*عبد الرحمن أحمد الكواكبي(1855- 1902) أحد رواد النهضة العربية ومفكريها في القرن التاسع عشر، وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي، اشتهر بكتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، الذي يعد من أهم الكتب العربية في القرن التاسع عشر التي تناقش ظاهرة الاستبداد السياسي.

[172] محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**. ص102- 103

"جمعية الشورى العثمانية" في عام 1897، والتي أسسها محمد رشيد رضا من طرابلس الشام ورفيق العظم من دمشق، بعد أن هربا من ظلمه واستقرا في القاهرة، واشترك في إدارتها رجال آخرون من العثمانيين، من أتراك وشركس وأرمن، واعترف لمعاونيه بأنه لم يستطع النوم لثلاث ليال حتى علم من هم مؤسسوها؟ وأطلق عليها اسم (الجمعية الفاسدة)، كما كان للجمعية فروع خارج الإمبراطورية العثمانية، وكانت وسائل دعايتها تطبع بالعربية والعثمانية، وكانت ترسل منشوراتها إلى الموانئ العثمانية على البحر الأسود، عن طريق بحارة المراكب الروسية والمسافرين، ومن ثم يتم تسليمهم إلى أعوان سريين، ومن ثم يتم توزيعها في أنحاء البلاد المختلفة. كما يتم توزيعها عن طريق مكاتب البريد الأجنبية أيضاً– إذ حصلت مختلف الدول الأوروبية على امتياز إقامة مكاتب لها في أراضي الدولة العثمانية، من أجل مخابراتها الخاصة- فقد كانت أضمن واسطة وأسلمها كي تصل إلى داخل الإمبراطورية، ثم يتسلمها الرسل السريون ويقومون بتوزيعها على أفراد الرعية.[173]

كما هرب إلى مصر أيضا الشيخ عبد الحميد الزهراوي* الحموي النشأة الذي كان يصدر صحيفة سرية تدعى (المنير) في الآستانة يدعو من خلالها العرب إلى اليقظة والمطالبة بحقوقهم، فطاردته السلطات العثمانية، ففر إلى مصر حيث واصل نشاطه هناك إلى ما بعد إعلان الدستور 1908.[174]

- مؤامرة الانقلاب سنة 1896

نضجت الأوضاع للتحرك، في أواخر سنة 1896، داخليا ووصلت حالة عدم الرضا بين صفوف طلاب الكليات العسكرية والضباط حدودها القصوى، وذلك على خلفية ارتفاع عدد المبعدين والمفصولين من بين كل الصفوف. وخارجيا كانت تداعيات القضية الأرمنية* قد بلغت ذروتها،[175] وبقيت الجمعية عدة سنوات ليس لها سوى هدف واضح، هو خلع السلطان عبد الحميد

---

[173] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص51- 52

*عبد الحميد محمد الزهراوي(1855- 1916) من زعماء النهضة السياسية في سوريا ومفكر وصحفي وأحد شهداء العرب في ديوان عاليه العرفي.

[174] محمد عزة دروزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة**. ص143

*القضية الأرمنية: تميزت فترة حكم السلطان عبد الحميد بوقوع أولى المذابح الأرمنية فيها. وقد أنشاء السلطان عبد الحميد قوة من الخيالة الأكراد سماها (خيالة السلطان) او (الفرسان الحميدية)، وجعل مهمتها محصورة بالعمليات العسكرية ضد العصاة الأرمن. وفي سنة

والانقلاب عليه،[176] وكانت المجموعة العسكرية في الجمعية قد ضغطت من أجل ضرورة التحرك، وأن يكون الانقلاب في آب سنة 1896.[177] إلا أن محاولة الانقلاب فشلت، بسبب انكشاف أمرها بمحض الصدفة، نتيجة وشاية أحد أعضاء الجمعية نادر بك وهو مدير مدرسة تدعى "نمونه ترقي"- أي مثال الرقي-، الذي أباح بخطة الانقلاب تحت تأثير شرب الخمر في مطعم طوقاتليان في اسطنبول وذلك قبل موعد التنفيذ[178] إلى مفتش عام المدارس العسكرية، إسماعيل باشا، الذي أسرع بدوره لإطلاع القصر على كل التفاصيل،[179] مما أدى إلى نفي المتآمرين إلى مناطق نائية في السلطنة العثمانية، وكان من ضمن المنفيين: كاظم باشا، وحاجي احمد، وشيخ نائلي مع أخويه، وكمال بك المدعي العام لمجلس الدولة، ومكلي صبري، وزهدي بك رئيس ديوان المحاسبة. وقد تم وضع الجميع على ظهر سفينة، حيث تم توزيعهم على أماكن منفاهم. أما أخطر العناصر فتم إرسالهم إلى ليبيا. كما تم تعيين الضابط كاظم باشا حاكما على اشقودره *، وذلك بعد طرده من الخدمة.[180]

كان هذا قصاصا خفيفا يفرض على ضابط يحاول الانقلاب على السلطان. وقد وصف بالغرابة والتساهل، خاصة بعد أن ثبت تآمرهم ضده. لذا من الصعب أن نفهم المنطق في سياسة السلطان عبد الحميد في إيقاع عقوبة النفي فقط، فقد أدين المشتركون في مؤامرة الانقلاب سنة 1896، جميعهم بالخيانة قانونيا، ويحق للسلطان أن ينفذ فيهم عقوبة الإعدام، وقد استمر السلطان في استخدام سياسته هذه طوال مدة حكمه، كما استطاع بعض هؤلاء المبعدين الهرب من منفاهم واللجوء إلى أوروبا، بينما البعض الآخر طال بهم العمر واستمروا في نشر أفكارهم في البلاد.

وصل في خريف 1896، معظم من كان قد قبض عليهم من زعماء تركية الفتاة إلى أوروبا[181] وذلك بعد الضربة التي تلقاها فرع اسطنبول في العام 1896، وبذلك تحول ثقل

1894م قتل من الأرمن عددا كبيرا - وذلك بعد ان قتل الأرمن عدداً كبيراً من المسلمين- لأنهم انصاعوا لتحريض الجمعيات الأرمنية القابعة في أحياء باريس ولندن التي كانت تحرض الأرمن وتدفع السكان القانطين في اذربيجان وبتليس وزيتون وغيرها من بلاد اسيا الصغرى على الثورة.

175 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص152

176 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص61

177 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية ص152**

178 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص62-63

179 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص152

* اشقودره في ألبانيا

180 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص63-64

181 المصدر السابق، 64-65

الجمعية بعيدا عن يد السلطان عبد الحميد،[182] وتمركزوا في جنيف وباريس، خاصة بعد أن بدأت الحكومة المصرية تبدي عدم ارتياحها من نشاط تركيا الفتاة، مما دفع اللجنة الإدارية للجمعية للانتقال إلى أوروبا.[183]

ومن الأحرار الذين هربوا إلى باريس، في الرابع عشر من كانون الأول 1899،[184] الداماد محمود جلال الدين باشا مع أبنائه الأمير لطف الله بك، والأمير صباح الدين بك.[185] -ولد الداماد محمود سنة 1855، وهو ابن الأميرال خليل باشا وأمه بنت السلطان محمود الثاني، والأهم من ذلك أنه زوج أخت السلطان عبد الحميد، وكان على قدر من الثقافة والذكاء، وقد اشتغل فترة من الزمن في السفارة في باريس، وفي سنة 1892، شغل منصب وزير العدلية لمدة ثمانية أشهر. ولقد كان الداماد محمود يطالب السلطان عبد الحميد أن يعيد العمل بدستور 1876، وبعد أن ضاعت جميع محاولاته سدى، أخذ قرارا بالهروب من حكم السلطان عبد الحميد، كي يَعَرِفَ العالم الخارجي مدى سوء حكم السلطان عبد الحميد الثاني.[186]

وتحول هروب الداماد محمود إلى حدث جلل، كتبت عنه الصحف الأوربية كثيرا؛ لأن الداماد محمود لم يكن شخصا عاديا، فهو صهر السلطان،[187] ومن بعد الداماد محمود هرب في عام 1900، إسماعيل كمال بك الزعيم الألباني.[188] الذي شغل العديد من المناصب في الإمبراطورية العثمانية، وكان قد عين واليا على طرابلس الغرب، ألا أنه هرب، حتى قبل أن يتسلم منصبه الجديد، وتوجه، مثل سابقيه من الهاربين إلى أوربا.[189] كذلك هرب أحمد جلال الدين باشا رئيس المخابرات إلى مصر كما فر كثيرون غيرهم.[190]

---

182 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية فى جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص160
183 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص65-67
184 توفيق برو. **العرب والترك فى العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**.ص52
185 محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص143
186 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص83
187 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية فى جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص183
188 توفيق برو. **العرب والترك فى العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**.ص52
189 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية فى جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص183
190 محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص143

وعندما وصل الداماد محمود إلى فرنسا، كان أول أعماله الاتصال بالأحرار العثمانيين الموجودين في باريس للاشتراك معهم في مقاومة السلطان عبد الحميد،[191] فقد وجه رسالة غاية في الثناء والإطراء، إلى احمد رضا الذي لم يلبث أن رد على رسالة الداماد، يعلمه فيها أن جمعية الاتحاد والترقي سعيدة جدا باستقبال عضو من العائلة المالكة حليفا في معركة إنقاذ الوطن،[192] كما أرسل رسالة إلى السلطان عبد الحميد، وكان قد كتبها بلغة شديدة اللهجة، وهاجمه فيها هجوما قاسياً كشف فيها عن الأعمال المخزية التي يرتكبها بحق شعبه، وعن جميع مساوئه.[193] وذلك بتاريخ 21 كانون الثاني/يناير 1900، كما أدان نظام الحكم الحميدي، وأعلن أن موظفي السلطان المحيطين به هم كذبة فاسقة دساسون وجهال جدا، وشيوخ ضعفاء.[194]

وفي باريس لم يكن الأحرار العثمانيون متفقين فيما بينهم إلا على نقطة واحدة هي محاربة السلطان عبد الحميد والقضاء على حكمه المستبد وعزله،[195] فكونه سلطان الإمبراطورية العثمانية لم يقم بتحقيق كثير من رغبات السكان.[196] أما في بقية الأمور اجتماعية وسياسية ثم إدارياً فقد كانوا في غاية الاختلاف فيما بينهم، لذا بذلت المساعي من أجل توحيد عمل كل المنظمات العثمانية الموجودة في أوروبا، ولتحقيق هذا الهدف اتجهت الأنظار إلى الداماد محمود باشا،[197] إلا أن الداماد محمود كان مريضا وتوفي في عام 1902،[198] فانتقلت القيادة إلى ابنه الأمير صباح الدين،[199] الذي بدأ بتكوين آراء خاصة به.[200]

- المؤتمر الأول عام 1902 واتساع الخلاف

قام الأمير صباح الدين بتوجيه "نداء عام إلى العثمانيين الأحرار"[201] يدعوهم فيه إلى مؤتمر في باريس، يبحث فيه السبل الكفيلة التي تؤدي إلى سيادة العدالة والحرية في الدولة

191 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص53
192 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص85- 86
193 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص53
194 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص86- 87
195 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص53
196 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**.ص93
197 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص53
198 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**.ص92
199 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص53
200 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**.ص92
201 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص193

العثمانية.[202] ومن 4 – 9 شباط/فبراير 1902، انعقد (مؤتمر العثمانيين الأحرار) الأول في باريس[203] وذلك في منزل الأمير صباح الدين، وتم حضور ممثلين عن كل الفئات العرقية العثمانية في الدولة العثمانية.[204] وحضر المؤتمر سبعة وأربعون عضوا من الترك والأكراد والعرب والألبان واليونانيين والقوقازيين واليهود،[205] وتمثيل ووجود للأرمن قوي بسبب اقتناع اللجنة المنسقة بأن حضورهم ضروري من أجل مساندة ودعم الدول الأوروبية.[206]

وتبين من خلال مداولات جلسات المؤتمر وجود فريقين متعارضين، كان الأول ويمثله أحمد رضا بك ومعه مؤيدون من جماعة تركيا الفتاة. أصر هذا التيار على أن يتم تشكيل سلطة مركزية تتجمع في يديها جميع سلطات الحكومة العثمانية. والعمل لمصلحة العنصر العثماني بالذات. أما التيار الآخر فيمثله الأرمن الذين أرادوا أن يشكلوا حكومة محلية مستقلة عن السلطة المركزية العثمانية، وتعتمد على حماية الدول الأوروبية فقط، وفق المادة 61 من معاهدة برلين.

وقامت أغلبية أعضاء المؤتمر بمعارضة أفكار أحمد رضا وفريقه، أما الأرمن فلم يستطيعوا ترويج فكرتهم. وخلص المؤتمر إلى تبني قرار وافق عليه أكثرية المجتمعين والذي يقول: بالتشبث لدى الدول الأوروبية من أجل إقامة نظام حكم يتفق مع المبادئ الدستورية التي من شأنها أن تضم جميع العناصر الطائفية والعرقية في السلطنة، وأن تضمن لها الحرية والعدالة، وصيانة وتأييد حقوقها القومية. أما الأقلية والتي كان زعيمها أحمد رضا فعارضت القرار وسجلت على محضر الجلسة اعتراضها ووجهة نظرها في وجوب انصهار كل الشعوب العثمانية في وحدة كاملة مع عدم تدخل الدول الأوروبية في شؤون الإمبراطورية؛ لأن مصلحة الإمبراطورية العثمانية لا تتفق مع مصلحة هذه الدول.

وكان لمؤتمر الأحرار العثمانيين الأول هذا، أهمية كبيرة بالنسبة للعلاقة بين العرب، وجميع الطوائف والعناصر في الإمبراطورية، بالترك العثمانيين؛ لأن تيار أحمد رضا هو الذي سيطر على الحكم العثماني بعد ثورة تموز سنة 1908، وقد كشف هذا الفريق عن نواياه تجاه مكونات السلطنة المختلفة منذ انعقاد هذا المؤتمر، أما الأمير صباح الدين فقد خرج بخطة ترتكز

---

202 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص53
203 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**.ص93
204 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص54
205 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**.ص93
206 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص195- 196

على رأي الأغلبية القائلة بالإدارة اللامركزية والمساعدة الأوروبية، وألف جمعية سماها (جمعية التشبث الشخصي واللامركزية الإدارية).[207]

وفي العاشر من نيسان 1902، أنشئت جريدة جمعية الاتحاد والترقي،[208] باللغة التركية، وقد سميت هذه الصحيفة باسم (شورى آمت) (مجلس الأمة)، واتخذت مقرا لها في مصر،[209] وأوكلت إدارتها إلى أحد أعضاء الأسر الخديوية المصرية وهو محمد علي فضلي باشا، وأحمد صائب بك، واحمد رضا وسلانيكي ناظم أفندي.[210] وفي فرنسا استمر نشر (مشورت) باللغة الفرنسية. فتحولت فكرة كره الغرب ورفض التدخل الأجنبي إلى دعامة قوية لفكرة سياسية أكثر قوة تمثلت بالأتركة (Turkism)، فأصبحت جريدة (شورى آمت) تركز على الرموز الوطنية المشهورة، بما في ذلك شخصيات أصبحت جزءا من الحركات الثورية في أقاليم تسعى للانفصال عن الإمبراطورية العثمانية، وقامت أيضا بإلقاء الضوء على تاريخ الترك قبل قيام الإمبراطورية العثمانية بلغة مملوءة بالاعتزاز والفخر، والأسوأ من هذا استخدامها بشكل دائم وصف **(تركي) بدلا من (عثماني)**.[211]

وهكذا نلاحظ أن النتيجة الملموسة الوحيدة للمؤتمر كانت نتيجة سلبية – وهي: أن اختلاف الرأي بين صباح الدين وأحمد رضا انقلب إلى انشقاق، وجلس كل من أعضاء تركية الفتاة بباريس كلّ في ناحية.

انصرف الأمير صباح الدين إلى تحصيل العلم، ومال للحرية والأخذ بأسباب المدنية الحديثة، فعمل على تأسيس حزب سماه **حزب الإدارة واللامركزية والتشبث الشخصي***[212] ومن أجل أن ينشر الأمير صباح الدين أفكاره، أصدر في باريس جريدة تحمل اسم (ترقي) وذلك في سنة

---

[207] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص54- 55

[208] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**.ص101

[209] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص211

[210] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**.ص101

[211] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص211- 212

*حزب الادارة اللامركزية والتشبث الشخصي: عدم مركزية إدارية وهو عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وزيادة حريتها وانتخاب المجالس العمومية فيها كما تشير اليه المادة (108) من القانون الأساسي فمراد الأمير صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الإدارية كما صرح به، لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن استقلال الإدارة. ومرادهم بالتشبث الشخصي ان لا تكون الأهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معايشهم؛ حتى لا يكونوا منتظرين سبب الرزق في حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها، لأن السنة في الحكومات المستبدة أن ينتظر الأولاد دائما لإعانة من أسرهم والأسر من أرباب مجالسهم وأرباب المجالس من حكومتهم.

[212] محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص150

1906،[213] وأوكل أمر تحريرها إلى أحمد فضلي بك كاتب الجمعية، وأخي الأمير صباح الدين بالرضاعة.[214] وقد أعلن الأمير صباح الدين خطة عمل الحزب المؤلفة من أربع نقاط لخصها على صفحات العدد الأول لصحيفته وهي: العمل على نشر دراسات اجتماعية تثير روح المبادرة وصولا إلى اللامركزية الإدارية، والدفاع عن حقوق العثمانيين أمام الأمم ومساندتهم، والبحث عن الوسائل التي تؤلف بين مختلف العناصر في السلطنة، والعمل على تأسيس لجان وجمعيات في الدولة من أجل العمل على تحقيق هذا المنهاج، والوقوف في وجه أي قوة تحاول تعطيله وعرقلته..[215]

لذا اجتمع حول جمعية الأمير ومبادئه عدد كبير من رجال القوميات غير التركية والطوائف غير الإسلامية، وذلك لأنها تحفظ لهم حقوقهم القومية، ومشاركتهم في إدارة شؤون الدولة، على قدم المساواة مع الأتراك.[216] وأسس الأمير فرعا للجمعية بين صفوف الطلاب في اسطنبول، متخذا من الكلية العسكرية مركزا له أيضا لينطلق منها إلى طلبة باقي الكليات الأخرى في اسطنبول، ومنها إلى سواحل البحر الأسود وشرق الأناضول. وتم تأسيس فروع للحزب في اللاذقية، ودمشق، والقاهرة، وتمكن من استقطاب عدد من الشخصيات العربية، والقادة الأكراد، كان من أبرزهم عبد الرحمن بدرخان وعبد الله جودت. ومن غير المسلمين تعاون الأمير صباح الدين مع القادة الأرمن من حزب **الداشناق*** خاصة مع خاجادور مالوميان.[217]

- الحراك السياسي والحزبي والعسكري سنة 1906

في عام 1906، بدأت محاولات لإعادة بناء تركيا الفتاة داخل الدولة العثمانية، وإقامة شبكة فعالة بين أظهرها. فقد كان الاتحاديون حتى سنة 1906، منقسمين إلى مجموعتين فكريتين متضادتين ومتعارضتين. فقد كانت الأولى ليبرالية لا مركزية أرادت أن يكون لجميع أفراد

---

[213] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص58

[214] محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص150

[215] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص217- 218

[216] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص58

*الداشناق (Dashnaks) تعني الاتحاد، تأسس هذا الحزب في روسيا عام 1890 إثر توتر العلاقة بين الأرمن والأتراك في أرمينيا الروسية، وسرعان ما أنشأ له فروعا في اسطنبول وطرابزون ووان والعديد من المناطق الأخرى، وامتلك مركزا للدعاية والنشر في كبرى المدن الغربية، لاسيما باريس ولندن. سعى الحزب إلى تحرير الأرمن من مظالم الدولة العثمانية، وأراد، آنئذ، تحقيق الحكم الذاتي لأرمينيا باستخدام كل السبل، وفي مقدمتها الكفاح المسلح، واعتقد أن بوسع الشعب الأرمني أن يحقق هدفه هذا بمساعدة الدول الأوربية الكبيرة.

[217] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص219- 220

الإمبراطورية العثمانية دور بناء في إنشاء أسس الدولة وإقامة بنائها، آمن بهذا الأمير صباح الدين وفريقه ودعوا إليه. والثانية سلطوية مركزية دعت إلى الاعتماد على العنصر التركي موضحة أن هذا أفضل ضمان لاستمرارية وجود الإمبراطورية والأنسب لتحقيق الرقي لها، ترأسها أحمد رضا وجماعته، معبرين عن قناعتهم بأن نظام اللامركزية سوف يكون البداية لتفتيت الإمبراطورية العثمانية.[218] فقد قال أحمد رضا:"إن الحكم الذاتي للقوميات خيانة؛ لأن معناه الانفصال؛ إن إخواننا المواطنين النصارى سيصبحون مواطنين عثمانيين، ولن نظل فاتحين وعبيدا، بل أمة جديدة من الأحرار".[219] وقد سعت المجموعتان إلى استقطاب مؤيدين وأنصار لهما داخل الدولة العثمانية وخارجها.[220]

على هذه الشاكلة كانت حالة تركيا الفتاة في عام 1906، في فرنسا، وهي السنة ذاتها التي بدأت محاولات لإعادة بناء تركية الفتاة من جديد في داخل الدولة العثمانية، وطبعا انسحب على عملهم واقع الانقسام لصفوف المعارضة في الخارج والتي كان أحمد رضا وصباح الدين أبرز رموزها.

إلا أن الأكثرية من العنصر التركي مالت إلى مبدأ أحمد رضا في تعزيز القومية التركية؛ وذلك لأن معظم الزعماء الأحرار من العنصر التركي، الذين كانوا يفرون إلى أوروبا من استبداد عبد الحميد، ووجدوا في مجموعة أحمد رضا ومبادئه تجاوبا واتفاقا مع أهداف "الجمعية العثمانية الحرة" التي تأسست في سلانيك بصورة سرية، أكثر مما وجدوه في مبادئ مجموعة الأمير صباح الدين؛ وذلك لأن فريق أحمد رضا الذي اندمج مع الجمعيات الأخرى ونتج عن هذا الدمج "جمعية الاتحاد والترقي" التي اتهمت الأمير صباح الدين بالوقوع تحت تأثير الأرمن ومطالبهم وبذلك سقط من حسابات المواطنين.[221]

وفي عام 1906، وصلت المعارضة إلى صفوف الضباط والجنود المنتشرين في أرجاء وأقاليم الإمبراطورية العثمانية، وكان إقليم سوريا من أوائل الأقاليم التي أنشأ فيها الضباط، ومنهم مصطفى كمال* لجنة الوطن والحرية وهي أول جمعية سرية عسكرية معارضة في دمشق، ثم

---

218 المصدر السابق، ص 218
219 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص116
220 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص218
221 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص58- 59

انتشرت إلى يافا والقدس والعريش، وذلك في صفوف ضباط الجيش الخامس الموجود في الأقاليم، ثم أصبح معقل معارضة الضباط مدينة سلانيك التي منها قاد الضباط الانقلاب في تموز 1908.[222]

في اسطنبول في (العسكرية العثمانية) وجد مصطفى كمال ضباطاً شباباً منتمين إلى خلايا سرية وجمعيات ثورية، فانضم إليهم وراح يسهم في عقد اجتماعات ويكتب المقالات والشعر ويدعو إلى الثورة على الاستبداد الحميدي والحكام الفاسدين. واستطاع البوليس الحميدي معرفة مكان الاجتماعات بواسطة أحد عملائه،[223] فاعتقل عدداً من الضباط الشباب الذين تخرجوا من الكلية الحربية في سنة 1905، بتهمة القيام بنشاط سياسي معاد، وأبعدوا إلى الوحدات العسكرية المرابطة في أطراف الإمبراطورية، وكان من بينهم مصطفى كمال[224] الذي أمر السلطان عبد الحميد بإلقاء القبض عليه وأن يتم استجوابه بحضور السلطان وذلك للاشتباه به، بأنه من الأحرار، وعقابا له أمر السلطان بنقل مصطفى كمال إلى مقر الجيش الخامس في دمشق.[225]

في دمشق قام مصطفى كمال بإنشاء جمعية ثورية سرية أسماها **"جمعية وطن"**[226] وبدأ اتصالاته مع مجموعة من رفاقه الضباط من أجل العمل على تأسيس خلايا للجمعية[227] ليجد تجاوبا مع عدد كبير من الضباط الساخطين والناقمين على الحكم الحميدي. فعمل على تشكيل خلايا سرية، وقام بربط هذه الخلايا مع بعض بشكل منظم. حتى أصبحت له السيطرة التامة على جميع صغار الضباط الذين وضعوا أنفسهم رهن إشارته من أجل القيام بأي عمل يطلبه منهم.[228]

وازداد عدد أعضاء الجمعية واتسع نشاطها بسرعة، فأصبح لها فروع في دمشق والقدس ويافا،[229] في صفوف ضباط الجيش الخامس المرابطين هناك.[230] ومع هذه الجمعية السرية التي

مصطفى كمال اتاتورك (1881- 1938) ضابط في الجيش ورجل دولة ثوري ومؤسس تركيا الحديثة أول رئيس للجمهورية التركية، ومؤسس الجمهورية التركية. ولد فى سلانيك في ومات وعمره 57 سنه اشتهر بلقب اتاتورك (جد الاتراك).

222 عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240

223 مصطفى الزين. **ذنب الاناضول**. لندن- قبرص: رياض الريس للكتب والنشر،1991. ص26- 30

224 كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص149

225 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص31

226 كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص149

227 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص59

228 مصطفى الزين. **ذنب الاناضول**. ص34

229 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص223

230 عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240

قام بتشكيلها الضابط (اليوزباشي) مصطفى كمال بك (رئيس الجمهورية التركية فيما بعد)، عام 1906،[231] وصلت المعارضة إلى صفوف الضباط والجنود المنتشرين في أرجاء الإمبراطورية العثمانية.[232]

وصلت إلى مصطفى كمال رسالة من صديقه فتحي* الموجود في سلانيك يطلب منه فيها أن يتدبر أمر نقله إلى سلانيك بأي وسيلة ممكنة؛ وذلك لأن الشرارة الأولى للثورة التي سوف تندلع، سوف تكون من مناطق البلقان العثمانية من سلانيك، وليس من أي إقليم من أقاليم الإمبراطورية في الشرق ولا حتى من اسطنبول العاصمة.[233]

أما لماذا اختار الثوار سلانيك؟ فلأنها كانت وقتئذ أكثر مدن الإمبراطورية العثمانية تقدما وتنوعا في سكانها، فمعظم سكانها كانوا يونانيين يضمرون العداء للدولة العثمانية، مع أقلية من الأوروبيين والعثمانيين، كما أن نحو نصف أهالي هذه المدينة هم من اليهود ومن يهود الدونمة،[234] وكون منطقة مقدونيا أقرب إلى أوربا، أصبحت المنطقة أكثر تقدما وانفتاحا من بقية أقاليم الإمبراطورية الأخرى وأسهل اتصالا مع العالم الخارجي وقد أثرت[235] بمشاكلها المعقدة على كل الأمم البلقانية والأوروبية[236] كذلك بسبب الثورات والاضطرابات التي كانت تجتاحها، فأرسلت الإمبراطورية العثمانية أنبه وأنشط جنودها وضباطها إلى البلقان، كما تدخلت الدول الأوروبية، إذ تأسس في البلقان إدارة دولية أوروبية خاصة، منذ سنة 1904، وضعت تحت مراقبة خمس من الدول الأوروبية العظمى[237] وهي إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وإيطاليا، [238] كما تم تعيين مفتش عثماني عام لمنطقة البلقان ويساعده مأموران أحدهما تعينه روسيا والآخر النمسا يشتركون معه في الإدارة.

---

[231] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص59

[232] عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240

*علي فتحي اوكيار (1880- 1943) وهو أحد أقرب أصدقاء مصطفى كمال، خدم كضابط في الجيش خلال العقد الأخير من عصر الامبراطورية العثمانية وهو ثاني رئيس وزراء لتركيا، فقد شكّل أوكيار حكومته عام 1924 ولكنها لم تستمر طويلاً حيث استقالت حكومته عام 1925. وثاني متحدث باسم البرلمان التركي بعد مصطفى كمال اتاتورك.

[233] مصطفى الزين. **ذنب الاناضول**. ص35

[234] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص119

[235] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص223

[236] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص119

[237] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص60

[238] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص224

أما مصلحة الدرك فقد تم تنظيم إدارة من قبل قائد ايطالي وضباط آخرين يختارون من جنود الدول الأوروبية،[239] وفرضت الدول الأوروبية الخمس في سنة 1905، نظاما للرقابة المالية على الولايات المقدونية[240] فقامت بتعيين مراقب مالي أوروبي من أجل أن يجمع الأموال الأميرية، وأن يتم إنفاقها في مصالح مقدونيا نفسها.[241]

أدت كل هذه الأحداث والظروف إلى ضعف قوة السلطان عبد الحميد في منطقة البلقان، وعجز عن أن يوقف أو يمنع انتشار الأفكار الثوريّة فيها[242] أو في أن يمنع بأساليبه المعتادة، التنظيم الذي كان يعمل ضده بنشاط.[243] هذا من جهة، ومن جهة أخرى رحب سكان المنطقة، وخصوصا المسلمون منهم، بأي حزب يمكن أن يرضي أمانيهم ويؤمن لهم مصالحهم، والتي كان أهمها إبقاء مقدونيا جزءا من الإمبراطورية العثمانية.[244] فضلا عن تعقد مشكلات تلك المنطقة وبيئتها، التي تساعد على رواج أفكار الجمعيات الثورية.[245] والتي أتاحت لها الفرصة لتزايد عدد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فيها، حتى بلغت نحو 15,000 منتسب، سنة 1908، وهذا ما مكن الجمعيات الماسونية من التأثير في العديد من ضباط الجيش العثماني في منطقة مقدونية، فأصبح الكثير منهم ماسونيين، وكانوا يمارسون عملهم السياسي بحرية، وذلك لوجود من يؤمن لهم الدعم المالي والحماية ، فكانوا يعقدون اجتماعاتهم في بيوت اليهود. وكان هدف تلك الجمعيات هو إعادة النظام الدستوري وإسقاط حكم السلطان عبد الحميد وبكل الوسائل.[246]

يتبين لنا أن العديد من ضباط الجيش العثماني الذين انتموا إلى تلك الجمعيات المناهضة للحكم العثماني كانوا مغررا بهم، وقد انطلت عليهم دسائس الدول الأوروبية، التي كانت تخطط ومنذ زمن بعيد، لإسقاط السلطان عبد الحميد وتقسيم الإمبراطورية العثمانية، وتقاسم ممتلكاتها، وهذا ما أثبتته أحداث العقود اللاحقة، إذ لم يحققوا لبلدانهم غير المشكلات والتجزئة والحروب والموت.

---

239 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص60
240 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص224
241 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص60
242 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص224
243 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص119
244 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص224
245 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص60
246 اسماعيل نوري دوري.محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني. ص343

وفي سنة 1907، صدر أمر بأن يلتحق مصطفى كمال بفرقة أركان حرب الجيش الثالث في سالونيك مسقط رأسه. وعندما وصل مصطفى كمال إلى سالونيك، راح يتصل بزملائه القدامى من اجل تأسيس فروع أخرى جديدة للجمعية في سلانيك[247] وقام بعقد الاجتماع الأول لأعضاء الجمعية، وقد حضره عدد من الضباط، منهم عمر ناجي وحقي بهاء بك وهو زميل دراسة قديم لمصطفى كمال، وكان وقتئذ عضوا من أعضاء الهيئة التدريسية في المدرسة الحربية في سلانيك، وضابط مدفعية يسمى خسرو سامي قزل دوغان، ومحمد طاهر بك وهو مدير تلك المدرسة وأديب أبرز شخص في طريقة دراويش ملامي، وكذلك إسماعيل ماهر بك مدير المدرسة الإعدادية في سلانيك وقد أصبح فيما بعد مندوبا عن بورصة، ومصطفى نجيب. وقد قامت الجمعية بتوسيع وتغيير اسمها من **"جمعية وطن"** إلى **"جمعية الحرية والوطن"** ثم قام الأعضاء بأداء القسم على المسدس بأنهم لن يتخلوا عن واجبهم أبدا.[248]

يمكننا تتبع خلفية **"جمعية الحرية العثمانية"** بين بقايا فرع الاتحاديين في سلانيك، فكما أشرنا سابقا عن تعرض جمعية الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية لضربة قاسية وذلك على إثر فشل محاولة الانقلابية لعام 1896، مما أدى إلى اختفاء عدد كبير من فروع جمعية الاتحاد والترقي، وانحسار نشاط البقية الأخرى، بما فيها فرع سلانيك، وقد اقتصر نشاطهم على فعاليات بسيطة يغلب عليها الاستحياء، والجراءة على البعض منها.[249]

قرر قادة المعارضة في سلانيك ومنهم اليوزباشي كاظم نامي دورو وهو أحد المؤسسين العشرة، تحويل نشاطهم المبعثر إلى عمل منظم، ومن أجل ذلك قاموا بعقد اجتماع تأسيسي في تموز 1906، ضم عشرة أشخاص[250] وكان من أعضائها الأوائل رحمي بك الذي أصبح فيما بعد والي أزمير، وطلعت بك وهو موظف بريد صغير باشكاتب قلم تحريرات في مديرية البرق والبريد العامة في سلانيك -أصبح فيما بعد أحد أعضاء (الثلاثي) الذي سيطر على الحكم في الدولة في سنة 1913،[251] ومحمد طاهر البورصلي مدير المدرسة الرشدية العسكرية في سلانيك ومدحت شكري

---

247 مصطفى الزين. **ذنب الأناضول**. ص37- 39
248 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص120
249 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص222
250 المصدر السابق،ص225
251 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص121

معلم إعدادي في سلانيك،[252] واليوزباشي أمين ثروت قائد الجندرمة في مقدونيا، وثلاثة ضباط برتبة ملازم أول هم كل من عمر ناجي وحقي بهاء وإسماعيل جنبلاط، واجتمعوا في بيت مدحت شكري.

وفي السابع من أيلول 1906، أنهى المجتمعون الترتيبات اللازمة من أجل إنشاء جمعية سرية تم تسميتها باسم (جمعية الهلال) وتم انتخاب مجلس أعلى من أجل إدارة شؤون الجمعية مكون من إسماعيل جنبلاط وطلعت بك ورحمي بك. إلا أنه تم تغيير اسم الجمعية إلى "جمعية الحرية العثمانية"، في الثامن عشر من أيلول من العام نفسه. وقد مُيزوا العشرة الأوائل الذين اشتركوا في الاجتماع الأول بصفتهم المؤسسين للجمعية.[253] وفي بدء حياة الجمعية تم انضمام فتحي بك الذي تولى فيما بعد وزارة الحقانية.[254]

وجهت الجمعية في فعاليتها المبكرة معظم جهدها نحو تجنيد أكبر عدد ممكن من المنتسبين للجمعية، مع التزامها الحرص الشديد على بقاء نشاطاتها بعيدا عن أعين السلطان والحكومة، وذلك عن طريق التزامها السرية العالية والكتمان الشديد في جميع تحركاتها، وبالذات عندما يتم النظر في قبول المنتمين الجدد، وجميع المراسيم والإجراءات المصاحبة لها، كما قامت الجمعية باتباع نظام ترقيم تسلسلي للمنتسبين، فقد شغل العشرة الأوائل المؤسسون للجمعية الأرقام من واحد إلى عشرة، ومن أجل رفع مكانة الجمعية في أعين المنتسبين الجدد قام المؤسسون بوضع فجوة مقدارها مائة بينهم وبين المنتمين الجدد، فالمنتمي صاحب الرقم 118 مثلا هو في الحقيقة حامل رقم العضو الثامن عشر في الجمعية، وخلال فترة قصيرة جدا نجحت في الحصول على أعداد كبيرة من العناصر، معظمهم من الضباط، حيث فاق عدد أعضائها الألف في غضون سنة تقريبا.

وفي نفس الوقت الذي تم فيه إنشاء واتساع حجم (جمعية الحرية العثمانية) في سلانيك أدرك أعضاء جمعية الاتحاد والترقي أهمية سلانيك، وبدأوا العمل من أجل تأسيس فرع لجمعيتهم فيها وتوسع نشاطها وتعزز وجودها في المنطقة، ووجدت في الوحدة التي عرضتها عليها "جمعية الحرية العثمانية" فرصة ذهبية كي تتمكن من تحقيق أهدافها بوقت وجهد أقل.

إن فكرة الوحدة والاندماج ليست شيئا مفاجئا أو غريبا. إذ إن العلاقات بين قادة (جمعية الترقي والاتحاد) وقادة (جمعية الحرية العثمانية) قديمة ومتجددة، والعديد من المؤسسين القادة في

252 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص59
253 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص225
254 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص121

(جمعية الحرية العثمانية) كانوا أعضاء سابقين في (جمعية الاتحاد والترقي العثمانية)، فقد كان طلعت بك من بين الأعضاء النشطين ضمن فرع أدرنة في الجمعية، ومدحت شاكر كان عضوا في فرع جنيف، أما رحمي بيك فكان عضوا في سلانيك، وأما كـاظم نامي فقد كان عضوا في فرع تيرنا. والأهم من هذا أن (جمعية الحرية العثمانية) لم تكن تمتلك الوسائل الدعائية، كما كانت تفتقر إلى التنظيم الجيد، لذا بدا في هذا الاندماج العلاج الفعال لهذا الخلل، وفي المقابل قدم الاندماج بداية قاعدة عريضة لـ جمعية الترقي والاتحاد، وأساسا جيدا للتطور.[255] وفي 27 أيلول 1907، تم التوصل إلى صيغة نهائية، والاتفاق على اندماج الجمعيتين في جمعية واحدة وحملت الاسم القديم للجمعية، وهو (جمعية الترقي والاتحاد العثمانية) وذلك في محاولة للاستفادة من انتشار وشهرة الاسم. وإن إعادة العمل بالدستور الذي وضعه مدحت باشا عام 1876،هو الهدف الأساس للجمعية. وعلى الجمعية الاستعداد والبدء بتشكيل القواعد في الخارج والداخل. وأن تقتصر وسائل نشر الجمعية على صحيفتي (شورى امت) باللغة التركية و(مشورت) باللغة الفرنسية.[256]

كذلك سعى مصطفى كمال في سلانيك لدمج جمعيته (وطن وحرية) مع بقية الجمعيات فقد قامت جمعيته بالاتصال بأحمد رضا وفريقه في فرنسا، حيث تم الاتفاق على توحيدها جميعا بما فيها منظمة تدعى (المركز العمومي في باريس) تحت اسم (جمعية الاتحاد والترقي) المعروفة[257] .

وهكذا نجد أن (جمعية الاتحاد والترقي) أصبحت تتمتع بشبكة عمل قوية جدا وواسعة وشاملة ومتركزة في منطقة محدده من الإمبراطورية العثمانية، خاصة بعد أن تم في سلانيك اندماج أغلب الجمعيات الصغيرة والكبيرة والموجودة في سلانيك.

وفي عام 1906، ظهرت الحركات السرية العربية أيضا وأخذ الأدب العربي والصحافة يدعوان الناس إلى الاستقلال الكامل عن الإمبراطورية ويرددون قصيدة إبراهيم اليازجي

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب.[258]

وسعت (جمعية الاتحاد والترقي) نفسها عن طريق الوحدات أو الخلايا مثلها في ذلك مثل جمعيات تركية الفتاة الأولى، فقد كانت كل وحدة أو خلية منها تتكون من أربعة او خمسة أعضاء،

[255] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص226- 228
[256] المصدر السابق، 228- 229
[257] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص59
[258] كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908.** ص150

وكل عضو من هؤلاء كان يؤسس بدوره خلية من نفس الحجم، وبهذه الوسيلة كان العضو الواحد لا يعرف إلا عدداً محدداً من زملائه من الأعضاء، لذا لا يمكنه معرفة وكشف كل أعضاء الجمعية. وهذا هو النموذج لطريقة تنظيم الكاربوناري، حسب ارنست رامزور، وهي نفس الطريقة التي قام الطلاب بإتباعها في المدرسة الطبية العسكرية. فقد كان عضو الجمعية يعرض على من يريد أن يلتحق بالجمعية ويخبره بسر مهم جدا، ولكن قبل هذا عليه أن يحلف يميناً مقدما بأنه لن يبوح بالسر أبدا من دون التصريح له بذلك، فإذا ظهر أنه يمكن الوثوق به وأبدى استعداده عندها يقسم اليمين ويتم شرح أفكار الجمعية له. ثم تبدأ طقوس معينة من أجل الدخول للجمعية فيتم وضع عصبة على عيني الشخص ومن ثم يتم نقله إلى مكان معين بسرية تامة لا يعرف أين يقع؟!، وعندما يتم إزالة العصبة عن عينيه، يجد أنه قد تم وضعه في غرفة معتمة ويقابله ثلاثة غرباء يضعون أقنعة سوداء اللون وهؤلاء هم الذين يحلف يمين القسم على القرآن والسيف أمامهم، عندها يصبح قاعدة لحياته، وعليه إطاعة كل أمر تأمره به الجمعية ولا يفشي أي سر من أسرار الجمعية أبدا، ويقوم بقتل أي كان من الأفراد، وإن كان عزيزا عليه أو حتى قريبا له إذا حكم على هذا الفرد بالإعدام وبذلك يوظف كل قوته من أجل إنقاذ الإمبراطورية. ثم يتم مرة أخرى وضع العصبة على عينيه، ويتم إرجاعه إلى نفس المكان الذي أخذ منه للقيام بهذه الرحلة الغامضة.[259]

في ظل هذه الظروف من العمل السري، وهذه الخطوات المدروسة توسعت جمعية الاتحاد والترقي بسرعة مدهشة تثير التعجب والإعجاب. ففي البداية ركزت الجمعية نشاطها بوجه خاص على المسلمين الأتراك، ومن أجل أن تلفت نظر الدول الأوروبية وتحقق دعاية أقوى للجمعية انفتحت على جميع العثمانيين المقيمين في مقدونيا، وذلك بغض النظر عن عرقهم ودينهم، وبالفعل استطاعت أن تكسب تأييد ودعم عدد من البلغار واليونانيين، كما وانضم عدد كبير نسبيا من الألبان، إلى صفوف الجمعية، كما وانخرط فيها أيضا أفراد معرفون من اليهود المقيمين في سلانيك وأصبحوا أعضاء نشيطين في الجمعية، من ضمنهم عمانوئيل قره صو ونسيم ماتزلياخ وعمانوئيل سليم ونسيم روسو.

إن الأعضاء اليهود هؤلاء كانوا، في ذات الوقت، ماسونيين مؤثرين، فقد كان لهم فضل كبير ومساهمة في فتح محافل الماسونية*، أمام جمعية الاتحاد والترقي[260] إذ لم يمر وقت طويل

---

[259] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص122- 123

[260] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص230- 231

على الأعضاء المتآمرين في مركز النشاط سلانيك، حتى علموا بوجود منظمة أخرى يمكن الاستفادة منها، وهي الماسونية. وحيث إنه كان من الصعوبة بمكان على السلطان عبد الحميد أن يعمل بحرية في سلانيك كما كان يفعل في المناطق الأخرى من الإمبراطورية، لذا استمرت المحافل الماسونية بالعمل في سلانيك بلا توقف ولكن بسرية تامة، ووجدت جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك أن المحافل الماسونية تتلاءم مع أغراضها بصورة عظيمة.[261] وذلك من أجل عقد الاجتماعات السرية وتخزين المراسلات والسجلات المهمة بعيدا عن أعين وأيدي السلطات العثمانية،[262] كما ضمت إليها كثيرا من الأعضاء الذين كانوا يؤيدون فكرة خلع السلطان عبد الحميد. كذلك استعملت الفنون التي شكلها الماسونيون في طريقة اختبار المؤهلين للانتساب لعضوية الجمعية، كما اتسع عمل الجمعية بصورة سريعة تثير التقدير وذلك بعد اتصالها مع ماسونية سلانيك.[263] فكيف سادت هذه الروح في النهاية وتوجت بانقلاب تركية الفتاة في سنة 1908؟

- أوضاع الدولة العثمانية قبيل الانقلاب

تعاونت جمعية المعارضة في سلانيك مع المعارضة في باريس واتخذوا اسم جمعية الاتحاد والترقي برئاسة أحمد رضا. بالإضافة إلى ذلك،[264] ازداد تعزز جمعية الاتحاد والترقي عقب دمج أغلب الجمعيات الصغيرة والموجودة في سلانيك، بما فيها جمعية الوطن والحرية مع الجمعية الجديدة.[265] وبعد هذا الدمج أصبحت منطقة البلقان – البلقان تتألف من ثلاث ولايات مناستر، وسلانيك وكوسوفا- هي مركز قوة وتواجد كثيف للمعارضة وبالذات معارضة العسكر الذين أصبحوا الطرف الأقوى في المعارضة بقيادة أعضاء جمعية الاتحاد والترقي.

*دخلت الماسونية إلى الدولة العثمانية أوائل القرن الثامن عشر، وفي العام 1717 تم افتتاح أول جمعية ماسونية فيها، وفي العام 1733 تأسس محفل ماسوني في أزمير، كما تأسس محفل آخر في غلطة سراي باسطنبول عام 1738، وتوالى تأسيس المحافل الماسونية، واتسع نشاطها بسرعة في الدولة العثمانية، انتمى إليها مختلف أطياف المجتمع العثماني قوميا ودينيا واجتماعيا، مثل فؤاد باشا ومدحت باشا ونامق كمال وضياء باشا والسلطان مراد الخامس وغيرهم. قبل قيام ثورة 1908 بلغ عدد المحافل الماسونية التي تأسست في بقاع مختلفة من الدولة العثمانية خمسة وستين محفلا تقريبا.

[261] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص123- 124

[262] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص231

[263] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص124

[264] عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240

[265] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص230

زادت صعوبة الأوضاع الاقتصادية، كارتفاع أسعار المواد الغذائية، بالإضافة إلى عدم دفع الرواتب من شعور ضباط المعارضة بالقلق على مصير الإمبراطورية العثمانية.[266] فقد كان يتأخر دفع الرواتب دائما وعند دفعها يخصم جزء منها لبعض المضاربين. وحدثت خلال الأعوام 1906- 1907، الكثير من الاضطرابات والعصيان بين الناس وخاصة عصيان الجيش العثماني في عدة أماكن من البلاد لغرض دفع الرواتب المتأخرة جدا كذلك ثار الجنود الذين صدرت لهم الأوامر للإبحار إلى اليمن التي كانت مصدر تعاسة لهم وانضم المدنيون إلى بعض تلك التمردات معلنين احتجاجهم.[267] ففي شتاء سنة 1906-1907، جاء الشتاء غاية في القسوة مما أدى إلى زيادة الوضع سوءا، وقد صاحبه شح أخشاب التدفئة والفحم، بالإضافة إلى ضعف في المحاصيل الزراعية وارتفاع في الأسعار، واستمرت الأزمة الاقتصادية خلال شتاء السنة التالية، وازدادت حدة لتصل الأسعار، "إلى مستوى لا يحتمل". مما أدى إلى نشوب سلسلة من الاضطرابات والتظاهرات خاصة في شرق الأناضول، فمدينة أرضروم في سنة 1906، تحولت إلى مسرح انتفاضة حقيقية اشترك فيها الضباط والموظفون والبرجوازية المحلية الصغيرة، مطالبة إعادة العمل بالدستور وبإلغاء الضرائب الجديدة، وقد بقيت المدينة لعدة أسابيع تحت سيطرة الثائرين، وقد ساعدهم على ذلك عدم انصياع الجنود الذي أُرسلوا لمحاربتهم لأوامر مرسليهم.

كما انتشر هذا التذمر بين وحدات الجيش، بمختلف تشكيلاته، شاملا كل أرجاء الإمبراطورية العثمانية تقريبا، وكان هذا الانتشار هو الأكثر خطورة وأهمية من كل تلك الأحداث. فقد قام بحارة الأسطول العثماني، بإشعال انتفاضة في سنة 1906، كما حدثت خمسة تمردات أخرى في أماكن مختلفة بين الجند في الإمبراطورية. وفي سنة 1907، تصاعد عدد التظاهرات إلى 13 تظاهرة، وفي النصف الأول من سنة 1908، ارتفع عدد التظاهرات إلى 28 تظاهرة. وفي سيواس اجتمعت النساء وذلك في أواسط العام 1908، يسألون الخبز، وسرعان ما تحول تجمع النساء إلى انتفاضة.[268] وكذلك وصل هذا التمرد إلى وحدات العسكر في مقدونيا، وإلى منطقة الروميلي، والسبب عدم وصول المواد الأساسية والتموين للجيش.[269]

---

[266] عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240

[267] كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص149- 150

[268] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص249

[269] عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240

وعقد المؤتمر الثاني للأحرار العثمانيين في باريس لثلاثة أيام ابتداء من 27 كانون الأول 1907، برئاسة مشتركة من أحمد رضا وصباح الدين.[270] كما اشترك ممثلون عن بعض الشعوب المسيحية للدولة العثمانية فيه. وقرر المؤتمرون بالإجماع: إرغام السلطان عبد الحميد على التنازل، وتغيير الإدارة القائمة جذريا، وتأسيس نظام تمثيلي وحكومة دستورية. كما شدد المؤتمر على سرعة تنفيذ هذه الأهداف وأن تكون مقدونيا مركزاً للحركة لبعدها عن عيون الحكومة.[271]

وكثفت جمعية الاتحاد والترقي بداية سنة 1908، من اتصالاتها مع الأوساط الألبانية والبلغارية واليونانية، كي تستميلها إلى جانبها "وركزت على الكفاح من أجل الحرية وفلاح البلاد، حتى يتم القضاء على الاستبداد ولو اقتضى الأمر التضحية بالنفس. وكان اهتمام الجمعية الأول ومسعاها موجهاً بالدرجة الأولى نحو الجيش وبالذات ضباط الفيلقين الثاني والثالث المتواجدين في مقدونيا. لذلك أصدر أحمد رضا كتيباً يخاطب الجيش بعنوان "الواجب والمسؤولية: الجندي" مشددا فيه على أن الضباط هم أكثر أفراد المجتمع العثماني أهمية وطنية وتأهيلا، وأنه عليهم واجب إدارة وتوجيه الحياة السياسية للدولة، وبالذات في التصدي للاستبداد الحميدي الذي يسير بالإمبراطورية نحو الهاوية، وفي الختام دعا أحمد رضا النخبة العسكرية إلى القيام بواجبها الثوري.[272] لكن الجيش كان يعاني من تأخر الرواتب ومن نقص مستمر في المؤن والتجهيزات والملابس وذلك بسبب النقص المستمر في الأموال وانتشار الفساد الإداري وتفشي الاختلاس، ونتج عن هذا استياء شديد دفع بالجيش للالتحاق بالجمعية قبيل الثورة.[273]

ولم تكن الترقية في الجيش العثماني على أساس المقدرة والكفاءة للضباط، فقد كانت على أساس التقارير السرية السيئة التي تقدم من زملاء الضباط عن بعضهم البعض. والرواتب التي كان دفعها باستمرار يتأخر وعند دفعها يخصم جزء منها لبعض المضاربين. مما دفع الكثير من الضباط إلى الانتماء إلى أية جماعة تعدهم بتحسن أحوالهم.[274]

---

[270] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص242
[271] كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص150
[272] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص245
[273] المصدر السابق، 260
[274] كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص149- 150

كما كان هناك أثر لاختلاط ضباط الفيلق العثماني الثالث، المتمركز في منطقة البلقان، مع الضباط الألمان والانجليز والروس والفرنسيين والايطاليين، والانفتاح ثقافيا ولغويا حيث تعلم البعض منهم التكتيك الحربي واللغة الألمانية مثل أنور بك وغيره،[275] أيضا كان هناك أثر للاتصال المتزايد بالضباط الأجانب وذلك من خلال القوات الأوروبية المتواجدة في داخل أراضي الدولة العثمانية، والبعثات العسكرية وهو ما أدى إلى فتح مجالات جديدة أمامهم وقنوات اتصال بالفكر والثقافة الأوربيين[276] مما أدى إلى معرفة الضباط الكبار والصغار كثيراً من الأشياء التي كانت مقفلة في وجههم من قبل.[277] ومن جهة أخرى شعر الجنود والضباط العثمانيون بالغضب الذي أثر في نفوسهم معنويا وذلك عند مقارنة حالتهم البائسة وثيابهم الرثة مقارنة مع ملابس الضباط الأوروبيين الأنيقة ومستوى معيشتهم العالية.[278]

كما كان لرعايا الإمبراطورية العثمانية من الأرمن والألبان والأكراد والعرب وغيرهم منظمات وجمعيات وحركات سياسية بالإضافة إلى الصحف، والتي كانت تدافع كلٌ عن قوميتها في أوروبا ، مما خلق شعوراً لدى الأتراك من الأحرار العثمانيين وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي، بأن لكل قومية في الإمبراطورية حركة او جمعية تحميها وتدافع عنها ما عدا الأتراك أنفسهم.

كما كان لانتصار اليابان على روسيا سنة 1904، أثر واضح في تحريك الأوضاع الداخلية العثمانية؛ لأن ذلك يعني انتصار الدولة الديمقراطية الدستورية على الدولة الاستبدادية.

كما كان للثورة الروسية التي قامت ضد الحكم القيصري في روسيا سنة 1905، أثر في دفعهم وتشجيعهم على القيام بالثورة إذ أصبح عندهم قناعة بان الحكم الاستبدادي لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية وأن بإمكانهم القيام بالثورة ضد سلطة السلطان عبد الحميد.[279]

كما أثار تدخل الدول الأوروبية في شؤون الإمبراطورية العثمانية ورضوخ السلطان عبد الحميد الضعيف لمطالبها، أثار حفيظة ضباط الفيلق الثالث على وجه الخصوص. بالذات عندما تم الإعلان عن نبأ اجتماع ريفال.[280]

---

[275] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص60- 61
[276] نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص261
[277] كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص50
[278] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61
[279] كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص148- 149
[280] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61

وهكذا نجد أن جميع هذه الظروف والأحداث أظهرت أن شروط الانقلاب بدأت تنضج، في الإمبراطورية العثمانية وأن الكل أصبح يتنفس هواء الثورة.

وكان للوضع على الساحة الدولية أثر كبير في إشعال فتيل انقلاب جمعية الاتحاد والترقي، مثل ازدياد التعاون بين بريطانيا وفرنسا، والذي عمل على إثارة قلق وخوف الضباط سنة 1907، من أن تقوم هاتان الدولتان بانتزاع أقاليم عثمانية أخرى من الإمبراطورية العثمانية.[281]

وأخيرا جاءت اللقاءات الدبلوماسية لتضيف مزيدا من الهموم إلى عامة المجتمع العثماني،[282] فما كاد يعلن عن نبأ اللقاء المشهور[283] بين الملك البريطاني ادوارد السابع والقيصر الروسي نيقولا الثاني، في ريفال (Reval) يومي 9 و 10 حزيران/يونيو 1908،[284] حتى غلا مرجل الحقد في قلوب الضباط الأحرار، وخافوا من احتمال أن تفرض على الدولة العثمانية تضحيات جديدة،[285] إذ أصبح معرفا بأن بريطانيا كانت مستعدة أن تتخلى عن معارضة الطموحات الروسية في الشرق، وذلك سوف يؤدي إلى نهاية الحكم العثماني في مقدونيا، وربما في جميع أنحاء الأراضي العثمانية في أوروبا،[286] وخمنت قيادات الجمعية أن هذا المؤتمر ما هو إلا الخطوة الأولى لتقسيم الإمبراطورية العثمانية وأن خطة تجزئتها قد بدأت.[287] كما خافوا من احتمالية تمزق الإمبراطورية العثمانية، ومما زاد من انتشار هذه المخاوف المناورات التي قام بها الأسطول الحربي الروسي على البحر الأسود قرب السواحل العثمانية في الأيام القليلة الماضية. كما قامت الدعاية النمساوية والألمانية بصب الزيت على النار بأن أكدت أن المباحثات التي جرت بين القيصر والملك كانت حول تقسيم أملاك الدولة العثمانية.[288] فقد قرر العاهلان التصميم على المضي قدما في تنفيذ الخطط الموضوعة الخاصة بالولايات المقدونية الثلاث (سلانيك ومناستر وقوصوة،) بصورة نهائية، وطالبا بأن يوضع على رأس المحاكم فيها قضاة أوروبيون.[289] كما تم الاتفاق على تقديم مبادرة مشتركة تهدف إلى إنهاء حالة الفوضى السائدة في مقدونيا، وتتمثل هذه المبادرة

---

281 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240
282 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص250
283 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61
284 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240
285 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61
286 كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. ص151
287 عماد حمد صالح عبد الحليم الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908 – 1909**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، 2006. ص56
288 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص250
289 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61

بإرسال قوة مشتركة تعدادها من (12-10) ألف مقاتل.[290] وكان ذلك إشعارا بالخطر الجسيم الذي أقنع الضباط بحتمية التحرك سريعا كي يتم إنقاذ الدولة العثمانية.[291] بل آمن الاتحاديون أنه أصبح من الضروري الانتقال إلى الأفعال كي يتم استعادة العمل بالدستور، لقد استبد القلق بجميع الاتحاديين على مصير الإمبراطورية العثمانية، فقد روى نيازي بك أنه عندما سمع خبر لقاء العاهلين البريطاني والروسي في ريفال بأنه لم يستطع النوم لمدة ثلاثة أيام بلياليها. وتزامن مع هذه الأحداث اشتداد ضغط الإجراءات الحكومية على جمعية الاتحاد والترقي،[292] واستعداد السلطان عبد الحميد للقيام بحمله من أجل قمع التمرد العسكري والذي كان قد علم بوجود تحضيرات له من خلال تقارير جواسيسه.[293]

وكان واضحاً أن دخول قوات أجنبية إلى البلقان سوف يؤدي إلى فصلها عن الإمبراطورية العثمانية، وسيقود هذا إلى تحطيم التنظيم في الدولة العثمانية والمتمركز في القسم الأوربي فيها، ولهذا لم يكن من المستغرب أن تثير اتفاقية ريفال غضبا عاصفا في الدولة العثمانية، وأن تدفع الاتحاديين للتعجيل وتحويل المبادئ النظرية إلى واقع عملي ملموس وذلك من خلال القيام بالانقلاب.

إن الإهانة التي وجهت إلى الإمبراطورية العثمانية على أثر إخضاع مقدونيا إلى الرقابة الدولية، ثم اجتماع الريفال بين روسيا وبريطانيا. والذي كان محاولة لتقسيم الإمبراطورية العثمانية الضعيفة، كل ذلك ولد روح النقمة والهيجان في أوساط الضباط والانقلاب سنة 1908، ومن ثم تسلمت جمعية الاتحاد والترقي السلطة.

ولقد استطاعت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية الحفاظ على سرية موضوعها وإخفاء أمرها في سلانيك، إلا أن ذلك كان لفترة محدودة، فما لبثت أن انتشر أمرها بعد فترة من الزمن، وذلك لكثرة المنتسبين للجمعية وصعوبة الكتم والتخفي، فعلم بأمرها جواسيس السلطان فأخذت تقارير الجواسيس ترد إلى المَابين، وبدأت العاصمة بإرسال أعوانها، عندها قررت الجمعية تنفيذ

290 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908 – 1909**. ص56
291 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص240
292 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص250
293 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. مصر: مطبعة الهلال، 1921. ص95

حكم الإعدام في المدانين بتهمة الخيانة للوطن والتجسس، فقامت الجمعية ووظفت لذلك من أعضائها فدائيين.[294]

وفي شباط 1908، تم تعيين ناظم بيك رئيساً للجنةٍ تحقيقيه في سلانيك من أجل بحث وكشف أسرار الجمعية، وقادت التحقيقات التي قام بها إلى اعتقال عدد من ضباط الجيش ذوي الرتب الصغيرة والمنتمين إلى الجمعية، الأمر الذي كان من شأنه أن يؤدي إلى اكتشاف أمر الجمعية وتعرضها للتدمير، ومن أجل منع ذلك وضعت الجمعية ناظم بيك على رأس قائمة المطلوب اغتيالهم وفي 11 حزيران 1908، تم ذلك إلا أن المحاولة باءت بالفشل على الرغم من إصابته، مما اضطره في اليوم التالي إلى الذهاب على وجه السرعة إلى العاصمة لتقديم تقريره.[295]

وتم قتل أحد المخبرين في سلانيك، فاضطربت حكومة العاصمة اضطرابا شديدا وأرسلت الفريق الأول شمسي باشا الارناؤوط[296] المعروف بولائه للسلطان عبد الحميد، من أجل أن يتولى قيادة عسكر مقدونيا والقضاء على تمرد الثوار،[297] وأرسلت معه فرقة من الضباط والعسكر[298] إلا أن رد الاتحاديين جاء معبرا وقويا[299] وقاموا في وضح النهار باغتيال قائد الجيش الفريق الأول شمسي باشا في شوارع مناستر وذلك على يد أحد فدائيي الجمعية الملازم عاطف بك. واستطاع الجاني بمساعدة زملائه أن يختفي عن الأنظار.

هزت حادثة الاغتيال السلطان عبد الحميد هزا قويا، إذ كيف تقع حادثة الاغتيال تحت بصر وسمع ثلاث كتائب من الجيش وفي ساحة مكتظة بالناس؟![300] وبهذا أصبحت سياسة الاغتيالات سُنَّة ضد كل العناصر الحكومية الموالية للسلطان.

كما تم اغتيال عدد كبير من العسكريين والجواسيس الملكيين، عندها قرر المابين إرسال ثلاثين ألفا من جنود الأناضول مكونة من ثلاث فرق. وقد امتنعت الفرقة الأولى عند وصولهم إلى

---

294 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص156- 157
295 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908 – 1909**. ص55- 56
296 محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص156- 157
297 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص251
298 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص157
299 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص251
300 مصطفى طوران. **اسرار الانقلاب العثماني**. ترجمة: كمال خوجه. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1985. ص52- 53

سلانيك عن محاربة أخوانهم العساكر بل وانضموا إلى صفوفهم، كما رفض الضباط والعساكر مقاتلة إخوانهم في رسنه. عندها امتنع وكلاء المجلس عن إرسال جنود الأناضول إلى الروملي.[301]

وهكذا وفي نهاية حزيران 1908، اتخذت لجنة جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك قرارا يقضي بأن يترك الضباط، أعضاء اللجنة، الخدمة ويشكلوا فصائل مسلحة يبتعدون بها إلى جبال مقدونيا حيث ينظمون انتفاضة مسلحة.[302]

وتلقى أحمد نيازي الرسنه لي الرئيس الأول (القول آغاسي) استدعاء عسكريا بالقدوم إلى اسطنبول، إلا أنه أدرك أن الهدف من هذا الأمر هو إلقاء القبض عليه للاشتباه به أنه من المعارضة ومن زعماء جمعية الاتحاد والترقي، فما كان منه إلا أن[303] نفذ قرار الجمعية وانطلق مع قوات من الجيش الثالث الذي يتولى هو قيادتها،[304] وتوجهوا إلى ناحية (رسنه) وتقع إلى شمال غرب على مسافة ثلاثين كيلومترا، من مدينة مناستر[305] وذلك في الثالث من تموز 1908، على رأس فصيل من الجنود تعداده 200 شخص[306] ومبلغ من المال، وكمية من العتاد والأسلحة حملها معه من مخازن قواته أثناء عملية الهروب.[307] وزحف بالجنود عبر مقدونيا الجنوبية متحديا الاستدعاء الذي صدر إليه من اسطنبول.[308] وكان احمد نيازي بيك، قائد حصن دسته، أول ضابط ينفذ قرار الجمعية بعد أن أرسل برقية إلى يلدز يطالب فيها بإعادة الدستور فورا.[309] وتعتبر هذه الحادثة بداية المرحلة الأولى من الانقلاب.

وما لبث البكباشي أنور بيك أن حذا حذو نيازي عندما علم بالأمر وزحف هو أيضا عبر مقدونيا الشرقية بوحداته.[310] المؤلفة من 300 جندي من كل القوميات والأديان وتوسعت الانتفاضة فشملت الحاميات العسكرية المرابطة في سلانيك واسكوب ومناستير وغيرها.[311] كما قام ضباط

---

301 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص157- 158
302 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908 – 1909**. ص57
303 مصطفى الزين. **ذنب الاناضول**. ص42
304 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61
305 محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص157
306 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908 – 1909**. ص57
307 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص251
308 مصطفى الزين. **ذنب الاناضول**. ص42
309 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص57
310 مصطفى الزين. **ذنب الاناضول**. ص42
311 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص57

آخرون كثيرون بتقليدهما، مما أدى إلى انتشار الحركة بسرعة هائلة من وحدة إلى أخرى، ساعدها على هذا آليات التحرك في الجيش، مع ما يرافقها من تنظيم وانضباط.[312]

وفي 17 تموز 1908، زادت جمعية الاتحاد والترقي من تماديها، فاستولت على مكتب بريد مدينة سلانيك. وذلك للاستفادة منه، في إيصال الرسائل والتبليغات إلى أعوانها من العسكريين والموظفين في مناطق البلقان، وإبلاغ الأعيان والعُمد في القرى، كي تخبرهم بموعد بدء الانقلاب ضد حكم السلطان عبد الحميد الثاني.[313]

وعمت أعمال العصيان العسكري والمدني ما بين 20 و 23 تموز العديد من المدن التي علا صوتها مرددين "يحيا الوطن، تحيا الأمة، تحيا الحرية"، وأعلن بعض أهالي القرى القريبة من سلانيك، تأييدهم للمتمردين، وانهمرت البرقيات على قصر يلدز من كل أنحاء الدولة العثمانية، مطالبة بإعادة العمل بالدستور.[314] واكتسب الاتحاديون عطف الألبان وثقتهم وانضموا إليهم ثم أرسلوا جميعهم البرقيات إلى السلطان عبد الحميد الثاني مطالبين بإعادة دستور سنة 1876،[315] والمجلس النيابي ووجوب الحكم بالمبادئ الدستورية الحرة.[316] وفي 22 تموز/يوليو قام نيازي وأنور أيضا بالنداء إلى إعادة العمل بالدستور الذي وضعه المصلح مدحت باشا، أما منصب الصدر الأعظم فقد طالبوا بتعيين سعيد باشا كوجوك.[317] وفي 22 تموز 1908، قام السلطان عبد الحميد بعزل فريد باشا الصدر الأعظم (1903- 1908) ورضا باشا وزير الحرب، وعين بدلاً منهما سعيد باشا صدراً أعظم وعمر رشدي باشا وزيراً للحربية، محاولا بذلك تحقيق هدفين، الأول التهرب من القيام بإصلاحات، والثاني ضمان مساندة الحكومة البريطانية، له كون الصدر الأعظم الجديد له علاقة صداقة معها، لكن ذلك لم يثر اهتمام أعضاء الهيئة الدبلوماسية البريطانية الذين فضلوا "الانشغال بمراقبة نهاية لعبة التنس" أكثر من الانشغال بالتغيير الوزاري الأخير.[318]

وبعد يوم من تلك الأحداث وتحديدا في 23 تموز 1908 وعندما رأت جمعية الاتحاد والترقي اتساع وقوة مؤيديها، أبرقت من سلانيك إلى السلطان تنذره بأن يصادق على مرسوم إعادة

---

312 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص251

ض313 اسماعيل نوري دوري."محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني. ص344

314 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص252- 253

315 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص95- 96

316 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61

317 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص96

318 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص60- 61

الدستور خلال أربع وعشرين ساعة، وإلا فإنها ستُحَرَك الجيشين الثاني والثالث،[319] وفيهما فصيل من الثوار يتألف من 100.000 ألف مقاتل إلى اسطنبول. كما أبرقت الجمعية إلى حسين حلمي باشا رئيس الإدارة الحكومية في مقدونيا، المراقب للولايات الثلاث سلانيك وموناستير وكوسوفا، تطلب إليه إقناع السلطان بأن إعادة النظام الدستوري هي الوسيلة الوحيدة أمامه للمحافظة على عرشه. كما وصل إلى يلدز 67 برقية خلال يومي 22 و23 تموز فقط أرسلها موظفو السلطان يطالبونه فيها إعادة الدستور.[320]

وفي 23 تموز، تم إعلان الدستور في موناستير وفي عدة مدن مقدونية أخرى وذلك بشكل عفوي. وصدرت أوامر عن جمعية الاتحاد والترقي بالتحرك في 26 تموز إلى العاصمة اسطنبول في حالة استمرت الحكومة في المقاومة والرفض.[321]

ففي صبيحة يوم الخميس 23 تموز/يوليو 1908، خرج الناس في سلانيك ووجدوا إعلانات مختومة بختم (جمعية الاتحاد والترقي العثمانية) تدعوهم فيها إلى اجتماع في اليوم التالي وذلك من اجل إعلان الحرية والقانون الأساسي، إلا أنهم لم يطيقوا الانتظار إلى اليوم التالي - الجمعة- بل قاموا بالاجتماع في نفس ذلك اليوم -الخميس- وذلك في ميدان يسمى اوليمبوس وعلى الرصيف في مدينة سلانيك. وصاحت الجماهير قائلة: إما الحرية وإما الموت!! وخطب فيهم أولا، غالب أفندي باللغة التركية من على شرفة فندق (اوليمبوس بلاس) ثم تبعه في إلقاء كلمة عمانويل قره صو اليهودي باللغة الاسبانية ثم روحو أفندي باللغة الفرنسية وباللغة التركية سليمان أفندي، ومحرر جريدة (عصر) باللغة التركية فضلي بك نجيب، باللغة التركية والروسية فيلوطاش بابا جورج، بالبلغارية ترجمان المحكمة المخصوصة (فوق العادة)، وأخيرا، رئيس البلدية عادل بك بالتركية، ثم رددوا جميعا "فليحيا الوطن، فلتحيا الأمة، فلتحيا الجمعية، فليحيا الجيش، الحرية أو الموت" وفي تلك الليلة أعدوا مأدبة وحفلة موسيقية عزفت فيها الموسيقى العسكرية على أنغام المرسيلية:[322]

---

319 اسماعيل نوري دوري.محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني. ص345

320 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص61

321 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص253

*هذا البيت من ابيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالعربية ترجمة حرفية نظما هكذا: هلموا يا بني الوطن قيوم المجد قد وافى. وكانت ترجمت التركية هكذا "فالقل اي اهل وطن شان كونلري كلدي"

322 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص158- 159

*Allons enfants de la patrie lejour de gloire **ast arrive**

وفي مساء 23 تموز وبعد مداولات الصدر الأعظم مع الوزارة وبحضور السلطان، أقر المجتمعون بخجل ضرورة إعادة الدستور،[323] وعندها علم السلطان بأنه لم يعد يسيطر على الوضع، وشعر بمدى ضعف وضعه وقرر امتصاص غضب المتمردين[324] والرضوخ لمطالب الانقلابيين وذلك بإعلان عودة العمل بالدستور والحياة النيابية.[325] خشية من أن يقوم الجيش بالتحرك من مقدونيا إلى اسطنبول وينفذ تهديده.[326] وقد ذكرت الأميرة عائشة في مذكراتها: أعلن السلطان إعادة الدستور بكل مواده في 23 /24تموز 1908 لكي يحول دون تحول هذا التمرد إلى حرب أهلية دامية.[327] ولم تمض ليلة 24/23 تموز حتى حملت التلغرافات إلى جميع أنحاء الإمبراطورية خبر إعادة الدستور.[328]

وهكذا أعلن السلطان عبد الحميد الثاني مرغما، في اليوم الرابع والعشرين من تموز سنة 1908، العودة إلى دستور 1876.

ونشر إرادة سنية بإعادة العمل بدستور سنة 1876، الذي أوقف العمل به منذ 1878،[329] وفي ليلة الجمعة وردت إلى المفتش العام لولايات مقدونية حلمي باشا رسالة برقية بنشر الإرادة السنية بإعادة الدستور، وفي سراي الحكومة اجتمعت الجماهير، وأعلن رسميا القانون الأساسي والحرية وذلك بحضور أعضاء جمعية الاتحاد والترقي والمفتش العام وإبراهيم باشا مشير الفيلق الثاني وموظفي الحكومة والبلدية وابتداء موسم السرور والأفراح.[330] ونشرت الصحف العثمانية في صباح يوم الجمعة، الإرادة السلطانية بإعادة العمل بدستور 1876، والدعوة قريبا لإجراء انتخابات، وعقد البرلمان وذلك بعد تعطيل استمر أكثر من ثلاثين عاما.[331] واصدر أمرا في اليوم التالي بإبطال أنظمة الجواسيس(الخِفِية) وإلغاء نظام الرقابة على المطبوعات، وإخلاء سبيل

323 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص61
324 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص241
325 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص61- 61
326 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص241
327 عائشة عثمان اوغلي. **والدي السطان عبد الحميد الثاني**. ترجمة: صالح سعداوي صالح.عمان: دار البشير، 1991. ص35
328 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص62
329 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص96
330 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص159
331 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص253

السياسيين المعتقلين كلهم.[332] ودعا المجلس المؤلف من 20 عضوا قام بانتخابهم مندوبون، وكل مندوب منهم يقوم باختياره جماعة من البالغين الذكور الذين لا يقل عمر الواحد منهم عن 25 سنة.[333]

دخل أنور ونيازي دخول الفاتحين إلى مدينة سلانيك، فأسرعت الجماهير لاستقبالهما بشكل تظاهرة ضخمة شملت جميع سكان البلدة من العسكريين والمدنيين، تقريبا، ثم قام أنور بالصعود إلى فندق (اولمبيا بالاس) المقام في الساحة الرئيسية، حيث قام بإلقاء خطاب حماسي في الجماهير المحتشدة من على إحدى شرفات الفندق، أعلن فيه الاستيلاء على الحكم من قبل (الشبان الأتراك) خلال عاصفة من التصفيق والهتاف بحياة الانقلاب والقائمين به. وما أن انتشرت في الخارج أخبار انتصار الانقلاب وتراجع السلطان عبد الحميد الثاني أمام (الشبان الأتراك) وإعلان الحكم الدستوري، حتى صارت وفود اللاجئين والمنفيين السياسيين تتدفق على العاصمة العثمانية، من القاهرة وباريس وجنيف وغيرها من العواصم. وكان من بينهم رؤساء ووزراء سابقون وشيوخ وأعيان، بل وحتى بعض الأمراء من سلالة السلاطين.[334]

لقد حدث الانقلاب العثماني بدرجة لم تكن تتصورها لجان جمعية تركيا **الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي بنجاح** وبلا سفك دماء ولا بحصول اضطراب أو قلاقل في الإمبراطورية العثمانية، كما حصل عند باقي الأمم من الفرنسيين والانكليز والأمريكان والروس والمجر وغيرهم.[335]

وهكذا لم يكد الانقلاب يحقق هذا النجاح حتى التقى الأحرار في الخارج والداخل في العاصمة العثمانية، وسار المدنيون والعسكريون في المحافظة على صيانة مكاسبه وصارت جمعية الاتحاد والترقي، بالمنتمين القدامى والجدد من العسكريين، الذين قاموا بالانقلاب، ومنهم نيازي بك وأنور بك وإسماعيل حقي بك وغيرهم، وبالأحرار الذين رجعوا من منفاهم، صارت تمثل قوة هائلة في نظر الجماهير الذي اعتبرها صاحبة الفضل في القضاء على أسس حكم الاستبداد الحميدي،

---

[332] فليب حتى. **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين.** ج2. ترجمة: كمال اليارجي. اشراف ومراجعة وتحرير جبرائيل جبور. بيروت: دار الثقافة، (د.ت). ص350

[333] حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. مصر: مطبعة الهلال، 1921. 96

[334] مصطفى الزين. **ذنب الأناضول**. ص43

[335] محمد روحي الخالدي. **اسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص160

فظهر لجماهير الإمبراطورية انتصار هذه الجماعة القائلة بسياسة صهر ودمج عناصر الدولة وبالحكم المركزي وهي الجماعة التي يرأسها أحمد رضا بك على فريق الأمير صباح الدين.[336]

وهكذا وبعد حكم مطلق استمر ثلاثين سنة، نهض عبد الحميد يوما من أيام تموز سنة 1908، ليجد نفسه أمام انقلاب قام به بعض الضباط في جيشه. فقد كان هذا الانقلاب من صنع جمعية الاتحاد والترقي، وهي اللجنة السرية العاملة لمنظمة سرية عرفت بتركيا الفتاة، تخلفت بدورها عن منظمة سابقة لها هي منظمة الأحرار العثمانيين التي كان أحد أعضائها مدحت باشا. وكانت ثمرة لحركة نشيطة قامت بها جماعة من الشبان والطلاب بهدف تحقيق الإصلاحات؛ وأن تضع دستورا للبلاد ينص على إنشاء مجلس تمثيلي، وأن تهدم حواجز النظام الملي وتبني دولة ديمقراطية متجانسة.

افتتح القرن العشرون يوم 23 تموز 1908، بأفراح غامرة جماعية، عمت معظم أرجاء الإمبراطورية العثمانية، وذلك نتيجة لانتهاء الاستبداد الحميدي بإعلان الدستور، فقد عمت الشارع العثماني مشاهد مؤثرة، حيث تعانق الناس بمختلف انتماءاتهم العرقية والدينية، وتبادلوا التهاني، كما نظموا تظاهرات شعبية فرحا بإعادة الدستور، استجابة لجهود قادتهم، ودعما للنظام الجديد، وصدحت حناجر الشعراء مهللة بالعهد الجديد. فبعد عدة عقود طويلة من قيود الأسر، إذ بالعثمانيين فجأة يجدون أنفسهم وقد تحرروا، ويكتشف المجتمع العثماني قيمة حرية التجمع والتعبير لأول مرة في تأريخه، وبدت كلمة (الحرية) وكأنها كلمة سحرية قادرة على حل كل المشكلات وأن كل الآمال ممكنة، ويمكنها إشباع كل الرغبات، كما وأدلى أنور بيك بتصريح أعلن فيه: تمت معالجة الرجل المريض [337] وانتهت الحكومة الظالمة. كما وأُعلن، إن العثمانيين كلهم قد أصبحوا إخوانا ولم يعد هناك يونانيون وبلغاريون ورومانيون ومسلمون ويهود، بل إن الجميع متساوون والجميع يفتخر بأنه عثماني.[338]

وهكذا أعيد القانون الأساسي وأعلن الدستور، فنادى المنادون بالجماهير في كل المدن أن احتفِلوا به، فاحتفَلوا، وطلب منهم أن: اخطبوا واهتفوا، فخطبوا وهتفوا، ووقف الأحرار وطلاب

336 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص62
337 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية**. ص323
338 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص414

الحرية في وجوه عملاء الاستبداد والعبودية، فعزلوا أناسا من مناصبهم وأنزلوا أفرادًا عن وظائفهم وحذروا الآخرين من بلاء يحل بهم، وبشروا الجماهير بالخير القريب والنعيم الدائم والعز العتيد، وفسر البعض الوضع الجديد كما يحلو له لدرجة أن بإمكانهم إباحة الحقوق وإلغاء الضرائب والإتاوات.[339]

وأعلنت الحرية يوم الجمعة في سلانيك ومناستر وأصوات المدافع في كل مكان تدوي. وكانت بلاد الروم ترقص من نشوتها. ثم سُمعت أصوات المدافع بعد ذلك حول اسطنبول.[340] لا تسل عن السرور والفرح.[341] 226 فقد عمت الفرحة في جميع أرجاء الإمبراطورية العثمانية[342] من أقصاها إلى أقصاها بإعادة العمل بالدستور فقد تآخت عناصرها المتباينة وتحالفت جنسياتها المختلفة وتصافى أتراكها وعربها وألبانها وأرومها وبلغاريوها ورومانيوها ومسلموها ويهودها وزالت سائر الاختلافات وجعل الناس لا يعرفون غير لفظ عثماني تحت سماء البلاد، حتى إن زعماء العصابات المقدونية اخلدوا إلى السكينة والهدوء بعد طول شغب وهياج[343] وتعانق المشايخ بالقساوسة والمسلمون بالنصارى واليهود وأعلنت الحرية بشعاراتها الثلاثة: "العدالة والمساواة والأخوة" وذلك من يوم الجمعة في 24 تموز 1908م.[344]

والحقيقة أن شيخ الإسلام الأكبر كان السباق في عناق البطرك في دار السلطنة، وأن القانون الأساسي الذي نالوا به هذه المساواة التي يحتفلون بها لم ينالوها إلا بمساعدة شيخ الإسلام، فقد قيل إن السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية المطالبة بالدستور[345] فاستفتى شيخ الإسلام بضرب الأحرار،[346] فلم يفته، بل قال: شرعًا قتالهم غير جائز؛ لأن طلبهم شرعيًّا.[347] وقال بل امنحهم الدستور لأنه مطابق للشرعية الشريفة [348] ولقد كان أحد مشايخ الإسلام، أحد واضعي هذا

---

339 مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج12، ص27، المحرم - 1327هـ / فبراير - 1909م
340 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص54
341 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص96
342 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص414
343 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص97
344 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص54
345 مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، شعبان - 1326هـ / سبتمبر - 1908م
346 سليمان البستاني. **عبره وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**. ص124
347 مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، ص417، الجمعة 25 جمادى الآخرة 1326هـ- 11 تموز (24 يوليو) 1908م.
348 سليمان البستاني. **عبره وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**. ص124

القانون الأساسي مع مدحت باشا وجماعته، حيث كان قد وضع هذا القانون بفتوى من أحد شيوخ الإسلام، والآن تمت إعادته بمساعدة من شيخ الإسلام، فهو موافق للإسلام.[349]

في هذا اليوم السعيد استرد العثمانيون قانونهم الأساسي، ومجلس الأمة الذي يكفله، استردوهما بسعي الأحرار، ودعم الجيش الجرار، فهو عيد الأمة العثمانية على اختلاف مللها ونحلها وأجناسها. في هذا اليوم استنشق العثمانيون نسائم الحياة الاجتماعية والسياسية، وذاقوا طعم حلاوة الحرية، في هذا اليوم شعر العثمانيون كلهم بأنهم أحرار في بلادهم، لا يستعبدهم حاكم قاهر، ولا يستبد في عملهم مستبد جائر، فكانت أمانيهم في الارتقاء كبيرةً.[350]

ولقد رأت الأجيال والأمم ما هي هذه الحرية!! في عهد الاتحاديين، لقد عاشت نكبات ومصائب شُنق فيها البشر كالكلاب على أعواد المشانق، وقتل وطعن الأبطال بالحراب في صدورهم وشهدت الأرض التي أقسم جيشها على تحقيق الحرية والعدل والمساواة، حمامات الدم والقتل الجماعي. كل ذلك كان في عهد الحرية، والاتحاديين .

وقام أهالي اسطنبول باستقبال أعضاء جمعية الاتحاد والترقي استقبال الأبطال المنقذين،[351] فقد عمت التظاهرات أنحاء اسطنبول وهتف المتظاهرون بحياة الاتحاديين والأنوريين (نسبة إلى أنور باشا) والنيازيين (نسبة إلى نيازي) وبسقوط الاستبداد.[352] ومن كل جانب قام الخطباء يلعنون الاستبداد ويهنئون بالحرية. وكانت أصوات بائعي الجرائد تدوي في شوارع اسطنبول في يوم السبت 25 تموز سنة 1908م، معلنة نبأ استقالة وزارة فريد باشا وتعيين سعيد كوجوك باشا رئيسا للوزراء وجمال الدين أفندي شيخا للإسلام.[353]

كما قامت عدة تظاهرات غبطة وابتهاجاً في كل الأماكن وتم إبعاد عزت باشا العابد ومصادرة أملاك الذين استفادوا من الحكم الحميدي السابق من قِبل الاتحاديين. وصفقت أوروبا إعجابا للانقلاب الذي حصل من دون إراقة دماء تذكر، وصرح وزير خارجية بريطانيا السير ادورد غراي: بإعلان الدستور فقد اختفت المسألة المقدونية نهائياً، كما ووثقت الدول الأوروبية

[349] مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج 11، ص417، جمادى الآخرة 1326هـ- 11 تموز (24 يوليو) 1908م.
[350] مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج 11، ص464، رجب - 1326هـ / أغسطس – 1908م
[351] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص54
[352] المصدر السابق، ص57
[353] المصدر السابق، ص54- 55

بالاتحاديين لدرجة ألغت رقابتها الأجنبية عن مقدونيا وقامت باستدعاء رجال لجنة المالية وضباط الجندرمة.[354]

ونتيجة لهذه الثورة السلمية التي قام بها الضباط الأحرار،[355] وعلى أثر إعلان الحرية تقرر إعلان العفو العام.[356] فصدر العفو العام عن كل المعتقلين السياسيين وعن كل من اشترك في أعمال إجرامية، كما رفعت القيود المفروضة على الأشخاص المبعدين والمنفيين.[357] فكانت هذه أول مرة يصدر فيها العفو العام على جميع المستويات في تاريخ السلطنة. ففتحت السجون في كافة أقاليم الإمبراطورية العثمانية، ولم يبق فيها أحد موقوف أو محكوم. لقد كان إعلان العفو العام هذا أول خطأ كبير ارتكبته جمعية الاتحاد والترقي بحق البلاد، فما أن فتحت أبواب السجن حتى انتشر آلاف المجرمين من مختلف الأجناس في أنحاء الإمبراطورية، فكانوا السبب في خلق الكثير من المصائب والمتاعب.[358]

بالمقابل اعتقل مؤيدو عهد الاستبداد السابق، وبدأ البحث عن مصادر الثروة التي جمعوها وضروب المظالم التي ارتكبوها، وصدرت قرارات إعدام عاجلة بحق بعض كبار ضباط الشرطة السرية، من هؤلاء، فهمي باشا الذي هرب إلى يني شهر فألقى الأهالي القبض عليه وقتلوه بالحجارة والعصي. وعزت هولو باشا الدمشقي السرياني الكاتب العام للقصر الذي تمكن من أن يهرب إلى خارج البلاد،[359] كما اتخذ قرار بإلغاء منظمة (الخفية) التي كانت السبب في حصول سوء التفاهم بين السلطة والجماهير،[360] فالمبادرة إلى تطهير الحكومة من رجس أعمال الاستبداد السابق، وبدأت بتطهير المابين ونظارة الحربية والباب العالي ومعظم الأقاليم في نفس الوقت؛ فأخرجت من المابين رؤساءَ السادة والفتنة، وعزلت ممدوح باشا ناظر الداخلية ورضا باشا السر عسكر وسجنتهما مع الشيخ أبي الهدى أحد مستشاري السلطان، وتحسين باشا رئيس كتاب السلطان، وهربَ مِن رؤساء المابين عزّت باشا ونجيب باشا ملحمة وسليم باشا ملحمة إلى أوربا. وأخرج من المابين أكثر الكتاب والخدم والحجاب، كما تم تحديد راتب السلطان الشهري وتحديد نفقاته ونفقات قصره، وتم تعيين جميع موظفي السلطان من الأحرار أعضاء الاتحاديين، وكثر النقل والعزل في

354 حسين لبيب. **تاريخ المسألة الشرقية**. ص97
355 سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص275
356 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص56
357 سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص275
358 مصطفى طوران. **اسرار الانقلاب العثماني**. ص56
359 المصدر السابق، ص54- 55
360 سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص275

معسكرات الجيش والدوائر الملكية، وهذا برأي الاتحاديين ضروري جدًّا؛ من أجل أن تكون الجمعية واثقةً من القوة التي هي عماد الأمن وحامية الدستور.[361]

وأخيرا نال العثمانيون الأمنية التي تشوفوا إليها مِن نحوِ ثُلُثِ قَرن بعد ما سلبت منهم، وصدرت الإرادة السلطانية في صبيحة يوم الجمعة المبارك 25جمادى الآخرة 1326هـ/25تموز/يوليو 1908م، بإعادة (مجلس المبعوثان) والأوامر بالانتخاب صدرت من مقام الصدارة إلى الولايات. فعم السرور والفرح كل العثمانيين في الإمبراطورية وكل الأقاليم، وفي جميع أقطار الأرض واعتبروا ذلك اليوم عيدا عظيما عامًّا للأمة العثمانية على اختلاف نحلها ومللها.[362]

وتم نشر القانون الجديد "قانون الانتخابات الخاص بمجلس المبعوثان " لانتخاب النواب في العشرين من آب 1908، مع لائحة تتضمن تعليمات تطبيق على أساسه، وحسب هذا القانون تمت الانتخابات في الدولة العثمانية على مرحلتين: المرحلة الأولى يقوم بها الرجال ذوو المكانة الاجتماعية بالذهاب إلى الصندوق ويقومون بالإدلاء بأصواتهم، وفي المرحلة الثانية يقوم الرعايا (عامة الشعب)، الرجال الذين يبلغون سن الخامسة والعشرين عاماً فما فوق، بالذهاب إلى صناديق الاقتراع ويدلون بأصواتهم وكانت عملية التصويت تتم على أساس" الانتخاب المفتوح" لأنه كان هناك عدد كبير من مواطني الدولة العثمانية لا يعرفون القراءة والكتابة، وتم اتباع هذا الأساس لمساعدتهم على اختيار من يريدون من قبل موظفي الانتخابات أو من قبل من يساعدونهم، ويقومون بانتخاب نواب اللواء، وعددهم في المجلس النيابي 288 نائبا، لمدة أربع سنوات.

وقد تم إجراء الانتخابات على مرحلتين للمجلس النيابي، في شهر تشرين الثاني 1908، تم تمثيل جميع فئات الإمبراطورية العثمانية في المجلس الجديد، فبلغ عدد الأعضاء الأتراك 147، أما العرب فكان عددهم 60 عضوا عربيا و47 عضوا ألبانيا و 26 عضوا يونانيا و24 عضوا أرمينا و10 من السلاف و 4 أعضاء يهود. وقد جرى تمثيل كل الملل بنسبة السكان التقريبية. كما تم تعيين أعضاء مجلس الأعيان.[363] وبعد ذلك وفي العاشر من كانون الأول 1908، تم افتتاح المجلس

[361] مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، ص464، رجب - 1326هـ / أغسطس – 1908م
[362] مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، ص464، جمادى الآخر - 1326هـ /يوليو - 1908م
[363] سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص275

العمومي المؤلف من مجلس النواب والأعيان بخطاب السلطان عبد الحميد، أعلن فيه مباهيا أن المجلس السابق كان قد علق تعليقا مؤقتا ريثما يحقق المواطنون الاستعداد اللازم عن طريق التهذيب والتربية.[364] وأن يعيده في الوقت المناسب وها هو قد أعاده إلى حيز التنفيذ.[365] كما تم انتخاب رئيسين للمجلسين وأمناء سرهما. عندها بدأت أعمالهما بما يتوافق والدستور.[366] وقد وصفت الأميرة عائشة في مذكراتها استعداد السلطان عبد الحميد لافتتاح مجلس المبعوثان فكتبت: أكثر ما شغل بال السلطان وقتها (أي 1908) الاستعدادات لافتتاح مجلس المبعوثان، وأنه كان سعيداً ويعمل بشوق كبير، فقد أوصى بحياكة أزياء رسمية جديدة لفرسان طابور المعية المرافقين له يوم الافتتاح. وأضافت: أن المدافع أطلقت مئة وإحدى طلقة تحية للسلطان بينما كان يلقي خطبة الافتتاح.[367]

أما على الصعيد الخارجي فقد استغلت بلغاريا والنمسا، وهم أعداء الإمبراطورية العثمانية عمل العسكر بالسياسة الداخلية للدولة وبترتيبات الحكم الجديدة للاستيلاء على أقاليم وأراضٍ جديدة من الدولة العثمانية.[368] ففي السابع من تشرين الأول/اكتوبر1908، أعلنت النمسا أنها ألحقت منطقتي الهرسك والبوسنة بإمبراطوريتها وأنهما أصبحتا بهذا الإلحاق جزءا من أملاكها!! وكانت بلغاريا قد سبقت النمسا بيومين وأعلنت استقلالها، ثم تبعهم سكان جزيرة كريت وأعلنوا التحاقهم بالدولة اليونانية. فحولت هذه الحوادث أنظار الدولة الدستورية الجديدة، وصرفتها عن القيام والاهتمام بما تقتضيه أحوال البلاد الخارجية والداخلية.[369] وهكذا وجد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي أنفسهم مضطرين للتخلي عن أراض أوسع من تلك الأراضي التي فقدها عبد الحميد الثاني خلال الثلاثين عاما الماضية. مما أفقدهم الكثير من مصداقيتهم، وهم الذين قاموا بإعلان الثورة من أجل منع المزيد من تمزق الإمبراطورية.

---

364 فليب حتى. **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**.ص350
365 جلال يحيى. **العالم العربي الحديث**. ص413
366 سعيد احمد برجاوي. **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري**. ص275
367 عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص227- 228
368 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص241
369 مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، ص798، شعبان - 1326هـ / سبتمبر - 1908م

- الحكومة الجديدة في الأستانة ونشاطها

كان من نتيجة النجاح السريع للانقلاب من دون إراقة للدماء، وما رافق إعادة الدستور من مظاهر الفرح والسرور ومن هول المفاجأة؛ عدم تمكن رجال جمعية الاتحاد والترقي من إعداد الخطط التي ستحكم الوضع السياسي الجديد، لذا لم يقدموا على عزل السلطان عبد الحميد في الحال.[370] وتم تشكيل حكومة جديدة في العاصمة لم يدخل فيها رجال من جمعية الاتحاد والترقي؛ وذلك لأنهم كانوا شبابا غير معروفين، إلا أنهم هم الذين قاموا بترشيح رجال الحكومة ووقفوا من ورائهم يحركونهم ويراقبونهم.[371] حيث قامت جمعية الاتحاد والترقي بتعيين وزراء وقياديين في اسطنبول موالين لهم حتى يراقبوا السلطان عبد الحميد والحكومة.؛[372] لأن الحكومة الجديدة لا تستطيع أن تستغني عن تجارب السلطان عبد الحميد، ولا عن براعته وذكائه في حل المشكلات السياسية، وبالذات في السياسة الخارجية، وليس بين الحكومة وبين الاستفادة منه، إلا أن تخلص هي له ويأمن هو لها.[373] لذا وبعد انقلاب 23 تموز/يوليه 1908م، أدار الأمور السياسية في الدولة رجال الحكم السابق،[374] إلا أنه تم عزل الكثير من رؤساء الدوائر في العاصمة وكثير من المتصرفين والولاة والقائمقامين ورؤساء الدوائر في المتصرفيات والولايات والأقضية، وتم تعيين أناس في أماكنهم مؤيدين للدستور والحكم الجديد، وطلبت جمعية الاتحاد والترقي من الموظفين القيام بأداء يمين القسم على الإخلاص للدستور، وخصت المنتسبين لها بالوظائف. وهناك من انتسب عن صدق وإخلاص للجمعية، وهناك من انتسب مداراة للموقف وحرصا على مصلحته.[375]

أما لماذا أبقت جمعية الاتحاد والترقي السلطان عبد الحميد سلطانا على سدة الحكم بعد انقلاب 1908؟ خاصة وأن جمعية الاتحاد والترقي لم تفكر يوما في إبقاء السلطان عبد الحميد على عرش الإمبراطورية إذ كان خلعه على سلم أولوياتها؛ لأنه كان يشكل خطرا كبيرا على تصوراتها وخططها ومشاريعها طوال السنوات التي ناضلت من أجلها، وعلى طموحاتها، بينما السبب في الإبقاء عليه، بالإضافة إلى الأسباب التي ذكرت سابقا من النجاح السريع للانقلاب من دون إراقة للدماء، وعدم قيام الاتحاديين بإعداد الخطط التي ستحكم الوضع السياسي الجديد، بالإضافة إلى

---

370 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص241

371 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ج1. دمشق: الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، 1984. ص172

372 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص241

373 مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، ص417، جمادى الآخر - 1326هـ /يوليو - 1908م

374 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص241

375 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)**. ص172

خبرة السلطان السياسية، أن جمعية الاتحاد والترقي لم يكن لديها القوة الكافية لتقوم بخلعه، بالرغم من الانقلاب عليه باعتباره ضرورة دينية ودنيوية لا غنى للعثمانيين عنه، كما أن الجماهير العثمانية كانت تقدر المحاولات التي قام السلطان عبد الحميد بها كي يحمي الإمبراطورية من الأطماع الأوروبية، كما خافت جمعية الاتحاد والترقي من ردة فعل الشعوب العثمانية التي كانت تهتف بحياة السلطان بالرغم من الانقلاب.

وكان للجيش دور مهم في إبقاء السلطان عبد الحميد على عرشه؛ لأن الجنود العثمانيين لم يكونوا جميعهم ينتمون إلى الاتحاديين، فقد كانوا مجرد جنود عاديين يتكونون من فئات المجتمع العثماني المختلفة، حيث لم تتجرأ الجمعية على نشر دعايتها ضد السلطان عبد الحميد بين كثير من الجند؛ لأنهم كانوا يعظمون السلطان، ليس فقط لكونه خليفة للدولة الدينية المسلمة، بل أيضا للدور التقليدي للسلاطين، حيث كان السلاطين يقومون بقيادتهم الجيوش بأنفسهم في هذه الدولة العسكرية. لذا فرض عليهم الانتظار. مع العمل على تحييد السلطان وعلى إيجاد الفرصة الملائمة لخلعه.[376]

وهكذا فازت جمعية الاتحاد والترقي بالحكم عام 1908، وقد كان لفوز الاتحاديين أسباب وظروف كثيرة، داخلية وخارجية. ففي الداخل كان سلاطين القرن الأخير من تاريخ العثمانيين، يعيشون على أمجاد أسلافهم، وقبعوا في قصورهم وانغمسوا في ملذاتهم غير عابئين بما وصل إليه العلم من تقدم في أوروبا. بينما كان الشعب، الذي أخذ يصحو من كبوته بفعل التيارات الفكرية الجديدة التي كانت تهب عليه من أوروبا، يتطلع بكثير من الألم والحسرة تجاه مؤسساته التي تحكم بها رجال المحسوبيات وسوء التدبير وأفسدتها الرشوة، فحاول الشعب إصلاحها حتى تلحق بركب الثورة الصناعية والتقدم العلمي الذي قام في الغرب.

وأخذ رجال الإصلاح وزعماء تركيا الفتاة يعملون لقلب نظام الحكم وإعادة العمل بدستور 1876، الذي كان على نسق الدساتير الأوروبية الغربية. أما في الخارج فكانت الدول الأوروبية تدعم الاتحاديين وتدعم حركاتهم وتفتح عواصمها لهم ولصحفهم المناوئة للسلطان عبد الحميد الثاني وحكمه. وتحت ضغط الانقلاب العسكري الداخلي أصدر السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908، أرادته السنية بإعادة إعلان الدستور وجرت الانتخابات وافتتح البرلمان، إلا أن هذا العمل لم يشفع له فعملوا على خلع السلطان عبد الحميد فكان لهم ذلك سنة 1909.

[376] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. اربد: دار المتنبي للنشر والتوزيع، 2005. ص243-244.

خاتمة الفصل الثاني

تأسست جمعية الاتحاد والترقي في سنة 1889، في اسطنبول وهي الجهة التنفيذية لحزب تركيا الفتاة الذي أسس سنة 1865، وكانت البداية بعدد محدود من طلاب مدرسة الطب العسكرية وكان عملهم يتم بسرية تامة، خوفا من كشف أمرها من أعوان السلطان عبد الحميد الثاني، ثم نمت وتوسعت، ولما شعر أعضاء الجمعية بملاحقة أعوان السلطان لهم، هربوا إلى الدول الأوروبية التي كانت تدعمهم وتقدم لهم الحماية والتسهيلات اللازمة لإصدار الصحف المناهضة للسلطان، وخصوصا بريطانيا وفرنسا. وكان شعار الجمعية "الحرية والإخوة والمساواة"، المستمد من مبادئ الثورة الفرنسية.

وفي سنة 1906، انتشرت المعارضة بين ضباط الجيش في المشرق ثم انتقلت المعارضة وتوحدت في سلانيك وأعلنت الانقلاب من هناك على السلطان عبد الحميد في شهر تموز سنة 1908، مجبرة إياه على إعادة إعلان العمل بالدستور .

الفصل الثالث:

الانقلاب المضاد وعزل السلطان عبد الحميد 1909

يعد الانقلاب المضاد* لعام 1909، نقطة تحول خطيرة ومهمة في تاريخ الإمبراطورية العثمانية، والتي خطط لها رجال (جمعية الاتحاد والترقي) من أجل خلع السلطان عبد الحميد الثاني. تلك الخطة التي قامت على أساس اصطناع أو خلق قوى معارضة للاتحاديين والتي ستكون - المعارضة- أداتها في إثارة هذا الانقلاب، مع حرصهم الشديد على عدم معرفة أقطاب المعارضة لتلك الخطة حتى تتمكن جمعية الاتحاد والترقي من خلع السلطان عبد الحميد.

1- تشكيل الأحزاب بعد انقلاب 1908

شهدت الساحة العثمانية بعد انقلاب 1908، نشاطا كبيرا في تكوين الأحزاب التي اتخذت تجاه بعضها البعض مواقف سياسية، وذلك بعد أن أخذت برامج الاتحاديين تتحول إلى مزيد من المركزية الدكتاتورية والاضطهاد القومي للأقليات داخل الإمبراطورية.[377]

كان كل طلاب الإصلاح والحرية من العثمانيين يلقبون بالأحرار، ثم تألف حزب في اسطنبول سمي **بحزب الأحرار**[378] بعد ثورة عام 1908، وقام الليبراليون بفصل أنفسهم رسميا في وقت سابق وأسسوا في 14 أيلول 1908، حزب الأحرار العثماني[379] وهو حزب سياسي ينادي باللامركزية في الحكم[380] وهو على نفس رأي الأمير صباح الدين الذي يدعو بعدم المركزية، وهي دعوة مضادة للمركزية التي كان الاتحاديون يتمسكون بها،[381] لذا شهدت الوزارة الجديدة التي شكلها حلمي باشا بعد أن سقطت وزارة كامل باشا صراعاً بين حزب الأحرار وجمعية الاتحاد والترقي.[382]

*الانقلاب المضاد: اختلف المؤرخون والباحثون في تسمية التمرد أو الفتنة التي حصلت في الدولة العثمانية عام 1909، والتي أطلق عليها في التاريخ العثماني تسمية الفتنة الارتجاعية، الثورة الاسترجاعية، فالبعض أطلق عليها اسم (حادثة 31 مارت)، والثورة المضادة، أو الانقلاب المضاد، وكلها تسميات لما حدث في ليلة 12/ 13 نيسان 1909.

377 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص246

378 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج12، ص233، المحرم - 1327هـ / فبراير - 1909م.

379 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص246

380 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص142

381 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج12، ص233، المحرم - 1327هـ / فبراير - 1909م.

382 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص142

*جمال باشا: (1872- 1922)ولد جمال في ميتيلان، كابن لصيدلي عسكري. وتخرج في الأكاديمية الحربية سنة 1895، عيين في "هيئة الأركان العامة" في اسطنبول، حيث التحق بوحدة الأشغال في الجيش الثاني المرابط في ادرنه، وفي عام 1898، انتقل إلى الجيش الثالث في سالونيك. عين أولا مفتشا عسكريا على الطرق الحديدية ثم لاحقا في المركز الرئيسي للجيش الثالث، وقد ساهم في التنظيم الإقليمي لحركة المقاومة السرية ضد السلطان عبد الحميد الثاني. التحق بجمعية الاتحاد والترقي وخلال ثورة تركيا الفتاة في تموز/يوليو 1908، ظهر كقائد بارز للجمعية. في سنوات 1913- 1914، شغل منصب وزير للأشغال العامة، ثم لاحقا كوزير للحربية. وخلال الحرب

إن كل تلك الأحداث، بالإضافة إلى زيادة انقسام المجتمع العثماني، وعدم تحقيق الاتحاديين للشعارات التي رفعوها، جعلت إبراهيم تيمو المؤسس الحقيقي للجمعية يشعر بخيبة أمل، فقد قال له جمال بك (باشا لاحقا*): إن هذه الجمعية مختلفة عن الجمعية التي أسستها ودعوت لها في الخارج، هذه الجمعية جديدة من إنتاج سلانيك ومناساير.

كما أصيب إبراهيم تيمو بخيبة أمل أخرى، وذلك عندما قام فرع الاتحاديين بسحب ترشيحه لانتخابات البرلمان العثماني الجديد، بالإضافة إلى حالة الفوضى واضطراب الوضع والصراع على السلطة وبدء التضييق على حرية الكلام والصحافة والميل إلى الاستبداد وغموض المستقبل. أي أن كل ما يحدث يتناقض مع ما ناضل من أجله. وبذلك ضعف دور إبراهيم تيمو الذي كافح طويلا من اجل أهداف جنى ثمارها الآخرون.

وفي 6 شباط 1909، قرر إبراهيم تيمو مع مجموعة من أصدقائه القدامى وبالذات درويش هيما والدكتور عبد الله جودت أن يؤسسوا حزبا بعيدا عن الاتحاديين، حيث كان قد أبعد رسميا عنهم. فتم تأسيس **الحزب العثماني الحر الديمقراطي** برئاسة إبراهيم تيمو وعبد الله جودت نائبا للرئيس، وهو أول حزب ديمقراطي في الإمبراطورية، غير أن هذا الحزب لم يستطع أن يحدث تغييرات سياسية داخل الإمبراطورية.[383]

وفي 5 نيسان من عام 1909، وبعد إعلان الدستور العثماني، وبمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، تم تأسيس تنظيم سياسي جديد معارض لجمعية الاتحاد والترقي هو **الاتحاد المحمدي**[384] وأنصار هذا الحزب كثيرون؛ لأن له اسما تحبه معظم الأمة، فدخل الناس فيه أفواجاً عن سلامة نية، حتى قيل إن من وقعوا على محضر الانتماء بالدخول في سلكه بلغوا سبعين ألفاً في دمشق وحدها. وكان يحمل الصبغة الدينية، وغايته الأساسية، محاربة توجهات جمعية الاتحاد والترقي والقضاء عليها،[385] والمطالبة بالحكم بالشريعة الإسلامية وتطبيق القوانين عليه.[386] وقد

العالمية الأولى، خدم كقائد للجيش الرابع والحاكم الفعلي لسورية مع احتفاظه بحقيبة وزير. وقاد الحملات على قناة السويس في شباط 1915 وآب/ 1916، ضد مواقع الجيش البريطاني، اغتيال في آسيا الوسطى عام 1922.

383 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص245- 246

384 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين فى الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص144 و بشرى ناصر هاشم الساعدي. **"الفتنة الأرتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج".** بغداد: وزارة التعليم والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب قسم التاريخ، الإصدار 58، 2012: ص1- 25. ص7

385 محمد كرد علي. **خطط الشام.ج3**. دمشق: مكتبة النوري، 1983. ص118

386 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج12، ص233، المحرم - 1327هـ / فبراير - 1909م.

أسسه أحد القبارصة ويدعى درويش وحدتي، وهو رجل متصوف، عارض الدستور الجديد وعده مخالفا للشريعة الإسلامية، وقام بإصدار صحيفة له ناطقة باسمه تسمى الفولكان.[387]

كان أغلب أنصار هذا الاتحاد من الضباط (الألايليه /المسلكيين) الذين تدرجوا في الرتب العسكرية من رتبة ضابط صف فما فوق، ولم يحصلوا على رواتب كافية مقارنة بنظرائهم خريجي الكليات العسكرية ذوي الرواتب العالية والامتيازات، لهذا كانوا ناقمين على الأخيرين.[388] ولقد قام هذا التنظيم السياسي وصحيفتة الناطقة باسمه بالدور الأبرز في الحملة التحريضية ضد جمعية الاتحاد والترقي، فقبل بدء الفتنة المضادة بيومين، هددت صحيفة فولكان الاتحاديين محملة إياهم مسؤولية اغتيال الصحفي حسن فهمي بك، ودعتهم إلى العثور على قاتليه وأن تقوم الجمعية بإبعاد عدد من قادة الاتحاديين إلى خارج الدولة، وإلا فلن يهدأ لأحد بال، كما دعت الصحيفة جميع الصحف الأخرى بأن تحذو حذوها في الدفاع عن المقتول،[389] فنشاط هذا التنظيم مهد الطريق لقيام الانقلاب المضاد في صبيحة 13 نيسان 1909.[390]

كما تم تأسيس **جمعية الحرية والائتلاف** في اسطنبول في 8 تشرين الثاني 1911، وكان من أهدافها منح الأقاليم العثمانية حكما لا مركزيا، أي نوعا من الاستقلال الإداري، وقد انضم إلى صفوفها بعض رجال الدولة القدماء وبعض الأمراء، الذين يمثلون اتجاها يمينيا في السياسة العثمانية، مثل الأمير صباح الدين، الذي كان قد فر إلى باريس مع والده، وقد حظي بتأييد الجماهير غير التركية، والتي كانت تسعى للحصول على الحكم الذاتي، إلا أن الجمعية مارست ضغوطا على صباح الدين، فتراجع عن فكرته، مما أفقده شعبيته، بين الأقليات العرقية غير التركية في الدولة العثمانية.[391]

---

387 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص144 و بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الأرتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص7

388 اسماعيل نوري دوري.محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني. ص346

389 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص7

390 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص144

391إسماعيل نوري دوري.محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني. ص346

2- المعارضون لجمعية الاتحاد والترقي

جاء الاتحاديون إلى مركز السلطة العثمانية، عام 1908، تحت وعود براقة وشعارات، فقد أعلنوا أنهم يسعون إلى توحيد جميع القوميات والعناصر، وأنها سوف تؤلف بينهم في جو من الحرية والتآخي والمساواة، وادعت أن هذه السياسة سوف تضع حدا للانتفاضات القومية والمشكلات الداخلية التي تستنزف طاقات الإمبراطورية العثمانية، وأن هذه السياسة سوف تنهي تدخل الدول الأوروبية في شؤون الإمبراطورية، مما سيؤدي بالنهاية إلى تماسك أجزاء الإمبراطورية العثمانية.[392] لكن ما حصل كان العكس تماما.

غير أن هذه الوعود التي أعلنها الاتحاديون خلال فترة ما بين إعادة إعلان الدستور إلى حدوث الانقلاب المضاد ومدتها ثمانية أشهر ونصف بإعادة الأمن والاستقرار للإمبراطورية ذهبت في مهب الريح، وسببت خيبة أمل كبيرة للعثمانيين. ففي بداية حكمهم فقدت الإمبراطورية العثمانية الهرسك والبوسنة لصالح النمسا، كما أعلنت بلغاريا استقلالها،[393] إلى جانب انتشار القومية الطورانية بين قادة جمعية الاتحاد والترقي، وتشديدهم على سياسة مركزية قوية، وإلى جانب ذلك اشتهر عن الكثير من قادة الاتحاديين البعد التام عن الدين، بل إن عددا منهم قد جاهر بعدائه للإسلام وأعلن إلحاده،[394] مِمّا أثار عداوات أصحاب المدارس والطرق الدينية وعلماء الدين.[395] فقد وقر في نفوس طبقة علماء الدين أن الإسلام صار مهددا بالقضاء عليه. وصرحوا أن رجال جمعية الاتحاد والترقي ليسوا سوى جماعة من الماسون والملحدين، وأنهم سائرون بالإسلام والإمبراطورية في طريق الاضمحلال. وهكذا اجتمع علماء الدين والأحرار من صوفية وخواجات على هدف مشترك، ألا وهو إسقاط جمعية الاتحاد والترقي عن الحكم، وقامت الفئات الرجعية باستغلال هذه النقمة العامة على جمعية الاتحاد والترقي وأوهمت الجنود بأن الشريعة قد قضي عليها. وأن ضباطهم الجدد ليسوا سوى ملاحدة لا يؤمنون بالله.[396]

كل هذا أدى إلى زيادة كره الناس لهم، إضافة إلى سياساتهم تجاه رجال النظام الحميدي ومستخدمي البلاط،[397] فقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بتسريح من وصفتهم بالاستبداد والظلم من

---

392 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص5-6

393 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص142

394 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص6

395 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص249

396 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص127

397 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص142

أنصار السلطان عبد الحميد، دون أن تدفع لهم أية تعويضات. فضلا عن سياسة الاتحاديين تجاه الجيش الذي كان حينئذ ينقسم إلى قسمين من الضباط، قسم دخل الكليات العسكرية فتخرج ثم ترقى في مناصبه، والثاني وهم من غير الخريجين من الكلية الحربية ويطلق عليهم اسم (الالايليه) والذين ترقوا بفضل خبرتهم العملية وخدمتهم الطويلة وتحملهم المشاق في شتى أرجاء الإمبراطورية،[398] التي تبلغ مساحتها أربعة ملايين كيلومتر مربع يسكنها 34 مليون نسمه، فقد خدموا في صحاري الحجاز الجافة، وفي مجاهل اليمن الحارة، وذاقوا الأمرين في مواجهة عصابات البلغار واليونان والصرب، فكانوا عسكريين متمرسين ترقوا بحق وعن جدارة.[399] فقامت جمعية الاتحاد والترقي بطرد القسم الثاني بجرة قلم دون أن تدفع لهم أي راتب تقاعدي أو أية تعويضات تذكر، فساءت أحوالهم[400] فتحولوا إلى عناصر مستاءة وساخطة على الاتحاديين، وانضموا إلى المعارضة، كما تم حرمان عدد كبير من الانتهازيين الذين دعموا جمعية الاتحاد والترقي على أمل الوصول إلى مناصب في الدبلوماسية والخدمات المدنية.

ولم يكن هؤلاء وحدهم فقط الذين ناصبوا الاتحاديين العداء، بل شملت المعارضة الفقهاء أيضا، حيث كان هناك أكثر من سبب لهذا العداء،[401] فقد فرضت الجمعية على طلاب المدارس الشرعية تأدية الخدمة العسكرية بعد أن كانوا معفيين منها.[402] وولَّد هذا تذمراً بين طلاب هذه المدارس، فضلا عن اعتقاد الفقهاء أن الدستور يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية. كذلك كان هناك عناصر محتجة في الجيش، فالسياسة العلمانية التي اتخذتها الجمعية داخل الجيش، والمتمثلة في عدم السماح للجنود بالوضوء والصلاة، خلق عناصر متذمرة فيه.[403]

وفي المقابل انقسم ضباط الاتحاديين إلى قسمين: قسم شغل المناصب الرفيعة والهامة، ومنهم البكباشي أركان حرب أنور بك (أنور باشا وزير الحربية والقائد العام للجيش فيما بعد) والقائم مقام أركان حرب جمال بك (جمال باشا) والبكباشي أركان حرب فتحي بك (فتحي اوقيار) الذين أصبحوا ملحقين عسكريين. والقسم الثاني الذي لم يظفر بأي شيء فتحول إلى المعارضة. مما

---

398 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص6 و يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص249

399 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص61

400 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص246

401 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص143

402 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص246

403 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص143 و بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص6

أدى إلى تشكل لجان من المجددين و المنقذين. وأخذت كل لجنة تعمل بمفردها في سبيل تحقيق أهدافها، فكان هذا الوضع مناسبا جدا للدونمة اليهود الذين استغلوا الوضع ولبسوا قناع الثورة والتحقوا بها، وأخذوا يعملون على توسيع شقة الخلاف بين المعارضة والاتحاديين وتأزيم الأوضاع. فأخذ ضعاف النفوس من رجال الاتحاديين السياسيين ينتهجون سياسة التصفية خارج الجمعية وداخلها.[404] فشاعت خلال هذه الفترة عمليات الاغتيال لتصفية الخصوم المعارضين السياسيين للاتحاديين، مما ساهم وبشكل واسع في بلورة أسباب التمرد، فقد اغتيل إسماعيل ماهر باشا والذي كان من رجال السلطان عبد الحميد الثاني[405] في الثاني من شهر تشرين الأول عام 1908، حيث استدرج إلى خارج بيته من موظفين بحجة دعوته إلى اجتماع مهم في وزارة الحربية، ثم قتل على قارعة الطريق. [406] كما تم اغتيال اثنين من الصحفيين المعارضين للاتحاديين وهم كل من أحمد صميم وحسن فهمي بك.

لقد كان مقتل حسن فهمي بك في 7 نيسان 1909، رئيس تحرير صحيفة (سربستي) الناطقة بلسان حزب الأحرار[407] المعارض والمنتقد الرئيسي لجمعية الاتحاديين[408] المحرك الأكبر في دفع كل العناصر الساخطة من الاتحاديين للعمل من أجل إسقاطها، حيث تم اتهام جمعية الاتحاد والترقي بقتله وبلجوئهم إلى وسائل القتل والإرهاب من أجل التخلص من خصومهم السياسيين.[409]

وهكذا لم يحل (13 نيسان/ابريل 1909) حتى شهدت العاصمة اسطنبول فتنة قام بها الجنود، تدعمهم طبقة شيوخ الإسلام بتظاهرات يطالبون فيها بسقوط جمعية الاتحاد والترقي والحكومة، واستبعاد بعض النواب وإعادة ضباط الصف إلى وظائفهم وتطبيق الشريعة.

---

[404] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص62- 63
[405] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص6
[406] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص65
[407] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص6- 7
[408] عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص143
[409] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص7

3- اندلاع الفتنة وكيفية إخمادها

أ- حادثة 13 نيسان 1909 (الفتنة الارتجاعية)

قام الاتحاديون بزعزعة أركان الدين الإسلامي، والذي يعد السبب الرئيس في نظر عامة المسلمين في الحفاظ على كرامتهم وعزتهم، وكثيرا ما كانت الجمعية تقوم وتبطش بالفقهاء وعلماء الدين كما قاموا بحبس العديد من العلماء، هذا في الوقت الذي تلقى فيه علماء الدين الإسلامي التعظيم والتبجيل أثناء تعاملهم مع السلطان عبد الحميد المدافع عن العقيدة. فحدثت تداعيات وصدامات بين مؤيدي الشريعة الإسلامية، وأنصار الدستور الجديد، وكانت هذه البداية لاشتعال الفتنة، كذلك بدأت الصحف المعارضة لسياسة الاتحاديين بمهاجمة الجمعية، ومن هذه الصحف سربستي التي هي لسان حال حزب الأحرار، فقد بدأت تطعن في الاتحاديين وتكتب عن أفعالها وأسرارها، وبما أن سياسة الاتحاديين كانت تكميم أفواه صحف المعارضة، بدأت باغتيال رئيس تحرير صحيفة سربستي حسن فهمي بك كما حاول الاتحاديون اغتيال إبراهيم تيمو، وذلك في ظل وجود أجواء غاية في التوتر.[410]

فعندما نشر الصحفي حسن فهمي بيك في أوائل نيسان 1909، في جريدته "سربستي" مقالا، عن ضرورة ارتداء العثمانيين القبعة الأوروبية، ومعنى هذا أن الأتراك سوف يتشبهون في زيهم بالكفار،[411] فكان هذا الخبر سببا لتأجيج الرأي العام في اسطنبول وغيرها من المدن العثمانية، ففي السابع من الشهر نفسه، تعرض مجهول يرتدي بدله عسكرية برتبة ضابط، على جسر غلاطة، لكاتب المقالة فأرداه قتيلا، فكانت هذه الحادثة الشرارة التي أشعلت فتيل الفتنة في اسطنبول،[412] وقد حوّل معارضو الاتحاديين تشييع جنازة حسن فهمي التي اشترك فيها الآلاف إلى تظاهرة ضخمة مضادة. وقام المشيعون بالهجوم على مؤسسات العهد الجديد، وأحرقوا بعضها.[413]

وفي 13 نيسان (31 مارت*) 1909، انطلقت شرارة الانقلاب المضاد على يد كتائب الجنود المعسكرة في ثكنات سراي طاش قشلة، وبك أوغلي، وبورني، وهي ذات القوة العسكرية

---

410 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص250 – 251

411 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص143- 144

412 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص347
احداث 31 مارت:حسب التقويم الرومي لسنة 1325 ويصادف 22 ربيع الاول 1327هـ/ الموافق 13 نيسان/ ابريل 1909م.

413 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص250 – 251

التي على يدها تم إعلان الدستور في تموز 1908، والتي كانت قد أرسلت إلى اسطنبول من سلانيك كي تضمن استمرارية العمل بالدستور، وكان البكباشي (المقدم) رمزي بك اليهودي الديانة والصهيوني الهدف من أبرز ضباطها.[414]

وحول تفصيلات هذه الحادثة كتبت الأميرة عائشة: أصدر الضباط المنتسبون إلى جمعية الاتحاديين أوامرهم في 11 نيسان/ ابريل 1909، إلى الجنود بألا يتصلوا بعلماء الدين وأن لا مكان للدين في الجيش، وأن السلطان والأهالي تحت حكم جمعية الاتحاديين. فتوجه بعض الأفراد عندما علموا بذلك إلى الباب العالي وسألوا حسين حلمي باشا الصدر الأعظم عن الأوامر، وأخبروه بأن هذا الأمر قد يسفر عن عواقب وخيمة، واقترحوا عليه سحب هذه الأوامر.[415]

وفي 13 نيسان/31 مارت 1909، طُلِبَ من بعض المشايخ إلغاء إعطاء دروس الوعظ في ثكنتي طاش قشلة، وبك أوغلي. وفي نفس الوقت أرسل رجال الاتحاديين هيئة من الضباط المتآمرين المزيفين، والتي انحصرت مهمتهم في تأليب الأوضاع.[416] ففي 13 نيسان دعيت الفرق العسكرية إلى اجتماع عام، ولما اجتمعت الطوابير العسكرية ودقت الموسيقى وأدوا التحية العسكرية لجنرال (باشا) غير معروف للجنود ومعه ضباط، خطب هذا الجنرال قائلا بأنه سيتلو إرادة سلطانية (مزيفة) تنص على إبدال لبس الطربوش بالقبعة،[417] أيضا هذه الهيئة المزيفة قامت بقراءة نفس الإرادة في ثكنة المدفعية في بك أوغلي.[418]

وفي هذا الصدد يذكر مصطفى طوران وهو شاهد عيان وأحد ضباط الجيش العثماني المرابط في ثكنة طاش قشلة والذي شهد فتنة 13 نيسان، ونجا منها بأعجوبة، من أن مسألة إلباس قبعة لرجل مسلم في الدولة في ذلك الوقت كان يعني إلقاء شعلة نار في برميل بارود، وأنها حتما ستحدث ردة فعل لدى العسكريين.[419]

---

414 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص7-8

415 عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص36- 37

416 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص7-8

417 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص76- 77

418 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص8 و يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص252

419 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص78

ثار الجواسيس المنتشرون بين الجنود،[420] وأخذوا يطالبون بتنظيم مسيرة إلى مجلس المبعوثان، وعلا الصراخ والضجيج، ودقت الموسيقى لحمل السلاح وعمت الفوضى، ولما أراد بعض العقلاء من الضباط منعهم اعتقلوا جميعاً،[421] وتم وضعهم تحت رحمة الحراب في مهجع واحد.[422] حدث ذلك أيضا في ثكنة بك أوغلي. وبذلك تجمعت الأحداث لتخرج على شكل انقلاب في 13 نيسان.[423]

واجتمعوا في ميدان السلطان أحمد، وانضم إليهم أيضا بعض الجنود من المعسكرات الأخرى، ورجال الدين وطلاب المدارس الدينية، وبعض المدنيين المعارضين للاتحاديين.[424] وقد ركز الانقلابيون في طالباتهم على الدعوة إلى أن يكون الحكم مستمداً من الشريعة، فكانوا يهتفون "نريد الشريعة... نريد الشريعة... الشريعة في خطر"[425]

وأرسل السلطان عبد الحميد الثاني رئيس الكتابة جواد بك إلى المتمردين حال سماعه نبأ هؤلاء، يخبرهم فيها أن الشريعة بخير وأنه لا أحد يستطيع أن يلمسها بسوء،[426] إلا أن المتمردين أصبحت لهم مطالب أخرى سياسية أكثر منها دينية[427] ولا نريد الصدر الأعظم حسين حلمي باشا، ورئيس مجلس المبعوثان أحمد رضا بك، وعزل ناظري الحربية والبحرية.[428] وعلي رضا باشا وزير الحربية ومختار باشا قائد الفرقة الأولى[429] وتعيين كامل باشا صدرا أعظم.[430] ونفي بعض قادة جمعية الاتحاد والترقي رحمي بك وطلعت بك وحسين جاهد بك وجاويد بك، وإسماعيل حقي بك القائد العسكري للجمعية.[431] وإعادة الضباط (الالايلي) إلى الخدمة، والعفو عن كل المشتركين في التمرد لأنهم لم يقصدوا الإساءة.

تسارعت الأحداث، وقام المتمردون بالهجوم على مجلس المبعوثان يبحثون عن حسين جاهد (محرر صحيفة طنين الناطقة باسم جمعية الاتحاد والترقي) وعن أحمد رضا (رئيس مجلس

---

420 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص8

421 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص79 و يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص253

422 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص79

423 يوسف حسين عمر.**أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص253

424 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص8

425عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص145

426 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص8

427 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص254

428 عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص37

429 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص8

430 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص145

431 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص254

المبعوثان)، لعداوتهما للإسلام، وأمام باب المجلس أطلق الجنود المتمردون الرصاص[432] ثم انتشر خبر مقتل أحد الذين يريدون أن يجعلوا المسلمين كفارا، ليظهر فيما بعد أنهم[433] قتلوا مبعوث اللاذقية الأمير محمد أرسلان بك،[434] اعتقادا منهم أنه حسين جاهد،[435] فاهتزت لموته لبنان وسوريا، ورثاه فيهما كل صاحب لسان وقلم،[436] كما قاموا بقتل ناظم باشا وزير العدل، اعتقادا منهم بأنه أحمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان فكان ثاني قتيل يقتل خطأ.[437] كما قتل عدد غير معروف من الضباط خريجي الكلية العسكرية، لأنهم ليسوا من ضباط (الالايلي).[438]

وبدأ الاضطراب يسود السراي نحو منتصف الليل، نتيجة لبعض الأخبار التي جاءت من الخارج، واستدعى السلطان الباشكاتب حتى يفهم منه ماذا حدث، واستدعى رضا بك أحد موظفي المابين، وحاول فهم ما يجري. وقد وصفت الأميرة عائشة حالة السلطان فقالت:"ولما دخل السلطان دائرة الحريم ورآنا قال:"لقد حدث ما بت أخشاه، ألم اقل لكم:"إنها (معركة لحاف)؟" (أي: معركة متفق عليها بين طرفين يستفيدان منها ويخسر الوسيط). وكان في حالة يؤسف لها من الحزن. وكان يقول:"لقد تحققت أماني أعدائي". ووصفت الأميرة التمرد قائلة:"كان تمرد طابور القناصة في طاش قشلة شيئا أوقع الرعب في قلوبنا".[439]

في مثل هذا الجو طلب السلطان عبد الحميد من توفيق باشا تشكيل وزارة تسيير الأعمال،[440] وذلك التزاما من السلطان بتنفيذ مطالب القائمين بأحداث 13 نيسان، لذا تم تشكيل حكومة جديدة مكونة من الصدر الأعظم توفيق باشا، وناظر الحربية أدهم باشا وناظر العدلية حسن فهمي وناظر المالية نوري باشا وناظر البحرية حاجي أمين باشا وناظر الداخلية عادل بك وذهني باشا رئيسا لمجلس الوكلاء. والنظار الذين لم يطالب المتمردون باستقالتهم بقوا في مناصبهم.[441] وبهذا ارتفع رصيد المعارضة لاسيما حزب الأحرار الذي سيطر على مواقع متميزة في السابق كانت جمعية الاتحاد والترقي تحتلها، ومثال على ذلك تعيين إسماعيل كمال بيك المدعوم من

---

[432] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص8- 9
[433] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص81
[434] محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص297، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م.
[435] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص81
[436] محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص297، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م.
[437] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص81
[438] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص9
[439] عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص230- 231
[440] عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص145
[441] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص260- 261

الانجليز رئيسا للبرلمان العثماني،[442] كما تم إقصاء قائد الفرقة الأولى ووزير الحربية، وذلك نزولا على طلبات الجنود المتمردين، وحتى يضع السلطان عبد الحميد الثاني حدا لحالة التمرد.[443] وقد كشفت هذه الإجراءات أن نفوذ جمعية الاتحاد والترقي في العاصمة قد ضعفً.

كانت أحداث ذلك اليوم من السوء لدرجة تأكد معها السلطان عبد الحميد أن هذا الأمر لا بد وأن يؤدي إلى خلعه عن العرش، لذا قام بإطلاع الصدر الأعظم[444] توفيق باشا عن رغبته في الاستعفاء عن منصب السلطان وأن يتنازل عنه لأخيه محمد رشاد أفندي فقال:"إنني واثق أنهم لا يريدونني، إنني مستعد للانسحاب غير أنه يجب أن يظهر أولا أنه لا دخل لي في هذا الأمر" (أي حادثة 31 مارت/13نيسان) وزاد قلقه ويأسه عندما أتى المتمردون بعلي قبولي بك أمام المابين الهمايوني، وهتفوا قائلين:"نريد السلطان"، فخرج عليهم السلطان قائلا:"اتركوه يا أولاد، استحلفكم بالله بأن تعفوا عنه لأجلي" إلا أن المتمردين طعنوه وقضوا على الرجل أمام عيني السلطان. فحزن السلطان وأمسك برأسه وقال:"لم يعد هناك طريق للخلاص، وقد تمرد الجنود وتحولوا إلى انكشارية، يا للخسارة!".[445]

أرجعت جمعية الاتحاد والترقي أحداث 13 نيسان إلى تدبير السلطان عبد الحميد،[446] وإلى رغبته في التخلص من سيطرة الاتحاديين على أمور الحكم والقضاء عليهم، وإعادة الجاه والسلطة التي كان السلطان يتمتع بها،[447] حيث أن المتمردين من الجنود كانوا يهتفون بـ "لتحي الشريعة والموت لتركيا الفتاة". ولأن من كان وراء هذا التمرد المتضررون من حاشية السلطان عبد الحميد وبعض التنظيمات الدينية التي قالت إن الدستور مخالف للشريعة الإسلامية، وإن السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين اضطر إلى إعلان الدستور تحت الإكراه والضغط وإنه غير راض عن هذا العهد الجديد.[448]

---

[442] عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص145
[443] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص9
[444] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص258
[445] عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص232
[446] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص9
[447] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص258
[448] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص9

إلا أن الأميرة عائشة نفت اتهامات الاتحاديين فقالت: لقد حمل الاتحاديين السلطان عبد الحميد المسؤولية واتهموه بأنه هو من دبر هذه الحادثة حتى يتمكنوا من خلعه عن الحكم. "وهذا ليس صحيحاً حيث لم تكن للسلطان يد في الحادثة لا من قريب ولا من بعيد.[449]

كما اتهم البعض الآخر السلطان عبد الحميد الثاني، بأنه كان وراء هذا التمرد.[450] وهذا غير صحيح. ومما يؤيد ذلك أن السلطان كان في غنى عنها، خاصة أنه لم يكن قادراً على السيطرة عليها، أو التحكم بتداعياتها، فتنقلب آثارها سلبا عليه، أيضا لو كان هو وراءها لما استجاب إلى مطالب المتمردين كاملة، وأعاد العمل بالدستور ووافق على إجراء الانتخابات البرلمانية، وقد تمت الانتخابات وتم انتخاب مجلسيه: مجلس المبعوثان ومجلس الأعيان، وقام السلطان بنفسه بافتتاح البرلمان رسميا في كانون الأول 1908، ثم إنه استجاب بالكامل لمطالب جمعية الاتحاد والترقي، التي تمكنت من فرض برامجها وأفكارها على السلطان بالكامل، في عملية العودة إلى الدستور الذي سمي بـ المشروطية الثانية.

كما أن السلطان عبد الحميد كان يعلم جيدا أن الظروف قد تغيرت عما كانت عليه سنة 1878، فقد قال لابنته بنفسه:"لم تعد الأمة جاهلة كما كانت في الماضي، حيث تقدمت نوعا ما، فقد تم فتح المدارس وتخرج الضباط وأصبحوا يعرفون ما هو الدستور، وان الصحف مهما كتبت ضدي فإني عازم على تطبيق الحكم الدستوري بإذن الله.[451]

كما أن السلطان عبد الحميد بنفسه نفى هذه التهمة عن نفسه قائلا:" إن عدم وجود أي شخص مطلقا من ذوي الصلة بالقصر سواء من قريب أو من بعيد، بين القائمين بالحركة ليثبت ألا دخل لي في هذه المسألة".[452]

وهكذا فإن من كان وراء هذا التمرد هو جمعية الاتحاد والترقي التي لم تكتف بما حققته من استجابة السلطان السريعة لمطالبها، ولم تتوقف عند ذلك الحد، بل استمرت بعملها لتنفيذ المخطط المرسوم لها من الدول الأوروبية وخصوصا بريطانيا، الذين قطعوا شوطاً كبيراً في مخطط تجزئة أملاك الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها، واستخدموا جمعية الاتحاد والترقي لتنفيذ هذا المخطط ، كما أن الجمعية كانت قد حصلت على تأييد الأقليات الراغبة بالانفصال، وبالذات يهود الدونمة، لذا

449 عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص37
450 إسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص345
451 المصدر السابق، نفس ص225
452 محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص193

قررت الجمعية تحريك وقيادة "جيش الحركة" من سلانيك إلى اسطنبول، بحجة القضاء على التمرد المصطنع، وكذلك رجح الكثير من الباحثين وأنا معهم أن الانقلاب قد تم بالاتفاق مسبقا بين بريطانيا وجماعة الاتحاديين في أن يكون يوم 13 نيسان 1909، يوم التمرد. يعني من كان وراء هذا التمرد هو تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي والدول الغربية المتحالفة معهم، لقد كان هدفهم الأول منذ البداية خلع السلطان عبد الحميد، مع أنهم اختلفوا على كل شيء، ولكنهم اتفقوا على خلع السلطان عبد الحميد بأية طريقة! وقد خططوا وعملوا على خلق أركان الفتنة وقد كانت، فعملوا على تأليف قوى معارضة لهم- والتي ستكون –أي المعارضة- أداتهم في إثارة أدوات الانقلاب المضاد، مع حرصهم عن عدم معرفة المعارضة بتلك الخطة، وثقتهم التامة بإمكانية سحقها. فكان ذلك الخطوة الأولى على طريق خلع السلطان وتجزئة الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها، وهذا ما كانت تصبو إليه بكل ما أُتيت من قوة الدول الغربية وبالذات بريطانيا. وهو ما تم وحصل بالفعل وبدقة.

لقد اعترف العديد من رجال الاتحاد والترقي بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية بأخطائهم، ففي مذكراته التي نشرها في جريدة جمهوريت اعترف أحمد رضا بعدم تفهمه وجمعية الاتحاد والترقي للسلطان عبد الحميد، بل ومدحه ومدح سياسته بشكل رفعه إلى السماء.[453] كذلك اعترف أنور باشا لجمال باشا حيث قال: إن ذنبنا الحقيقي، أننا لم نكن نعرف السلطان عبد الحميد،[454] وقمنا بالانقلاب عليه فأصبحنا لعبة بيد الصهيونية ولم نكن نعرف، لقد كنا أغبياء.[455] واستغلتنا الماسونية العالمية، لقد بذلنا جهودنا للصهيونيين.[456] كما اعترف فليسوف الاتحاديين الدكتور رضا توفيق فقال:لقد اتهمنا السلطان عبد الحميد بأنه ظالم وأنه مجنون، وقلنا لا بد من الانقلاب عليه، ولقد صدقنا ما قاله لنا الشيطان (لعله يقصد الماسونية والصهيونية)، فانقلابنا أيقظنا الفتنة النائمة، ولم يكن السلطان مجنونا بل كنا نحن المجانين الأنذال والأشرار.[457]

---

[453] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص304

[454] مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد: كلية التربية للبنات،جامعة بغداد،2004. ص143

[455] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص304

[456] مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص143

[457] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص304

ب- الانقلاب المضاد

لم تستكن جمعية الاتحاد والترقي والتي كان مركز قوتها في سلانيك،[458] حيث مقر قيادة الجيش الثالث الذي أعلن ولاءه للدستور، فما أن وصلت أخبار التمرد ليلة 14/13 نيسان 1909، حتى قام الجيش الثالث وتحرك باتجاه العاصمة اسطنبول، وقد تمكن الاتحاديون المتجمعون في سلانيك من الانضمام إلى الجيش الثالث الذي سمي بـ (جيش الحركة) وكان هذا الجيش بقيادة حسين باشا. كما انضمت له فرق عسكرية بلغارية واشتراك ساندسكي المجرم أحد زعماء العصابات البلغارية، إلى جانب عدد كبير من يهود الدونمة،[459] والأرمن والصرب ، للمساعدة في تنفيذ المخطط المرسوم لهم، وذلك من أجل استغلال حالة الوضع المضطرب وخلع السلطان عبد الحميد الثاني والتخلص منه،[460] وعندما وصل جيش الحركة إلى أيا استيفانوس تسلم القيادة محمود شوكت باشا* وذلك بعد أن بلغ تعداد الجيش حوالي عشرات الآلاف نصفهم من المتطوعين غير النظامين، وقد أكد محمود شوكت قائد جيش الحركة للأهالي أن الجيش يهدف إلى تخليص السلطان من أيدي المتمردين.[461] وإعادة النظام وقمع الانقلاب المضاد.[462]

وقد وجه السلطان عبد الحميد الثاني خطابا إلى ضباط ثكنة طاش قشلة في يوم الجمعة 23 نيسان 1909، وبمعيته أحمد مختار باشا قائد القوات الخاصة ورضا باشا وزير الجيش، قائلا:" إن عساكر من الجيش الثالث والتي تسمى الحركة قد وصلت إلى استيفانوس (بشيل كوي). إنهم مثلكم أتراك مسلمون.[463] إن ما قُرئ في ثكنة طاش قشلة لم يصدر عني مطلقاً، لقد دبره بعض الأعداء وتبين من التحقيق أنه تدبير سياسي مقصود لم أصدر مثل هذا الأمر تجاه أمتي أبدا، لقد حرص الأعداء بهذه الأعمال على تحقيق أهدافهم الخبيثة، فأطلب منكم ألا تصدقوا مثل هذا التحريض

---

458 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص145

459 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص9- 10

460 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص349

*محمود شوكت باشا (1856- 1913) عميد اسرة كرجية استقرت في بغداد، ضابط ووزير وصدر اعظم، ولد في بغداد وهو ابن سليمان بيك متصرف البصرة، تخرج في المدرسة الحربية 1882، قضى 9 سنوات في ألمانيا. عين واليا على كوسوفو بعد الانقلاب، وأعطي قيادة الجيش الثالث في اثناء الانقلاب المضاد. لم ينضم الى جمعية الاتحاد والترقي، إلا انه سايرها بسبب أفكارها القومية.تعرض للإغتيال سنة 1913. للمزيد انظر: اسماعيل نوري دوري."محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني".**مجلة تكريت للعلوم الانسانية**. مج، 16، ع،3 آذار 2009. ص328- 374.

461 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص9- 10

462 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص145

463 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص86- 87

ولتبقوا في ثكناتهم.[464] ولا تلجأوا إلى السلاح كما لجأوا إليه في 13 نيسان وقد أمرت القادة بإجراء ما يلزم".[465]

وفي 24 نيسان 1909، وصل محمود شوكت إلى اسطنبول وهو يقود جيش الحركة الذي تكون من وحدات مختلفة، من خلال بوابتي أدرنه وباب الطوب بافتخار وتباه، واحتلها وسيطر على مراكز الشرطة، واحتل وزارة الحربية،[466] وأعلن الأحكام العرفية، وأُقيمت المحاكم العسكرية، وتم إعدام عدد من الجنود وكبار الشخصيات والأهالي ممن لهم علاقة بالحادثة المذكورة.[467]

وأخذوا يهاجمون ثكنات الجيش في طاش قشلة، وبك أوغلي.[468] من فجر يوم السبت حتى الظهر ودمرت قنابل المدفعية الباب الرئيسي وجزءا من الطابق الثاني وتهدمت المهاجع على رؤوس جنود الاستحكام فماتوا جميعا تحت الأنقاض"[469] في ذلك اليوم الذي شهد الاشتباكات بنيران مدفعية جيش الحركة على الجيش المرابط في طاش قشلة.[470] ويصف مصطفى طوران ما حدث في هذه الثكنة فيقول:إن الفاجعة التي ألمت بنا، ورأيناها بأم أعيننا في ثكنة طاش قشلة مخيفة مرعبة لم تشهد مثلها محاكم التفتيش، لقد أذاق أبطال الحرية الجيش العثماني صنوفا مرة من التقتيل والتعذيب لم تفعله الوحوش".[471]

ت- موقف الضباط المؤيدين للسلطان عبد الحميد من الانقلاب المضاد

حاول الضباط المخلصون الدفاع عن السلطان عبد الحميد الثاني عندما وصل جيش الحركة بقيادة محمود شوكت باشا إلى اسطنبول، وطلبوا منه الإذن لمواجهة جيش الحركة، حيث جمعوا سبعة آلاف مقاتل من الوحدات العسكرية المُخلصة له، الموجودة في منطقة يلدز، إلا أن السلطان رفض ذلك،[472] وأجاب الضباط الموالين له قائلا:"لا يجب لأجل شخص واحد أن يذهب ألف شخص، وأن يضرب الأخ أخاه، ويجب جمع الأسلحة من العسكر وعدم إطلاق النيران، ولا أريد أن

464 يوسف حسين عمر. **اسباب خلع السلطان عبد الحميد الثانى 1876 – 1909**. ص258
465 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثمانى**. ص87
466 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص350
467 عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص37
468 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الأرتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص10
469 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثمانى**. ص90
470 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص10
471 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثمانى**. ص93
472 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص351

تنزف أنف رجل واحد، وليفعل المتمردون ما يشاءون"[473] وأضاف:"لا أوافق على إراقة الدماء، ولا أوافق على قتل المسلم لأخيه المسلم"، ولم يسمح باستخدام تلك القوات المدربة والقوية، منعا للفتنة وحقنا للدماء.[474] ونبه بشدة على أن:" لا يخرج الجيش الموجود في اسطنبول من ثكناته أثناء تحرك جيش الحركة من أيا استيفانوس إلى اسطنبول وألا يشتبك معه.[475] وبعث برئيس كتابه ليقول لهم:"ممنوع على الجنود منعا باتا إطلاق أية طلقة، فإن أرادوا إطلاق النار فليطلقوها أولا علي".[476]

وهنا يحق لنا أن نسأل: لماذا استسلم السلطان عبد الحميد بهذه الطريقة اليائسة البائسة؟ ولماذا رفض إيقاف جيش الحركة الزاحف لإسقاطه؟ لماذا لم يستخدم الجيش السلطاني المدرب والجاهز؟ مع أن السلطان عبد الحميد اعترف بأنه "في الوقت الذي كان جنود جيش الخاصة (الحرس السلطاني) في العاصمة على أكمل وجه من الاستعداد وكانوا جنودا منتخبين مخلصين لمقام الخلافة ولشخصي ...وقد أوصاني مجموعة من رجال الدولة وفي مقدمتهم ناظم باشا بإيقاف جيش الحركة في الطريق قبل وصوله، ولكني رفضت. أخبروني بأن قطاعا من الجيش المعسكر في أدرنه انضم إلى جيش الحركة، ولم أضطرب إطلاقا لأن ليس من بين أعمالي شيء أخاف منه.... بل طلبت، ونبهت بشدة ألا يخرج الجيش الموجود في اسطنبول من ثكناته، أثناء تحرك جيش الحركة من أيا استفانوس إلى اسطنبول وألا يشتبك معه. ألم يكن في إمكان جنود اسطنبول في حالة خروجهم من ثكناتهم وانتشارهم على أعالي حي كاغدخانة في اسطنبول أن ينتصروا على ذلك الجند القادم من سلانيك وهم في حالة يعوذها النظام؟[477]

إذن لماذا تصرف السلطان بهذه الطريقة المهينة والتي تنم عن لا مبالاة لماذا؟!! لأن السلطان لم يكن يتصور ما ستؤول إليه الأمور، وتصل إلى حد خلعه؟ أو أنه كان متيقنا بأن الأمر جد خطير، وأنه غير قادر على مواجهة المؤامرة المحاكة ضده، فقرر الاستسلام للعاصفة!! أم أنه أصبح زاهدا في الحكم؟ كما اعترف وقال:"كنت سأتنازل عن العرش بمحض إرادتي ... كنت أرى أن الأمة لم تعد تثق بي، وكنت أبديت رغبتي هذه من قبل، ولكنهم عارضوني... لم أرغب في أن أريق دماء جنودي".[478]

---

473 عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص234
474 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص351
475 محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص194
476 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص10
477 محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص194
478 المصدر السابق، ص194

لم يرد السلطان إراقة دماء جنوده!!! ولكنها أريقت يا سلطان أكثر بكثير مما لو كان أعطى تعليماته لقمع التمرد!!! لو أنه أعطى تعليماته لجنوده لاستطاعت القوات الموالية له ذات التدريب الجيد أن تمنع ارقة الدماء الغزيرة التي أريقت بالفعل!! ليته أعطى الأوامر؛ لأنه بسبب موقفه هذا، خلع وعزل وخسر عرشه وقتل جنوده والمخلصين له!! وبعزله أو خلعه سقطت الخلافة والإمبراطورية بالفعل وتجزأت أملاك الدولة وانهارت وانتهت الإمبراطورية العثمانية إلى غير رجعة، وتقاسمت الدول الأجنبية والأوروبية أراضيها وأملاكها. وكان من أول الضحايا أهل بيت المقدس (فلسطين) التي رفض بيعها أو التنازل عنها لليهود مقابل تسديد ديون الإمبراطورية ومن يومها بل من ساعتها من 13 نيسان 1909، وبعد أكثر من مئة عام والمسلمون وأبناء المسلمين تراق دماؤهم يوميا بأيدي المسلمين وغير المسلمين، وتسلب أراضيهم.

وعلى الرغم من ذلك كله، فقد ظهرت بعض حركات المقاومة المناهضة لجيش الحركة، في بعض مناطق اسطنبول، مثل منطقة تقسيم والمناطق القريبة منها في العاصمة، ولكنها لم تصمد، لعدم امتلاكها أوامر عليا، وعدم حصولها على الدعم والإسناد اللازمين، وخلال احتلال جيش الحركة لقصر يلدز، أكد السلطان عبد الحميد الثاني معارضته لحدوث قتال بين المسلمين قائلا:"أنا خليفة المسلمين، ولا أقتل المسلمين بالمسلمين، ومن يرد استعمال السلاح للقتال، فليضربني أولا، وبعد ذلك يطلق نيرانه على إخوانه الآخرين".[479]

ومرة أخرى أعرب السلطان عبد الحميد عن رغبة في التنازل عن عرش الإمبراطورية لأخيه محمد رشاد، وذلك رغبة منه في عدم إراقة دماء الجنود، وقام بعرض اقتراحه هذا على توفيق باشا، لكنه طلب أن يتم تشكيل مجلس تحقيق عما إذا كانت له أدنى علاقة بحادثة 13نيسان (31 مارت). ونقل هذا الاقتراح توفيق باشا الصدر الأعظم إلى رئيس مجلس الأعيان كوجوك سعيد باشا، فدب فيه الذعر[480] ورفض سعيد باشا الطلب وقال: "ماذا ستكون حالنا إن ظهرت براءته؟"[481]

وامتثالا لأمر السلطان سلم المقاومون أسلحتهم، وسيطر (جيش الحركة) على اسطنبول وأعلن محمود شوكت قائد جيش الحركة الأحكام العرفية وأقام محكمة عسكرية عرفية وقلصت

479 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص352
480 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص267
481 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص10

حرية الصحافة والاجتماعات[482] كما التحق كبار ضباط جماعة الاتحاديين، ومنهم أنور باشا بـ (جيش الحركة). وبدخوله إلى العاصمة ظهرت جماعة الاتحاد والترقي من جديد، والذين كانوا قد اختفوا في أماكن مجهولة، وراحوا ينتقمون من معارضيهم، ومن جميع من ساهم في حادثة التمرد، وعلى جسر غلطة، تم نصب المشانق وأصدروا أوامر بإعدام العديد من المقاومين للحركة، من الأحرار والرجعيين معا، من دون التحقيق في كونهم مذنبين أم لا، وعلقت على صدور الجثث المشنوقة عبارة "خائن للحرية"، كما حكمت المحكمة على ثلاثين من علماء الدين بأن يأكلوا خبزا مسموما، حتى يكونوا عبرة لغيرهم. وأصبح رجال الدين المعممون عرضة للسخرية والإهانة والاعتداء والقتل، حتى إن معروف الرصافي*، كان في زيارة إلى اسطنبول فاضطر إلى خلع عمامته وزيه الديني، واستبدل به ملابس أوروبية جديدة لكي لا يتعرض للأذى.[483] كما أعدمت الجمعية العديد من الرجال التابعين للسلطان عبد الحميد، متهمة إياهم بالوقوف خلف أحداث 13 نيسان، كما قامت بضرب أعناق بعض المشايخ، وقامت بنفي 1500 فرد من رجال القصر وحاشية السلطان إلى اليمن والحجاز.[484] وهكذا عملت جمعية الاتحاد والترقي على التخلص من جميع أعدائها بهذه الطريقة، وذلك بهدف القضاء على كل المعارضين لها في الدولة. مما أصاب سكان اسطنبول بالرعب والهلع من جراء ما اقترفته جمعية الاتحاد والترقي بحق كل من اشترك او اشتبه باشتراكه في أحداث 13 نيسان من إعدامات وأحكام.

كما قام جيش الحركة بمحاصرة قصر يلدز، وقطعوا اتصاله بالخارج، عندها أصدر السلطان عبد الحميد أمرا طلب فيه برفع علم التسليم فوق القصر فقام جركس محمد علي بك أحد الياوران بهذه المهمة، ورفع علم التسليم فوق (جوسق التعليم خانه)-أي مكان تلقي الدروس. وأحاط جيش الحركة بالسراي من كل طرف.[485]

وقد دخل إلى قصر السلطان، مع محمود شوكت وجماعته، المئات من قطاع الطرق والعصابات البلقانية المتآمرة التي رافقته والحاقدة على الدولة العثمانية، فقاموا بالسطو والنهب على

---

[482] نفس المصدر السابق، ص10

*معروف الرصافي (1875-1945) شاعر عراقي ولد ونشأ في بغداد أكمل دراسته في الكتاتيب، ثم دخل المدرسة العسكرية الابتدائية فتركها، وانتقل إلى الدراسة في المدارس الدينية وكان يرتدي العمامة وزي العلماء عمل مدرساً للأدب العربي في الإعدادية ببغداد، أيام الوالي نامق باشا الصغير عام 1902، وظل فيها إلى إعلان الدستور عام 1908، ثم سافر إلى اسطنبول عمل محرراً لجريدة سبيل الرشاد عام 1909، وأنتخب عضواً في مجلس المبعوثان عام 1912م، وأعيد انتخابه عام 1914.

[483] اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص350-352

[484] يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. ص268

[485] عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص235

كل الأشياء الثمينة والنادرة في القصر، والتي كانت قد جمعت فيه منذ عصور عديدة وتقدر بعشرات الملايين من الليرات الذهبية، ومع أن الشاعر توفيق فكرت كان من المعارضين للسلطان، إلا أنه لم يستطع تحمل تلك العمليات اللاإنسانية، فكتب قصيدة كان عنوانها "نهب السلطان"، وصف فيها القتل والترويع والمظالم وفقدان الأمن، الذي تعرض له كثير من الأبرياء.[486]

أما العرب فقد وقفوا من أعمال الانقلاب المضاد على الحياد، لذا لم ينلهم من غضب وانتقام الاتحاديين شيء، فلم يثبت على أحد من سياسيي العرب اشتراكهم لا في التحضير للانقلاب ولا في التنفيذ. وانتماؤهم إلى الاتحاد المحمدي تم عن حسن نية فلم يكونوا ضد الدستور. بل إن العرب اشتركوا في جيش الحركة الذي كان على رأسه الضابط العراقي محمود شوكت وعزيز المصري وكانوا متحمسين للقضاء على الحكم المضاد للاتحاديين في اسطنبول.[487]

وهكذا لم يمر سوى 11 يوماً على الانقلاب المضاد، حتى تم احتلال اسطنبول وقصر يلدز، وإعلان الأحكام العرفية، وحظر التجوال، وبهذا أصبح واضحاً بأن جيش الحركة الموالي للاتحاديين مصمم على السيطرة على اسطنبول، وذلك رغم الوعود المتكررة لحكومة توفيق باشا إلى الجيش الثالث للوصول إلى تسوية، فقام جيش الحركة بإرسال عدة برقيات إلى حكومة توفيق باشا عرض فيها عدة مطالب: عزل السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، وتسليم أشخاص معينين إلى جيش الحركة باعتبارهم المسؤولين الكبار عن أحداث 13 نيسان وعلى رأسهم إسماعيل كمال* بيك وابنه علي كمال، واستقالة الحكومة التي تم تشكيلها أثناء الأحداث لأنها غير شرعية.[488]

---

*توفيق فكرت (1867–1915)، شاعر بارز في آخر العصر العثماني. أنهى دراسته الثانوية بتفوق في عام 1888 وعمل في وزارة الخارجية، ثم في تعليم اللغة والأدب التركيين حتى نهاية حياته. ذاع صيته حين فاز بالمرتبة الأولى في مسابقة للشعر موضوعها (مديح السلطان) نظَّمتها مجلة المرصاد عام 1892. أدار تحرير مجلة ثروة الفنون (1901-1896) وعند إعلان المشروطية الثانية (الدستور) عام 1908 تفاءل فكرت بالحركة الدستورية وما أشاعته في بدايتها من أجواء الحرية، فعاد إلى الكتابة والنشر وشارك في تأسيس مجلة طنين التي غادرها بعد وقت قصير عندما تحوَّلت إلى لسان حال حزب الاتحاد والترقي الحاكم.

486 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص352

487 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص131

*اسماعيل كمال: طلب إسماعيل من السفير البريطاني لوثر ان تنقله إحدى البواخر البريطانية إلى خارج الدولة العثمانية خوفاً على حياته من الاتحاديين فوافق لوثر على طلبه، حيث أوصله اندرو رايان المترجم الثاني في السفارة، إلى الباخرة التي أقلعت في اليوم نفسه الذي دخلت فيه القوات القادمة من سلانيك العاصمة.

488 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص146

يتبين لنا مما تقدم أن ما قام به جيش الحركة الموالي للاتحاديين، من عمليات قتل ونفي كان هدفه وبالدرجة الأساس نشر الرعب في قلوب الرعية، كي لا يناصروا السلطان عبد الحميد الثاني، حينما تقوم الجمعية بخلعه.

ث- خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909

بعد المؤامرة التي نفذت في ثكنة طاش قشلة، وقيام عصابات البلغار مع أنور باشا بسرقة قصر يلدز أمام عيني السلطان، وبعد أن تمكن جيش الحركة بقيادة محمود شوكت، من القضاء على التمرد، وتأمين الاستقرار في العاصمة، اجتمع أركان جيش الحركة مع أعضاء المجلس الملكي الذي شكله مجلس المبعوثان وقرروا في الاجتماع خلع السلطان عبد الحميد، وذلك بعد أن يتم استصدار فتوى من شيخ الإسلام.

عقد اجتماع يوم الثلاثاء في 27 نيسان عام 1909، ضم 240 عضوا في جلسة مشتركة من مجلسي الأعيان والمبعوثان[489] في شكل جمعية وطنية في سان استيفانو التي صارت مقرا لجيش الحركة، وخلال الاجتماع وصلت برقية من محمود شوكت يطلب فيها خلع السلطان عبد الحميد، وقد طلب أعضاء المجلس الوطني ضرورة استصدار فتوى شرعية تبيح الخلع، وذلك منعا لإراقة المزيد من الدماء، ومن أجل إدخال الاطمئنان والأمن في قلوب الجماهير، وإعطاء البيعة لولي العهد محمد رشاد وتعيينه في منصب السلطان.

ولأجل ذلك استدعي إلى مقر اجتماع المجلس الحاج نوري أفندي أمين الفتوى[490] وقام الشيخ النائب حمدي المالي بكتابة نص مسودة الفتوى لكن أمين الفتوى نوري أفندي رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه إذا لم يتم تعديلها، وأيده عدد من أنصاره من النواب في طلب التعديل[491] عندها تدخل مبعوث ولاية قونية في مجلس المبعوثان حمدي أفندي واقترح كتابة نص فتوى شرعية على هيئة سؤال يجيز أو لا يجيز وتم تكليف أحد رجال المشيخة المغمورين، أحمد حمدي يازير، بكتابة نص سؤال الفتوى، فكان:-[492] "إذا قام زيد الذي هو إمام المسلمين بإخفاء

[489] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص97
[490] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص11
[491] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص97
[492] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص11

بعض المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية المقدسة، ومنع ومزق الكتب المذكورة وإحراقها، والتبذّيَر والإسراف من بيت المال بدون مسوغ شرعي، وقتل وحبس الرعية وتغريبهم بدون سبب شرعي واعتياد المظالم كل يوم، ثم أقسم على الرجوع إلى الصلاح ولكنه حنث بيمينه، وأصر على إحداث فتنة عظيمة بين المسلمين جميعا وإيقاعهم في القتل وورود أخبار متوالية من عدة نواحٍ من البلاد الإسلامية تعتبر زيدا هذا مخلوعا، وإن كان في بقائه ضرر محقق، وفي جعله صلاحا مبينا، فهل يجوز على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أم يقومون بخلعه؟ (الجواب) : نعم يجب خلعه".

كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين[493]

عندها سُلم نص الفتوى هذه إلى محمد ضياء الدين شيخ الإسلام كي يقوم بتوقيعها رفض التوقيع عليها بحجة مرضه وأنه لا يستطيع تحمل مسؤولية تلك الفتوى، غير انه اضطر فيما بعد وكتب "نعم يجب".[494] آنذاك أخذت الفتوى الطابع الرسمي، ودخلت حيز التنفيذ.[495]

وبعد أن صدرت الفتوى الشرعية التي تسمح بخلع السلطان عبد الحميد الثاني،[496] وقرئت هذه الفتوى العجيبة في الاجتماع المشترك للمجلس الملّي، صرخ نواب جمعية الاتحاد والترقي "نريد خلعه، نريد خلعه"، في هذه الأثناء صعد سعيد باشا الصغير رئيس المجلس[497] –الذي رباه عبد الحميد وهو صغير فخانه بعد ما كبر- والذي تدرج مع السلطان خلال مدة ثلاث وثلاثين سنة، من وظيفة كاتب في دائرة المابين، إلى أن تسلم منصب الصدارة العظمى سبع مرات، فتنكر لذلك الجميل الذي تنعم به من سلطانه، إذ كان أول المصوتين على خلع السلطان في الحال- وتحدث قائلا: أيها السادة الكرام، بعد أن تم قراءة الفتوى الشرعية، فإنه الرأي يعود لنواب الرعية المستقل. ثم طرح السؤال على الأعيان والمبعوثين:[498] هل توافقون على هذه الفتوى الشرعية التي تقضي بخلع السلطان عبد الحميد الثاني من رأس الخلافة والسلطنة؟[499] وجرت عملية التصويت على هذا القرار الذي وافقت أغلبية أعضاء المجلس عليه[500] فاختار أولو الأمر من الأعيان والمبعوثين، أن

---

493 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م.
494 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص12
495 اسماعيل نوري دوري.**محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني**. ص353
496 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص12
497 مصطفى طوران. **اسرار الانقلاب العثماني**. ص99
498 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص12
499 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص99
500 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص12

يخلعوا السلطان عبد الحميد الثاني؛ وأن يبايعوا ولي عهد الإمبراطورية محمد رشاد أفندي بالخلافة والسلطنة.[501] وعليه اتخذ المجلس العمومي قرارا رقمه (57) في نهاية الجلسة (62) في الساعة 6,30 مساء في 27 نيسان 1909، تضمن قرار الفتوى الشرعية، ثم قرار المجلس العمومي (مجلس عمومي مللي قرار نامه سي) والذي نص على ما يلي:[502]

"إنه في الساعة السادسة والنصف من يوم الثلاثاء، وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة 1327هـ الموافق 27 نيسان 1909م، تقرر في جلسة المجلس الوطني العثماني المؤلف من مجلسي المبعوثان والأعيان اجتماعا مشتركا باسم (المجلس الوطني العمومي) وذلك لمناقشة الوضع الراهن، وبعد أن تم قراءة الفتوى الشرعية الموقعة من محمد ضياء أفندي الوزير شيخ الإسلام، والتي ترجح الخلع، عندها تم التصويت من قبل أعضاء المجلس على ذلك،[503] فتم إقرار خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وإسناد الخلافة والسلطنة إلى ولي عهده محمد رشاد أفندي* باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختيار الخلع على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الحلان المبينان في الفتوى المذيلة بتوقيع شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي التي قرئت بالجلسة.[504]

كلف المجلس العمومي توفيق باشا الصدر الأعظم الذي كان قد[505] دعي إلى حضور اجتماع جلسة المجلس الملي وطلب منه إبلاغ قرار الخلع إلى السلطان عبد الحميد، لكنه اعتذر بحجة أن قرار النواب يجب أن يبلغه النواب المبعوثون أنفسهم.[506] وعلى أثر ذلك القرار، تم تشكيل وفد مكون من أربعة أشخاص انتخبتهم جمعية الاتحاد والترقي وذلك لإبلاغ السلطان بخلعه وقد تألف هذا الوفد من أربعة أفراد.[507] اثنين منهم من مجلس الأعيان واثنين من مجلس المبعوثان وهم: من الأعيان: آرام أفندي وهو أرمني، وعارف حكمت وهو فريق بحري ومساعد سابق للسلطان وعضو في مجلس الأعيان العثماني وهو من أصول اللازسكنة منطقة جنوب القفقاس، وعمانويل

---

[501] محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276) ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

[502] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص12

[503] محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276) ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

*محمد رشاد: (1909 - 1918)، الملقب بمحمد الخامس وهو السلطان الخامس والثلاثين من سلاطين آل عثمان، تولى السلطنة عام 1909، وعمره خمسة وستون عاما وهو اول سلطان يحكم في ظل المشروطية ولم يكن يتمتع بنفوذ حقيقي، بل ترك مقاليد الحكم والسلطة للاتحاديين.

[504] محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276) ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

[505] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص13

[506] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص100

[507] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الأرتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص13

قره صو عضو في مجلس المبعوثان نائب عن سلانيك وهو يهودي إسباني الأصل كان يحمل الجنسيتين العثمانية والايطالية معا، وهو من زعماء الجمعية الماسونية في سلانيك والمحفل الماسوني في إيطاليا، واللواء أسعد طوبتاني باشا الأرناؤوطي وهو ألباني ونائب في مجلس المبعوثان عن منطقة دراج.[508]

وهكذا نجد أن أعضاء الوفد، لم يكونوا أتراكا أصليين، بل كانوا مواطنين عثمانيين من أصول أوروبية، وتم اختيارهم بهذه الطريقة نكاية بالسلطان وإهانة له، وإلا لو لم تكن تلك غايتهم، لما تم نفيه إلى مدينة سلانيك، أكثر مناطق الدولة العثمانية عداء للدولة العثمانية وللسلطان.

وصلت برقية يوم الثلاثاء في(6 ربيع الأول 1327هـ/27 نيسان 1909م)، إلى ضباط جمعية الاتحاد والترقي المسؤولين عن حماية قصر يلدز تخبرهم فيها أن وفداً سيصل قريبا من مجلس الأعيان والمبعوثان إلى القصر، وأن عليهم استقبالهم وتأمين حمايتهم.[509]

وصل هذا الوفد إلى قصر يلدز فوجدوا السلطان عبد الحميد واقفا على قدميه قويا وهادئ الأعصاب.[510] وقام أعضاء الوفد بتحية السلطان الذي رد التحية ثم بدأ أسعد طوبتاني باشا وكان يقف في[511] المقدمة بالحديث إلى السلطان قائلا: "لقد عزلتك الأمة" فرد عليه السلطان عبد الحميد بصوته الجهوري: اعتقد أنكم تريدون القول:"إنها خلعتني"،[512] وقد عقب السلطان عبد الحميد في مذكراته فقال: "تُرت جدا بالطريقة التي أبلغوني فيها قرار خلعي أكثر من الخلع نفسه. فلقد انتخبوا وفدا من مجلسي الأعيان والمبعوثان. وقد واجهني أسعد باشا طوبتاني بتصرف قبيح غير مهذب وقال لي: عزلتك الأمة. لقد كانوا في غاية السفالة عندما واجهوني بكلمة العزل، في الوقت الذي كان لا بد أن يضعوا بدلا منها كلمة الخلع. مسكينة هذه الأمة! آه لو كانت تعلم النتيجة المرة التي تنتظرها"..[513]

---

508 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**.ص271

509 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص13

510 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص100

511 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**.ص271

تطلق كلمة الخلع في المصطلح العثماني على اسقاط السلاطين من على العرش، اما العزل فتطلق في المصطلح ذاته على اقالة الموظفين من وظائفهم.

512 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص100

513 محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص200، و عائشة عثمان اوغلي. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**. ص240

حسنا، قال السلطان وما هو السبب الذي يستندون عليه؟ فأخذ عارف حكمت باشا يقرأ[514] صورة الفتوى :"إن الشرع الشريف نزع عن ذاتكم الخلافة التي تشغلونها منذ ثلاث وثلاثين سنة ونصب مكانكم وارث السلطنة محمد رشاد"،[515] وما أن وصل إلى "حرق الكتب الشرعية" حتى قال بصوت عالٍ "أي كتب شرعية أحرقت؟!! حسبنا الله" ثم أخذ يستمع إلى الفتوى إلى نهايتها ثم[516] قال عارف حكمت للسلطان:"إن أولادكم وأموالكم تحت سيطرتنا، فقال السلطان:"ذلك تقدير العزيز العليم".

وأضاف: لا بأس فليكن هذا، "لقد مسكت إدارة أرفع من خيط القطن وخدمت الأمة الإسلامية منذ ثلاثة وثلاثين عاما دون انقطاع ودون التفريط بأراضيها حسب المستطاع، وأعتقد أنه يجب عليكم أن تحافظوا على الدولة أكثر مني وأن تتحملوا مسؤولياتكم تجاه ذلك، فاعلموا أن المسؤولية التي تحملونها ثقيلة جدا ...ثم أشار إلى قره صو وقال بصوت جهوري وبشكل عصبي "لكن ماذا يفعل هذا اليهودي في مقام الخلافة؟ وبأي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي؟"[517] فتوتر أعضاء الوفد ولم يجدوا المقدرة على الرد،[518] "كيف تتركون هذا اليهودي يمثل الأمة الإسلامية، ألا يوجد بين المسلمين أحد يقول لخليفة المسلمين: لقد خلعتك الأمة؟ أنتم تعملون الانقلاب أم اليهود؟؟ وتهجم بصوته وهو يوجه كلماته لقره صو "عندما جئت تطلب مني أن أعطيكم فلسطين وطنا لليهود طردتكم... اعرف جيدا أنه رد على طلب شبر أرض لم أعطه لكم ... لن أترككم تحلمون بأن تجعلوا كل الوطن الإسلامي أرضا يهودية".[519] ثم قام السلطان بالدعوة عليهم فقال:"ربِ عاقب هؤلاء المسؤولين على هذه المصيبة".[520]

من حديث السلطان عبد الحميد الثاني إلى قره صو يمكن وصف عملية خلع السلطان بأنها عملية تصفية حسابات بين الحركة الصهيونية والسلطان عبد الحميد الثاني. إذ سبق أن التقى السلطان عبد الحميد الثاني مع عمانويل قره صو ، فقد زار قره صو السلطان موفدا من قبل الحركة الصهيونية وعرض عليه خمسة ملايين ليره رشوة للسلطان ومائة مليون على شكل قرض لخزينة الدولة بلا فائدة لمدة مئة سنة وذلك مقابل السماح لليهود ببعض الامتيازات في فلسطين، فما كان من

---

514 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**.ص272
515 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص13
516 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**.ص272
517 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص13
518 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**.ص272
519 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص13
520 يوسف حسين عمر. **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**.ص272

السلطان عبد الحميد إلا أن طرده شر طردة فخرج مهانا وتوجه إلى ايطاليا ومن هناك أرسل قره صو برقية إلى السلطان عبد الحميد قائلا: سيكلفك رفض العرض الذي عرضناه عليك أنت (السلطان) وسلطنتك كثيرا جداً.[521]

وهكذا تم إبلاغ السلطان عبد الحميد الثاني سلطان الأمة الإسلامية وخليفتها بقرار خلعة عن العرش، وذلك عبر وفد مكون من أربعة أشخاص، اثنان منهم من غير المسلمين مسيحي ويهودي وباسم المجلس الوطني، وكان المفروض أن يقوم بتبليغ قرار خلع سلطان عثماني مسلم خدم السلطنة والأمة أكثر من ثلاثة وثلاثين عاما، وفد مسلم، فقد كانت جمعية الاتحاد والترقي والدول الغربية المحرضة وبالذات بريطانيا، تريد إذلال السلطان عبد الحميد، لكنهم بعملهم هذا، لطخوا ليس فقط تاريخ السلطان عبد الحميد، بل التاريخ العثماني كله بالخزي والعار.

وبعد خلع السلطان عبد الحميد،عن سدة حكم السلطنة والخلافة[522] نفذ محمود شوكت الحكم ونفاه إلى سلانيك،[523] ففي 28 نيسان 1909،[524] أخرج من دار السعادة[525] وأركب القطار مع ثمانية وثلاثين فردا من حاشيته[526] المكونة من أولاده، وإحدى عشرة امرأة من جواريه ونسائه، ومرافقيه[527] ولم يؤذن للسلطان بأن يأخذ أي شيء من حاجاته[528] وكان السلطان عبد الحميد قد طلب من الاتحاديين أن يبقى في اسطنبول فرفضوا وأصروا على سلانيك، وقد علق السلطان على ذلك في مذكراته فقال:"ذلك لأنهم لم يكونوا يرون أنفسهم في أمن في اسطنبول. وهذا هو سبب إصرارهم على سلانيك. فهناك لهم السيطرة على المكان. وإذا أصررت على التشبث بالإقامة هنا فإنهم سيرتابون فيّ جدا. إني أعرف أنه لا شيء خطير قدر إنسان لا يحس الثقة بنفسه. فلم أتفوه بشيء آخر. قلت: حسنا. وخرجنا بما علينا من ملابس فقط فلم يكن هناك وقت يسمح لنا بأخذ أشياء معنا! ...كانوا في هوس، في ارتقائي العرش من جديد واستعادتي للسلطة. ولهذا السبب كان من الضروري أن أكون بعيدا عن اسطنبول.... كنت أحترق حزنا وأنا في القطار وعلى طول الطريق.

---

521 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص13- 14
522 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص101
523 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م
524 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص101
525 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م
526 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص14
527 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م
528 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص14

لم يكن حزني وبكائي منصبا على نفسي، وإنما على الظلام الذي وقعت فيه بلادي، فلو أني كنت موقنا بأهلية هؤلاء الذين تولوا السلطة في بلادي؛ ولو أهلية بسيطة لإدارة البلاد. فوالله وبالله لاحتسبت ذلك عيدا بالنسبة لي".[529]

غريب قول السلطان عبد الحميد هذا**!!!** فهو يعرفهم جيدا إذن، لماذا لم يقاومهم ويدافع عن عرشه وإمبراطوريته ورعاياه؟؟**!!** أم إنه كما اعترف وقال عن نفسه:" إني أخاف.. وقد يكون هذا عيب شخصي في، ربما لم أخلق بطلا. لا أخاف فقط من القتل. بل أخاف من أن تُدبر مؤامرة لاغتيالي. إني لا أستطيع أن أمس روحا بأذى. ولا أستطيع بأن يمس أحد روحي. إنني أشمئز دائما وأخاف من الاغتيال. ... القتل كان مصدر نفوري طوال حياتي. والذين مارسوا الضغط عليَّ غالبا ما اكتشفوا فيَّ هذا الإحساس. الشيء الوحيد الذي أريده في حياتي هو أن أموت على فراشي مرتاحا".[530]

وعندما وصل إلى المحطة في سلانيك، تم نقله بإحدى مركبات الأجرة، التي أقلت السلطان إلى أن وصل إلى الدار التي أعدت له، وهي دار ألاتيني باشا (Alatini)، العائدة لأحد الصيارفة اليهود، والتي كانت غير صالحة لسكن السلطان فقد كانت تفتقر إلى أبسط مستلزمات الراحة، حتى إنهم لم يخصصوا للسلطان سريرا لنومه،[531] وقد أحضروا الطعام مساء ذلك اليوم للسلطان ولمن معه من أحد مطاعم السوق، كما اشتروا للسلطان قميصاً من السوق،[532] ووضع تحت الإقامة الجبرية وتحت حراسة فدائيي الاتحاديين،[533] فمنعت عنه الصحف والمجلات والزيارات، وذلك من أجل عزله عن العالم الخارجي.[534] فكتب السلطان:"كانوا مضطربين، كانوا خائفين، ولأنهم كانوا يخافون من كل شيء فإنهم أيضا كانوا يخافون مني، وإلا فإنهم ما كانوا يرسلون سلطانا معزولا عن عرشه من أدنى البلاد إلى أقصاها، لكي ينام على أسرة ووسائد من القش وبلا غطاء. ولكن الخوف الكبير قد يؤدي إلى فقد الخائفين لكل معاني الاحترام. ... أغلقوا الأبواب علينا بالأقفال. لم يكن في حجرتي ما يُضيء المكان غير شمعة صغيرة. ..لو كانوا يملكون زمام عقولهم ولو للحظة! أكانوا يتصرفون هكذا تجاه أطفال سلطانهم الأبرياء، حتى ولو كانوا يريدون الأذى لسلطانهم...؟ لم تكن

---

529 محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص210

530 المصدر السابق، ص218- 219

531 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص14

532 محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

533 مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص101

534 بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص14

هناك ستائر وإنما كانت نوافذ محكمة الإغلاق ولم يسمح للأولاد برؤية الشمس والجو إلا بعد أشهر.[535]

وعندما وقعت الحرب البلقانية سنة 1912، تم نقل السلطان عبد الحميد وحاشيته إلى قصر بكلربكي في اسطنبول وذلك بعد أن تدخل ويلهلم الثاني الإمبراطور الألماني صديقه القديم. وتوفي السلطان عبد الحميد في قصر بكلربكي وذلك يوم الأحد 10 فبراير/شباط 1918م فتم تشييع جنازته في احتفال مهيب ودفن في مقبرة السلطان محمود في اسطنبول.[536]

وهكذا تحقق الهدف الأول بعزل السلطان عبد الحميد الثاني وتنصيب أخيه محمد رشاد باسم محمد الخامس بدلاً منه وذلك في 27 نيسان 1909، وكان ذلك نتيجة للضغط الذي مارسته القوات القادمة من سلانيك على البرلمان وعلى شيخ الإسلام لحملهم على الموافقة على خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتقرر نفيه إلى سلانيك. ومن الجدير بالذكر، أن محمد الخامس كان جاهلا تماما بأمور الدولة والسياسة الخارجية حتى صرح بأنه لم يقرأ الصحف منذ عشرين عاما.

كما تبين لنا أن الأحداث والظروف الداخلية والخارجية في الإمبراطورية العثمانية ما بين إعلان الانقلاب 1908، وعزل السلطان عبد الحميد الثاني 1909، كانت مناقضة تماما لما نادت به جمعية الاتحاد والترقي قبل أن يتولوا الحكم، حول الحفاظ على وحدة واستقلال أراضي الإمبراطورية العثمانية، وظهروا وكأنما الاتحاديون قد جاءوا من أجل تفتيت الإمبراطورية العثمانية لا من أجل المحافظة عليها والنهوض والارتقاء بها.

ان الاتحاديين هم من دبروا فتنة 13 نيسان، وحملوا السلطان مسؤولية هذه الفتنة وذلك من أجل إنهاء حكم السلطان عبد الحميد الثاني وتصفية جميع العناصر الموالية له والمعارضين لهم. فواقعة 13 نيسان، كان يوما داميا في زمن الإمبراطورية العثمانية وسلسلة من المؤامرات السياسية. بدأت في ثكنة (طاش قشلة) العسكرية وانتهت بخلع السلطان عبد الحميد الثاني عن عرشه 1909.

[535] محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص211- 212
[536] مصطفى طوران. **أسرار الانقلاب العثماني**. ص101

خاتمة الفصل الثالث

لم يكن موضوع خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909، الذي حكم إمبراطورية مترامية الأطراف في قارات آسيا وأوربا وإفريقيا مدة ثلاث وثلاثين سنة 1876- 1909، بالأمر السهل، لذا عملت على إنجازه دول عظمى ومنظمات وصُرفت المبالغ الطائلة لتحقيقه، واستخدمت تلك الجهات شتى الوسائل والأفراد والجماعات، فكان لهم ما أرادوا وانهدمت الإمبراطورية العثمانية التي بناها أجداد عبد الحميد طيلة ستة قرون، وذلك بالحروب وسل السيوف، وكثرة التضحيات بالرجال والأموال والدماء. وبالرغم من وصفه بالرجل الداهية والعبقري، إلا أنه انحنى أمام مؤامرات روسيا وبريطانيا وفرنسا ودول أوروبية أخرى، بل خذلته حتى صديقته ألمانيا التي كانت تريد الحصول على حصتها من كعكة ثروات الأقاليم التي كانت خاضعة للإمبراطورية.

وانتصر أعداء السلطان عبد الحميد عليه، ونفذوا خطتهم عبر جمعية الاتحاد والترقي لأجل خلع السلطان عبد الحميد وهدم وتقسيم أملاك الإمبراطورية العثمانية.

الفصل الرابع

التغيرات التي أحدثها هذان الانقلابان 1908- 1909

1- بوادر الخلاف بين العرب والترك

- القومية التركية - الطورانية

استبشر العرب بإعلان الدستور 1908، وانتهاء العهد الحميدي المطلق 1909، معتقدين أن الاتحاديين الذين تسلموا السلطة في العهد الجديد سيحافظون على شرف الدستور ومبادئه القائمة على نشر "الحرية والعدالة والمساواة"، فلم يعد هناك فرق بين مسلم أو مسيحي أو يهودي، ولا فرق بين عربي أو كردي أو أرمني، فجميع القوميات والأجناس هي عثمانية متساوية في الواجبات والحقوق.

كان العرب بشكل خاص حريصين على بقاء الإمبراطورية العثمانية موحدة وقوية، فتمسكوا بالراية العثمانية وأعلنوا إخلاصهم وتمسكهم بالدولة، كما أيدوا جمعية الاتحاد والترقي وانضموا إلى صفوفها، اعتقادا منهم أن هذه الجمعية ستمنحهم الحرية والعدالة التي كانوا يفتقرون إليها في العهد الحميدي.

ورغم أن العرب بذلوا جهودا كبيرة في إظهار إخلاصهم وتفانيهم للدولة، إلا أن سوء التفاهم والارتياب ما لبث أن وقع بين العرب والترك والعناصر الأخرى، وحل سوء التفاهم محل الوئام والوفاق،[537] وكان مثار الخلاف بين الاتحاديين والسياسيين العرب هو تمسك الاتحاديين بنظام المركزية، وتشددهم باستعمال اللغة التركية في الأقاليم العربية، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في تدهور العلاقات بين جمعية الاتحاد والترقي والإصلاحيين العرب. كما قام الاتحاديون بترشيح نواب أتراك في مجلس المبعوثان عن الولايات العربية، وارتكبوا عددا من التجاوزات من أجل فوز أنصارهم في الانتخابات النيابية.[538]

كان من نتيجة نجاح الانقلاب الدستوري 1908، وخلع السلطان عبد الحميد 1909، أن تصاعد الوعي بالهوية التركية في اسطنبول، وظهور الحركة الطورانية بشكل رسمي وعلني، فقد أصبح دعاة القومية التركية يتحركون بنشاط كبير ويتمتعون بامتيازات كبيرة، بحكم كونهم أعضاء في جمعية الاتحاد والترقي التي تتولى السلطة. وفي 5 كانون الأول/ديسمبر 1908، تم تأسيس

[537] توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص95
[538] عبد العزيز محمد عوض. **الادارة العثمانية في ولاية سورية 1864- 1914**. ص50

المنتدى التركي "ترك درنكي" في اسطنبول، وهو أول نادٍ تركي أسس لغاية أدبية وعلمية كي يكون في خدمة القومية التركية أو الرابطة الطورانية. وكان من أبرز مؤسسيه يوسف اقشور وحسين جاهد وأحمد غايف وأحمد فريد بك. وكانت بحوث ودراسات هذه الجمعية تصب في كل ما يتعلق بالشعب التركي، من لغة وتاريخ وأدب وحياة اجتماعية وخصائص عرقية وحضارة وجغرافية تركيا القديمة.

فبعد أن كانت الجامعة الطورانية قبل خلع السلطان عبد الحميد مجرد أفكار مجموعة من الدعوات لبعض الأدباء والمثقفين الأتراك الذين يحلمون بوطن مثالي، تحولت إلى سياسة ينتهجها أغلب سياسيي الصف الأول من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في الدولة.[539] كما كان لإطلاق حرية الصحافة سبب في زيادة تردي العلاقات بين العنصرين، فقد كانت الصحف أحيانا لا تتحرج عن إثارة المشاكل العرقية بين الطرفين، وقد يكون ما كتبه حسين جاهد وهو المعروف بالتعصب لنعرته الجنسية في شهر أكتوبر 1908، في جريدة (طنين)– وكان قد مضى على إعلان الدستور ثلاثة أشهر فقط- الشرارة التي انطلقت فأشعلت نار الحقد بين العناصر المختلفة، فقد كتب حسين جاهد، أن الأمة التركية كانت وستظل هي الأمة الحاكمة في الإمبراطورية العثمانية، وأن الترك يتمتعون بامتيازات وحقوق سامية بصفتهم الفاتحين، إذن لا اعتراف بحقوق متساوية مع العناصر العرقية الأخرى، وأن الدستور العثماني ليس سوى دستور تركي.[540]

كما تفرغ بعد مؤتمر سالونيك عام 1909، عضو اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي ضياء كوك آلب لنشر نظريته القومية والاجتماعية التركية على صفحات مجلة (الأقلام الشابة)، التي صدرت في سالونيك. كما تم إصدار مجلة (تورك يوردي) وهي أشهر مجلة قومية تركية، وكان يوسف اقشور رئيس تحريرها والذي أعلن صراحة: يجب على الأتراك صبغ الشرائع والقوانين والآداب والعلوم الجيش والأسطول وكل شيء بالصبغة التركية الخالصة. فاستقطب حوله نخبة مهمة من المثقفين.

وبعد سلسلة الهزائم التي منيت بها جمعية الاتحاد والترقي في حرب البلقان، عم طغيان الاتجاه الطوراني، وقد عبر عنه ضياء كوك آلب بشكل إعلامي قوي حين لخص التوجهات الجديدة

539 قيس جواد العزاوي.**الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**. ص140- 141
540 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص95- 96

بقوله:"إن بقاء الدولة لن يتحقق إلا بقيام أمة واحدة هي الأمة التركية"، وإن عهد التنوع في الأجناس داخل الدولة قد انتهى، وطالب بتنقية وتصفية اللغة التركية من المفردات الدخيلة.[541]

وهكذا قامت المجموعات ذات الاتجاه التركي بنشاطات وحملة قومية تستهدف تبسيط اللغة التركية – العثمانية حتى تكون أقرب إلى أفهام الناس، وجاهدت لمساندة قضايا أتراك العالم والإمبراطورية في المجالات السياسية والاقتصادية. كما اتجهت جمعية الاتحاد والترقي بشدة صوب القومية التركية وإلى صهر الأقليات في بوتقة الإمبراطورية، وأصبحت اللغة التركية إجبارية.[542] وهكذا جرت عملية التتريك.

من هنا نجد أن النزعة القومية التركية التي عرفت باسم الجامعة الطورانية قد ظهرت وقويت بشكل رسمي بعد السنتين المفصليتين 1908- 1909، وأن الاتحاديين أخذوا بالعمل على نشر الجامعة الطورانية معتقدين أنها ستقضي على جميع العناصر غير التركية في الدولة العثمانية، وتخلق منهم عنصرا تركيا موحدا. كما دعت الحركة الطورانية إلى إحياء أمجاد الأتراك الأوائل وربط الأتراك بتراثهم القديم، وتخليص الفكر التركي من التأثيرات العربية والفارسية، وتعزيز الروابط بين الأتراك في داخل الإمبراطورية وخارجها، إضافة إلى سيادة القومية التركية والعنصر التركي على جميع القوميات والعناصر الأخرى.

من هنا فما بين سنتي 1908- 1912، اتضح لرجالات العرب المصلحين أن استمرار التعاون مع الاتحاديين مستحيل، وأصبح واجبا عليهم أن يتخذوا الخطوات الضرورية للدفاع عن مصالح جماعتهم وحقوق بلادهم، وأخذت الجمعيات العربية المختلفة، العلنية منها والسرية تعمل جاهدة في سبيل ذلك.

[541] قيس جواد العزاوي.**الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**. ص141- 142
[542] احمد عبد الرحيم مصطفى. **في أصول التاريخ العثماني**.ط2. بيروت: دار الشرق، 1986. ص280- 281

- الحركة العربية بعد انقلاب 1908

دور الجمعيات الأدبية والعلمية والسياسية

أثارت النهضة العربية الحديثة رغبة في الحرية والمساواة ونزعات قومية قوية، في نفوس كثير من الرعايا العرب في الإمبراطورية العثمانية، خاصة في بلاد الشام، وقد أثارها العاملون في الآداب والتاريخ والعلم، ولقد كانت مشاعر العرب بنجاح الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد 1908، دافعا قويا لإحياء آمالهم وأمانيهم في الحصول على حقوقهم في عهد الاتحاديين الجديد. حيث أن العرب كانوا قد أسهموا بتركية الفتاة لكن بأعداد ضئيلة، لدرجة أنهم لم يكن لهم أثر في تسيير الحركة، وبالرغم من هذا فإن الكثيرين الذين كانوا يعلمون عنها كانوا ينتظرون نجاحها بفارغ الصبر. ولهذا السبب اجتاحت العرب موجة عارمة من الفرح والسرور، كتلك التي اجتاحت غيرهم من جماهير الإمبراطورية العثمانية.

لكن بعد ثورة سنة 1908، وخلع السلطان عبد الحميد في سنة 1909، ظهرت مواقف الاتحاديين على حقيقتها، وخيبت آمال الكثيرين في عدد من الأمور، فقد بدا واضحا أن جمعية الاتحاد والترقي التي حلت مكان السلطان عبد الحميد في السيطرة على الأمور سيطرة كاملة، استبدت في تسيير أمور الإمبراطورية والتأثير في انتخابات سنة 1908، بحيث تكون النتائج مؤيدة لموقفها وفي مصلحتها.[543]

ومع تطور الوعي السياسي في المجتمعات العربية، أخذت تتشكل الجمعيات الأدبية والسياسية، والتي لعبت دوراً هاماً في اليقظة العربية.

ولم تكن الجمعيات العربية وحتى نشوب الحرب العظمى تنوي الانفصال عن الدولة العثمانية، لسببين، الأول: تمسك العرب بالخلافة الإسلامية والرابطة العثمانية، والثاني: خوفهم من التدخل الأجنبي في بلادهم، ولكن الاتحاديين أحكموا قبضتهم على السلطة في اسطنبول، وغيروا الولاة الذين يؤيدون المطالب العربية وألغوا الوعود، وتشددوا في الوعيد والنذير، ثم اتجهوا إلى تتريك العرب والأقوام الأخرى. فنشر أحد زعمائهم مقالاً في الصحف، جاء فيه:على الأتراك أن يطلقوا على دولتهم اسم الدولة التركية ويلفظوا اسم الدولة العثمانية البالي.

[543] ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص21- 22

وهكذا أصبح الشبان الترك المتحمسون ينظرون إلى الأقوام الأخرى نظرة ازدراء، فأجابهم العرب بالتكتل في جمعيات علنية وسرية.[544] وذلك بعد أن خابت الآمال والأماني التي علقها أنصار الإصلاح والدستور على سياسة الاتحاديين،[545] مما دفع العرب إلى الإسراع في تبني الفكر القومي وإنماء الروح القومية والعمل بمفاهيمهما من خلال إقامة الجمعيات؛[546] وذلك للدفاع عن حقوق العرب.[547] والتي انطلقت بسرعة، وطورت إلى ثلاثة اتجاهات: تبلورت في الدعوة لتشكيل اتحاد بين العرب والأتراك.(المساواة بالأتراك)، والمطالبة باللامركزية.(الاستقلال الذاتي او اللامركزية الإدارية) والدعوة للانفصال عن الإمبراطورية والحصول على الاستقلال.[548]

كانت هذه هي المعطيات التي شكلت البيئة الخصبة التي دفعت العرب للانتقال من الإطار الإعلامي النظري التعبوي إلى الإطار العملي، إذ قام المثقفون والمتنورون العرب بتأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية[549] العلنية والسرية والتي تعبر عن الوعي القومي[550] وذلك من أجل الدفاع عن المصالح والقضايا العربية،[551] فقد ظهر عدد من الجمعيات في اسطنبول وبعض أقاليم البلاد العربية خلال الفترة (1908- 1913)، أهمها: جمعية الإخاء العربي العثماني، والمنتدى الأدبي (1909) والعلم الأخضر، والجمعية القحطانية (1909) وجمعية بيروت الإصلاحية، والنادي الوطني العلمي في بغداد، وجمعية البصرة الإصلاحية، والجمعية العربية الفتاة، (1911) وحزب اللامركزية الإدارية العثماني في مصر (1912)، وغيرهم.[552] وتعدّ الجمعية العربية الفتاة وحزب اللامركزية الإدارية العثمانية أهم هذه الجمعيات على الإطلاق.

وكان للعرب أيضا جمعياتهم ونشاطاتهم القومية الخاصة، وقد بدأوا نشاطهم بعد الانقلاب الدستوري عام 1908، مباشرة حين أسسوا **جمعية الإخاء العربي العثماني** في اسطنبول وكانت

---

544 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد: كلية التربية للبنات،جامعة بغداد،2004. ص94

545 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص247

546 نعمان عاطف عمرو. **مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام 1920** . الخليل: جامعة القدس المفتوحة، 2008. ص8

547 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص247

548 نعمان عاطف عمرو. **مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام 1920** . ص8

549 عبد العزيز محمد عوض. **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864- 1914**. ص50

550 نعمان عاطف عمرو. **مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام 1920** . ص7

551 عبد العزيز محمد عوض. **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864- 1914**. ص50

552 محمد الخير عبد القادر. **نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما 1875- 1925** . القاهرة: مكتبة وهبه، 1985. ص77

أولى الجمعيات العلنية، فبعد أسابيع قليلة من إعادة العمل بالدستور1908،[553] وفي الثاني من أيلول 1908، أعلن في اسطنبول في اجتماع ضم الأتراك والعرب عن تأسيس جمعية عربية هي جمعية الإخاء العربي العثماني[554] وكان من أهدافها: التعاون مع جمعية الاتحاديين في الحفاظ على القانون الأساسي[555] والحفاظ على الوطنية العثمانية والدفاع عنها، وحث العرب على الاتحاد مع الأجناس الأخرى في الإمبراطورية العثمانية. كما سعت الجمعية لإعلاء شأن العرب والعربية والحفاظ على حقوقهم[556] وصهر العثمانيين والعرب، واستعمال اللغة العربية في التعليم، ومراعاة التقاليد العربية ومساواة المقاطعات العربية مع غيرها من مقاطعات الإمبراطورية العثمانية، وعضويتها مفتوحة لجميع العرب على اختلاف عقائدهم. وعملت على تأسيس فروع لها في العالم العربي، في دمشق وحلب وبيروت وبيت المقدس والخليل وطبريا والكرك والموصل والبصرة وبغداد وطرابلس الغرب، كما أصدرت صحيفة تنطق باسمها.[557]

أيد الطلاب العرب في دمشق واسطنبول وغيرهم من الشباب العربي الواعي جمعية الإخاء العربي، وذلك بدافع من الشعور الوطني والقومي. إذ ساهم في ذلك، تحامل الأتراك على العرب في شخص أحمد عزت العابد، وأبي الهدى الصيادي ونجيب ملحمة، وقد كانت الصحف الهزلية تبالغ في رسم صور كاريكاتير ثورية بطريقة مهينة وإضافة كلمة عرب إلى أسمائهم. وعندما يخطب الأتراك يقولون "عرب نجيب" و "عرب عزت" تشهيرا بهم وتمييزا لهم، وكان الطلاب في اسطنبول يوقفون الخطباء الترك ويحتجون على هذه المعاملة[558] وفي ربيع سنة 1910، وبعد خلع السلطان عبد الحميد أغلقت جمعية الاتحاد والترقي أبوابها.[559] ولعل السبب هو ما رأته فيها من اتجاهات قومية عربية.

لقد أرادت جمعية الإخاء العربي العثماني، أن يكون للأمة العربية كيان سياسي ومكانة في جسم الدولة العثمانية، وذلك من خلال وجود العرب في الأجهزة الإدارية. ومن هنا يمكن القول إن هذه الجمعية نشأت في الأساس لتدافع عن حقوق العرب وبدافع من الشعور القومي العربي.

---

553 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص247
554 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916.** ص534
555 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص95
556 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص24
557 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916.**. ص534
558 توفيق برو. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914**. ص112
559 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص24

أما المنتدى الأدبي الذي تأسس عام 1909 في اسطنبول، فقد ضم نوابا وأدباء وموظفين وطلابا، من بينهم عبد الكريم الخليل الذي أصبح رئيسا له،[560] والذي عبر عن أهداف المنتدى بقوله:"من أجل توثيق عرى الإخاء بين العرب على اختلاف أجناسهم وأديانهم حتى لا يذكر الواحد منهم غير عربيته الشريفة." [561] وقد أيد المنتدى ألف عضو منهم رشدي الشوا ومحمد بسيسو ومصطفى الحسيني وعاصم من غزة، وكذلك عارف العارف وأحمد خليل الحسيني من القدس. وتجنب المنتدى التعاطي المباشر مع الأنشطة السياسية، خلال سنواته الأولى، وذلك اتباعا للقوانين العثمانية، واختار أن يكون مركزا لالتقاء العرب في الأستانة. وكان في معظم أنشطته، يدعو فيها لأفكار الإصلاح الاجتماعي واليقظة الحضارية والتأكيد بشكل خاص على مفاهيم الأخوة العربية والتركية والرابطة العثمانية، إلا أنهم انجروا إلى النشاط السياسي؛ لأن أكثر أعضاء المنتدى ينتمون إلى عائلات أعيان.[562] وفي عام 1915، أغلقته حكومة جمعية الاتحاد والترقي.[563] فقد أمر جمال باشا الحاكم العسكري لسوريا، بقمع الإصلاحيين العرب، وحاكم في محكمة عسكرية، على رئيس المنتدى الأدبي عبد الكريم الخليل بإعدام، مما وضع نهاية لنشاط وجود المنتدى.[564]

وهكذا نجد أن المنتدى الأدبي قد ساهم في إحياء الفكرة العربية، وإبراز هويتها، وبث فكرة القومية العربية في نفوس الشباب العربي، كما كان أعضاؤه مخلصين للوطنية العثمانية، ومحافظين على عثمانيتهم.

ولم يكتف العرب بتأسيس الجمعيات العلنية، بل عمدوا إلى النشاط السياسي السري.[565] فظهرت جمعيات سرية تدعو إلى استقلال البلاد العربية مثل: الجمعية القحطانية وجمعية الفتاة. ففي أواخر عام 1909، تأسست **الجمعية القحطانية**،[566] وهي أول جمعية سرية حسب تأكيد رامزور، أسست في عاصمة الدولة العثمانية، وكانت الجمعية سرية في تنظيمها، سياسية في غاياتها، وكان هدفها أن تتألف الإمبراطورية العثمانية من جزئين مستقلين استقلالا تاما في الأمور الداخلية،[567] أي تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين، وذلك بأن تؤلف الولايات العربية

---

560 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916.**. ص536
561 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام 1920** . ص8
562 بشير موسى نافع. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية**. ص117
563 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916.**. ص537
564 بشير موسى نافع. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية**. ص117
565 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص26
566 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916.**. ص537
567 ارنست أ رامزور. **تركيا الفتاة وثورة 1908**. ص26

مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية، وتكون اللغة العربية لغة معاهدها ومؤسساتها، على أن تصبح هذه المملكة جزءاً من إمبراطورية تركية عربية تشبه في تكوينها الدولة النمساوية المجرية، ويضع السلطان العثماني في اسطنبول على رأسه تاج المملكة العربية بالإضافة إلى تاجه التركي، كما كان إمبراطور آل هابسبورغ في فينا يضع على رأسه تاج المجر. وكان مؤسسوها من ذوي الجرأة والإقدام من بينهم سليم الجزائري والأميران أمين وعادل أرسلان، وكان يقودهم عزيز علي المصري. واكتشف أن أحد الأعضاء قد خان الثقة فتوقفت.[568]

لم تستطع الجمعية القحطانية أن تحقق هدفها الذي أعلنته، وهو تحويل الإمبراطورية العثمانية إلى مملكة ثنائية، إلا أنها ساهمت في إحياء الفكرة العربية، واستطاعت أن تخترق صفوف ضباط الجيش وتزرع فيهم القومية العربية.

وفي عام 1911، تأسست في باريس جمعية سرية باسم **الجمعية العربية الفتاة**،[569] على يد سبعة من الطلبة العرب[570] وكانت من أهم الجمعيات العربية وأكثرها نشاطا وتنظيماً، وكانت تطالب بالعمل للنهوض بالأمة العربية والمساواة بالأتراك وعدم الانفصال.(بعد إعلان الحرب العظمى حولت برنامجها، وأصبح استقلال بلاد العرب وتحريرها من السيطرة التركية والأجنبية). وكان لها أثر كبير في تاريخ الحركة القومية.[571] وامتازت بالدقة والحذر، والسرعة في الوصول إلى أهدافها، وتنظيم أساليبها، والدقة في اختيار أعضائها، فقد كانوا يختبرون طويلا، حيث يقوم أحد الأعضاء القدماء بترشيح العضو الجديد ولا يصبح من أعضائها حتى تثبت جدارته وأمانته[572] وهذا ما أكده وذكره محمد عزة دروزه في مذكراته: من أن الدكتور أحمد قدري (عضو في الجمعية) أخبره بأسلوب متدرج بأمر الجمعية العربية الفتاة، وانضواء الشبان المخلصين القوميين إليها، وقال له إن هيئة الجمعية راقبته ودرست أحواله وقررت صلاحيته للانضمام إلى عضوية الجمعية، وعهدت إلى الدكتور أحمد قدري كي يصارحه بذلك؛ لأنه يعرفه من مدينة نابلس وتحليفه اليمين بالالتزام بأهداف الجمعية وبذل كل جهد في سبيلها وتنفيذ أوامرها وقراراتها وكتمان إسرارها. وأنه

---

568 جورج انطونيوس. **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**. ص186

569 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص538

570 محمد الخير عبد القادر. **نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما 1875- 1925** . ص78

571 جورج انطونيوس. **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**. ص189

572 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص538

وافق وحلف اليمين.[573] عندها يقسم العضو الجديد اليمين، وقد نقلت إلى بيروت سنة 1913، ثم إلى دمشق وقد ظل قيامها سراً إلى أن نالت البلاد العربية استقلالها من الحكم العثماني.[574]

كانت جمعية العربية الفتاة أول جمعية عربية سياسية وأهم جمعية من الجمعيات العربية الأخرى التي ظهرت ما بين 1908- والحرب العظمى، فكانت جمعية ذات صبغة عربية قومية، هدفها الحفاظ والتأكيد على الشخصية العربية.

تدل هذه الجمعيات المتعددة على حيوية الوعي القومي وتجاوب السكان معه، فقد كانت تتبع الجهود السابقة بجهود جديدة فتصبح الحركة أكثر شمولا وأعم.

أما **حزب اللامركزية الإدارية العثماني** فقد تأسس أواخر عام 1912، في القاهرة، وقد ساهم في تأسيسه نخبة من السوريين المقيمين في مصر،[575] ولقد كان هذا الحزب علنياً وأكثر الأحزاب العربية تنظيما والصوت المعبر عن الأماني العربية،[576] وكانت أهدافه ذات شقين، الأول: أن تبين للحكام الأتراك الحاجة الملحة للامركزية الإدارية. والثاني: أن تعبئ الرأي العام العربي لتأييد اللامركزية. أسسها رفيق العظم ورشيد رضا وإسكندر عمون وعبد الحميد الزهراوي ورفيق العظم ومحمد رشيد رضا وسامي الجريدني وغيرهم. ولم تمضِ سنة حتى أصبح حزب اللامركزية أفضل من يمثل أهداف العرب وأمانيهم من حيث دقة التنظيم وقوة التأثير.[577] ومن الجدير بالذكر أن حزب اللامركزية هو الذي نظم المؤتمر العربي وعهد أمره إلى السيد عبد الحميد الزهراوي واسكندر بك عمون. والسبب الذي دفع إلى تأسيس حزب اللامركزية الأصوات التي خرجت من باريس وتذكر فيه أن لفرنسا حقّا في سورية. ودعا برنامج الحزب إلى اعتماد نظام اللامركزية وأن يكون لكل ولاية مجلس إداري ومجلس عمومي وأن يكون لكل ولاية لغتان رسميتان هما العربية والتركية، وأن جنود كل ولاية يؤدون الخدمة العسكرية في ولاياتهم في زمن السلم، أما في حالة الحرب فإن الدولة هي المخولة بإرسال الجنود لمواقع القتال. كما تقدم حزب اللامركزية بمشروع إلى الاتحاديين يطالب فيه بإنشاء مدارس حكومية لتدريس اللغة العربية في بيروت ودمشق، واتخاذ العربية لغة رسمية في الولايات العربية وغير ذلك.[578]

---

573 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ج1. ص266
574 جورج انطونيوس. **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**. ص189
575 عبد الكريم رافق. **العرب والعثمانيون 1516- 1916**. ص537
576 محمد الخير عبد القادر. **نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما** ص78- 79
577 جورج انطونيوس. **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**. ص185
578 محمد الخير عبد القادر. **نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما** ص78- 79

وعلى الرغم من أن حزب اللامركزية كان حزبا عثمانيا، إلا أنه بقي حزبا عربيا مقتصرا على العرب فقط. وتكمن أهمية هذا الحزب في تاريخ الحركة العربية في أنه كان أول خطوة عربية منظمة تسعى لتحقيق المطالب العربية التي طالَبَ بها العرب السوريون حكومة جمعية الاتحاد والترقي منذ إعلان الدستور عام 1908، وخلع السلطان عبد الحميد 1909. كما أن هذا الحزب كان حزبا قوميا ضم المسلم والمسيحي، وكان يرى ضرورة تطبيق نظام اللامركزية، لا في الولايات العربية فقط بل، في الولايات العثمانية كافة.

هذه هي أهم الجمعيات العربية التي ظهرت بعد وصول الاتحاديين إلى الحكم سنة 1908 وخلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909، لكن الجمعيات التي لعبت دورا في إحياء الحركة العربية إضافة إلى جمعية العربية الفتاة هما: جمعية بيروت الإصلاحية التي تألفت في بيروت، وحزب اللامركزية في القاهرة، وكلاهما قاما بعد أن تسلم الحكم حزب الائتلافيين عام 1912.

مما سبق يتبين لنا أن الهوية القومية العربية بدأت بالتبلور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما بدأ هدف العرب أنفسهم يتغير بشكل تدريجي، فقبل هذا التاريخ كان العرب المسلمون يعرفون على هويتهم بأنهم مسلمون في دولتهم الإسلامية، لذلك لم يجدوا مشكلة في تقديم الإسلام على العروبة. ثم بدأ هذا التعريف بالتراجع لحساب ظهور وتقديم الهوية العربية، والتي لم تظهر بشكل فجائي بل تدرجت وازدادت سرعة على أثر انقلاب 1908، وعزل السلطان عبد الحميد 1909.

وازدهرت الهوية القومية العربية في بلاد الشام على شكل وعي قومي، وذلك نتيجة لعوامل داخلية ذاتية، من خلال التأثير الغربي المباشر، والتطلع إلى القوميات الأوروبية التي نهضت، وتكونت الدولة القومية وأجبرت الإمبراطورية العثمانية على الاعتراف بهذه القوميات. مثل الاعتراف باستقلال اليونان. أيضا نتيجة احتلال الدول الأوروبية لأجزاء من الولايات العربية في المغرب العربي، الأمر الذي دفع العرب إلى التفكير في هويتهم العرقية والثقافية. ونتيجة لعوامل خارجية مثل التأثير الغربي المباشر من خلال النزاعات والصراعات فيما بينها من أجل السيطرة واقتسام النفوذ في الأقاليم العربية والتحريض المستمر ضد الإمبراطورية العثمانية والمطالبة بتفكيكها.

كما أن ظهور الجمعيات الإصلاحية والأحزاب السياسية والعسكرية أثناء فترة حكم الاتحاديين له دلالته العميقة، وهي أن معالم القضية العربية أخذت تتضح في صورة العمل الجماعي المنظم، ولكنها لم تأخذ بعد طابع الحركة الاستقلالية أو الانفصالية حتى عام 1916.

فشبان المنتدى الأدبي في أول الأمر لم يكونوا يفكرون في الانسلاخ عن السلطة العثمانية، بل كان هدفهم تقويتها بتقوية العرب والقيام بالإصلاحات الضرورية لرفع شأنها وتلافي الأخطار التي تتربص بها، وذلك بالتعاون التام بين العنصر التركي الحاكم والعناصر العثمانية الأخرى، وبالذات العرب. كان هذا الرأي رأي حزب العهد وجمعية العربية الفتاة وسائر الأحزاب والجمعيات السرية. أما حزب اللامركزية والجمعيات الإصلاحية في بيروت فكانت مطالبها تنحصر في توسيع اختصاصات الأقاليم على قاعدة اللامركزية. ولكن هذه الآراء كانت تتبدل بحسب التبدل الذي يرافق السياسة التركية في السنوات التي سبقت الحرب العظمى، والتي لم يكن بين العرب يوم إعلان تلك الحرب أحد فكر في الإساءة إلى الأتراك، بل كان تفكير العرب منصبا على محاولة منع الأتراك من الدخول في الحرب والتعاون معهم على اجتناب ويلاتها ودرء أخطارها.

لكن سياسة الاتحاديين وقعت تحت تأثير الدعوة الطورانية، مما ساعد على تقوية الشعور بالذاتية العربية. ولم يكن قادة الاتحاديين متأثرين بهذه الدعوة الطورانية فقط، بل كانوا يؤيدونها ويقدمون لها المساعدات المالية، وكان كبار قادة الاتحاديين أعضاء ينتمون إليها، من هنا من هذه القاعدة استمدوا سياسة تتريك الشعوب العربية والشعوب العثمانية الأخرى. ليس هذا فقط، بل إن الحركة الطورانية كانت تتطاول وتطعن في الإسلام والكيد له.

2- العرب والأتراك وفكرة العثمنة Ottomanism

انتهت الفترة الأخيرة من العلاقات التركية العربية بكثير من خيبة الأمل والإحباط من ناحية العرب في الإمبراطورية العثمانية، والسبب في ذلك السياسة التي سلكها حزب تركيا الفتاة، وذلك بقيادة جمعية الاتحاد والترقي. هذا الشرخ لم يكن في الحسبان، فلم يسعَ له لا قادة الرأي العام العرب ولا المثقفون وذلك بعد وقوع الانقلاب 1908، والانقلاب المضاد وخلع السلطان عبد الحميد 1909، ولا حتى توقعوا حدوثه.

فقد أظهر رجال الدولة وقادة الفترة الثانية من التنظيمات العثمانية (1856-1876) رغبة بتحويل نظام الإمبراطورية السياسي من نظام إسلامي عثماني مبني على مجتمعات دينية إلى نظام غربي مبني على مواطنين متساوين. تم الجزء الأول بهذا الاتجاه في شباط 1856، عبر إصدار مرسوم الإصلاح، والذي أعطى رعايا الإمبراطورية من غير المسلمين مساواة قانونية وسياسية مع نظرائهم المسلمين فظهرت فكرة العثمنة التي صنفت كل رعايا الإمبراطورية كمواطنين عثمانيين. والمفهوم من هذا هو أن العثمنة كانت على شكل سياسي وقانوني بدلاً من الهوية العرقية.[579]

فالعثمنة تعني إقامة إمبراطورية عثمانية متطورة تستند على مؤسسات ليبرالية، بإمكانها ضمان ولاء كافة الفئات الدينية والقومية الخاضعة لتلك الإمبراطورية. وهي نظام تاريخي – إيديولوجي عثماني، حتى تحافظ على دوام الإمبراطورية والمجتمع العثمانيين.[580]

أخذ أبناء الجيل الجديد من البيروقراطيين والمصلحين أتباع علي باشا في هذه الرؤية للأمام عدة خطوات، ونجحوا أخيراً بجعلها جزءاً من الدستور الذي كان لهم دور رئيسي في صياغته، والذي كان قد أعلن في نهاية 1876.[581] ففي المادة الثامنة من الدستور:**كل رعايا الدولة العثمانية بغض النظر عن دينهم أو طائفتهم بلا أية تفرقة يصنفون كعثمانيين.**[582] أي ظهر مفهوم المواطنة المتساوية لأولئك الذي يشتركون بأرض مشتركة كالوطن الأم وجميعهم خاضعون لنفس القانون. وواحدة من أوائل مظاهر هذه الفكرة كانت الانتخابات وعقد البرلمان في 1877-1878 والذي مُثلت فيه كل مقاطعات الإمبراطورية.

قابل الأدباء السوريون مثل أحمد فارس الشدياق وخليل الخوري وبطرس البستاني وفرح انطون عبر الصحف التي كانت تصدر حينها، فكرة العثمنة بكثير من الرضا في ذلك الوقت. كما حظيت فكرة العثمنة بمساعدة هؤلاء الناشرين وآخرين غيرهم بقبول واسع في المقاطعات العربية بين المسلمين وغير المسلمين أيضاً.

---

[579] Butrus Abu- Manne. **Arab- Ottomanists' Reactions To The Young Turk Revolution.** Article in Late Ottoman Palestine: The Period of Young Turk Rulr. Ben-Bassat, Yuval and Eyal Ginio. (London: Library of Ottoman Studied) , edited by Tauris Publishers, 2011. P.146

[580] سيار الجميل. **العرب والاتراك الانبعاث والتحديث من العثمنه الى العلمنه**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997. ص116

[581] Butrus Abu- Manne. **Arab- Ottomanists' Reactions To The Young Turk Revolution.P.146**

[582] أمين الخوري. **القانون الاساسي**.بيروت:مطبعة الاداب، 1908. ص21

لكن السلطان عبد الحميد الثاني حل البرلمان، وأوقف العمل بالدستور، الذي كان من أهم الوسائل المناسبة لتحقيق مجتمع عثماني من المواطنين المتساوين الذين يسكنون وطناً مشتركاً، وتراجع لقيم سياسية تقليدية، كإظهار صورته كخليفة، والتشديد على الشخصية الإسلامية للسلطنة. ووضعت هذه السياسة لانتزاع الولاء لشخصيته على حساب الولاء للوطن. بالإضافة إلى أن مفهوم المساواة بين المواطنين المتأصل بفكرة العثمنة قيّد كنتيجة لهذه السياسات. وقد مكنت هذه التدابير السلطان عبد الحميد الثاني ليحكم بسلطة مطلقة لأكثر من ثلاثة عقود.

كما عانت فكرة العثمنة من تحديث نظام الإدارة، الذي أدى إلى التضييق على نظام المركزية. كما أن اللغة الرسمية حصرياً أصبحت التركية العثمانية، مما أدى إلى انخفاض الدور المحلي، بينما زاد وقوي الدور المركزي. أي أن مفهوم العثمنة لم يوافق التطورات التي كانت تحصل على الأرض ونتيجة لذلك فإن قضايا المركزية والمسألة اللغوية والمشاركة بالحكومة طفت على الواجهة خلال عهد تركيا الفتاة، وكان من نتيجة ذلك أن زادت مشاعر القوميين العرب بسبب الظلم والضيم.

وهكذا نجد أن انتشار سمة العثمنة كقاسم مشترك بين جميع رعايا الإمبراطورية قد تباطأت وعانت من التراجع. إلا أن العرب استمروا بالاعتقاد بفكرة العثمنة بشكل عام؛ لأنها وفرت لهم المساواة مع الأتراك، ولإيمانهم بالحاجة المطلقة في المحافظة على الدولة كحصن أخير للإسلام، وكحاجز أمام الضغوطات الأجنبية، وبالذات الطموحات الفرنسية في سوريا. لذا كانت الإمبراطورية العثمانية أفضل ضمان لمستقبل أراضيهم ولمستقبلهم. فعلى المستوى الثقافي مثلا كان هناك اهتمام متصاعد للعرب بتعلم اللغة التركية وبتاريخ الإمبراطورية، وذلك قبل ثورة تركيا الفتاة؛ فقد ظهرت الكثير من المنشورات بهذه الأمور في كلّ من بيروت والقاهرة وبعد الثورة في دمشق، وكان ذلك إشعارا بأن العديد من الشباب العربي بدأوا بالتوجه نحو اسطنبول ثقافياً.[583]

---

583 Butrus Abu- Manne. **Arab- Ottomanists' Reactions To The Young Turk Revolution.**P.146-150.

*سليم قبعين: (1870- 1951) ولد سليم قبعين في مدينة الناصرة، تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الروسية التي أسستها (الجمعية الخيرية الروسية الفلسطينية الأرثوذكسية)، عمل بالتدريس في مدارس فلسطين، كما مارس العمل السياسي فانضم لحركة المعارضة للحكم العثماني واضطر بسبب ذلك لمغادرة فلسطين إلى مصر عام 1897 حيث تولى تدريس اللغة العربية في عدة معاهد. أصدر صحف عديدة منها: الأسبوع جريدة أنشأها بالقاهرة، سنة 1900، وعروس النيل 1903. من مؤلفاته: إنجيل تولستوي وديانته. القاهرة 1904، والدستور والأحرار القاهرة 1908، تاريخ آل روما نوف وغيره. توفي سنة 1951، متأثرا بمرضه بالسكر.

*روحي ياسين الخالدي (1864- 1913) ولد في القدس، من رواد النهضة الحديثة ، حضر الدروس في المسجد الأقصي في العلوم الشرعية واللغوية ، وتعلم القانون في اسطنبول وباريس، عمل مدة طويلة قنصلا للدولة العثمانية في بوردو، كما أنه انتخب لدورتين

- ردة فعل العرب (الأدباء والمفكرين) المباشر على انقلاب تركيا الفتاة

ولّد الانقلاب الدستوري موجة من الحماس بين الشباب والطبقات المتعلمة عبر الأراضي العثمانية بما فيها الأقاليم العربية. ووضع العرب إيمانهم في تركيا الفتاة وذلك آملاً منهم بمستقبل أفضل. هذا الشعور من الحماس والرغبة بالتعاون مع تركيا الفتاة بين العرب انعكس بالمنشورات المختلفة التي ظهرت بعد وقوع الانقلاب. فكتب العديد من الصحفيين والكُتّاب العرب كتيبات في الثناء على الدستور والحرية ومن بينهم ثلاثة فلسطينيين هم سليم قبعين* وروحي الخالدي* وشيخ عبد الله العلمي*، فكتب سليم قبعين كتيب (الدستور والأحرار) في آب 1908، نشر في القاهرة. وفي تشرين الأول 1908، كتب سليمان البستاني كتاب (عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده) ونُشر في القاهرة. وفي تشرين الثاني وكانون الأول 1908، نشر في القاهرة كتاب (أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة) لروحي الخالدي المقدسي. وفي نهاية 1908، نشر في بيروت كتاب عبد الله العلمي الغزاوي (أعظم تذكار للعثمانيين الأحرار أو الحرية والمساواة من تعاليم القرآن)، وفي نيسان 1909، كتب الصحفي عبد المسيح الأنطاكي من حلب كتاب (غاية الأماني في الدستور العثماني).

كانوا جميعهم عثمانيين، فمنهم المؤرخ والشاعر والدبلوماسي والكاتب والصحفي والعالم الأزهري. جميعهم آمنوا بضرورة استمرار وجود الإمبراطورية العثمانية، وبالمساواة بين جميع المواطنين، وبالتعاون بين جميع المجموعات العرقية التي تسكن الإمبراطورية بإدارة شؤون الدولة. وأجمعوا على أن ما قوض فكرة العثمنة والتعاون كان الاضطهاد والاستبداد فترة حكم السلطان عبد الحميد، واستيلاء المابين على السلطة الحقيقية في الدولة.

فقد كتب سليم قبعين ابن مدينة الناصرة مقدمة في كتابه تهتف للحرية، تبعها بمداخلة عن (أبطال الدستور) ومقدمة قصيرة عن السلطان عبد الحميد الثاني، الذي كان لا يزال في الحكم حتى نيسان 1909 وممجداً له لإعادته العمل بالدستور.

أما سليمان البستاني، والذي كان عضوا بحركة تركيا الفتاة، فقد ظهر كتابه بعد الانفلاب

متتاليتين عضوا في مجلس النواب العثماني ممثلا عن القدس بعد إعلان دستور 1908، له كتب في الأدب والسياسة منها أسباب الأنقلاب العثماني و علم تاريخ الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكو ورحلة إلى الأندلس والمقدمة في المسألة الشرقية.

*عبد الله العلمي: ولد في غزة ودرس فيها ثم درس في الأزهر بأواسط ثمانينات القرن 19، وصف العلمي كعاشق لقراءة الكتب الحديثة والأجنبية، تخصص بالتفسير ودحض كلام المبشرين ولهذا السبب درس الانجيل والتوراة. وفي عام 1902، هاجر الى بيروت حيث علّم اللغة العربية في مدرسة مهنية، كان في بيروت عندما قام الانقلاب، واعادة العمل بالدستور. عاد الى غزة حيث عيّن نائب عمدة المدينة ولاحقاً مفتشاً في وزارة التربية والتعليم وقبل الاحتلال البريطاني لغزة عام 1917 هاجر لدمشق وعاش فيها حتى توفي في 1936.

بفترة قصيرة وأهداه لذكرى مدحت باشا. تربى سليمان البستاني على فكرة العثمنة وكان مؤمنا بها. وانتخب ممثلا عن مدينة بيروت في البرلمان العثماني الذي عقد في نهاية 1908. كذلك روحي الخالدي كان عضوا بحركة تركيا الفتاة قبل الانقلاب، وكان مؤمنا بفكرة العثمنة، وبعد الانقلاب انتخب نائبا عن القدس في البرلمان العثماني، وهو منصب احتفظ به حتى وفاته في 1913.

لم يقم أي من قبعين والبستاني والخالدي بتوجيه أي هجوم نحو السلطان، الذي كان ما يزال على رأس السلطنة في ذلك الوقت في كتاباتهم بشكل مباشر، وبدلاً من ذلك وجهوا نقدهم للمابين. فقد اعتبر الخالدي أن "اغتصاب السلطة من قبل المابين كنقطة تحول في انحطاط الدولة" وكتب "انتقل مركز الحكومة إلى قصر يلدز وحُرم مجلس الوزراء بشكل فعلي من سلطته، والوزراء تحولوا لمنفذين بكل بساطة"، "المابين أصبحوا حكومة صغيرة لكن قوية في دولة كبيرة لكن ضعيفة" وأضاف "معظم هؤلاء المسؤولين لم يكونوا فقط فاسدين بل جهلة وأغبياء أيضاً وكانوا المسؤولين عن علل الدولة" واتفق سليمان البستاني فيما كتبه وعزا الفساد والاضطهاد في الدولة لزمرة المابين، كما قام بتوجيه اللوم للشرطة السرية التي كانت جزءاً من أدوات الاضطهاد. أما البستاني فقد أوضح أنه بإعادة الدستور فإن العدالة قد حلت مكان الاضطهاد، والأمان قد ساد مكان الخوف، والأمل حل مكان الإحباط. وطمأن القراء "أننا مازلنا أمة حية".[584]

كذلك اعتبر التعصب الديني والقومي أسوأ عدو للإمبراطورية ولذلك كتب: "أفضل الوسائل لإنهاء التعصب القومي هو بجعل تعليم اللغة التركية إجبارياً (بكل المدارس)" وبشكل مشابه كتب "أفضل الوسائل بتقليل التعصب الديني هو بالتجنيد الإلزامي للمسيحيين بالجيش كالمسلمين" ولا غرابة أن الضباط الأتراك الكبار وصفوا سليمان البستاني كـ "أفضل موالٍ غير تركي لتركيا".

أما الشيخ عبد الله صلاح العلمي وهو من غزة ومن عائلة عريقة في المدينة، فناقش في كتابه "أعظم تذكار" العثمنة، فقد كان مؤمناً بشدة بالعثمنة، والعناصر التي كانت من وجهة نظره أمراً مطلقاً هي "المساواة والوحدة والأخوة بين جميع المواطنين العثمانيين" وجادل في العهد الدستوري يجب أن يكون الجميع متساوون، ولا يوجد اختلاف بين المسلم عن غير المسلم ولا التركي عن العربي وان الجميع عثمانيون مهما كانت قوميتهم أو مجتمعهم الديني الذي ينتمون إليه، وأصبحت المساواة هي شعارهم كما علمنا من آيات القرآن الكريم" وأضاف "عن طريق توحيد

[584] Butrus Abu- Manne. **Arab- Ottomanists' Reactions To The Young Turk Revolution.P.151-155.**

الأمة العثمانية تعزّز أهميتها ويُحمى وجودها" كما دعا للتعاون بين جميع المواطنين العثمانيين بخدمة الوطن والدولة بما فيهم غير المسلمين طالما "لا يخرجون علينا أو يثبتوا عدائيتهم تجاهنا"، وأن كل العثمانيين هم أخوة في خدمة الدولة والوطن "كلنا أخوة بالمواطنة والتمتع بالحماية الدستورية" الوحدة والأخوة والمساواة فقط هم ما يضمنون لنا مستقبل البلد والدولة، وأخيراً مجّد جمعية الاتحاد والترقي على انقلابها على الحكومة المستبدة وتحويلها إلى حكومة دستورية.[585] هذا التصريحات تأتي من عالم تظهر إلى أي مدى كان العلمي متنوراً وسابقاً لأوانه. كان هذا قبل أن تنقلب جمعية الاتحاد والترقي على مبادئها وتتنكر لها وتظهر على حقيقتها الاستبدادية!

ومن المفكرين العرب الذين تبنوا الهوية العثمانية بعد وصول الاتحاديين إلى الحكم بقوة، الشيخ علي الريماوي* وسليم اليعقوبي*، كلا الرجلين كان لديهما تربية إسلامية مستقلة وكبيرة وأحرز الاثنان في بداية القرن سمعة كبيرة جديرة بالاهتمام في النهضة العربية ، كل من الريماوي واليعقوبي أظهرا هوية ثنائية، إيمان قوي بالعروبة، وذلك بإحياء اللغة العربية كوسيط في بعث النهضة العربية، وفي ذات الوقت المحافظة على إيمان قوي متساوٍ بالدولة العثمانية والعثمنة كأيديولوجية سياسية.

اصدر الشيخ علي الريماوي (1860-1919)، (جريدة النجاح) وهي جريدة عربية- تركية أسبوعية، سياسية،علمية،أدبية، وزراعية. ملهماً فيها بمبادئ الانقلاب العثماني. وكان الهدف من الجريدة هو تحسين العلاقات المتدهورة بين حكومة الاتحاديين والعرب الفلسطينيين، والذين صاروا مفصولين بـ "شعارات فارغة للحرية العثمانية" وكان مخلصا في دعوته العرب إلى تعلم اللغة التركية في المدارس العربية، وكتب الريماوي في هذا المجال سنة 1910، تحت عنوان، "العرب والأتراك إخوة: فلماذا يتشاجرون؟".[586]

---

[585] The same reference. P.156- 158

*الشيخ علي الريماوي (1860 – 1919) ولد في القدس شاعر، وصحافي، ومربّ، تخرج في الأزهر، وعمل مدرساً للفقه واللغة في مدرسة الرصاصية في القدس. وكان من رواد الأندية الأدبية والثقافية. عمل في صحيفة القدس الشريف والغزال الرسميتين سنة (1878). أسس النجاح الأسبوعية (1908) عرف بقصائده الوطنية. انتقد الحكومة الاتحادية وسياسة التتريك واضطهادها العرب واستبعادهم عن المناصب الحكومية، ودعا إلى تطبيق مبادىء الحرية التي أعلنها الدستور.

*سليم اليعقوبي: (1880 – 1946) ولد سليم اليعقوبي في اللد وأتم علومه الابتدائية فيها، ثم التحق بالأزهر الشريف، عيّن عام 1904 مفتياً لمدينة يافا. ثم سافر مع اللجنة التي أرسلها جمال باشا إلى دار الخلافة الإسلامية سنة 1916. وكان غزير الانتاج الأدبي، نشرت كبريات الصحف في فلسطين بين سنتي 1908 و1914 قصائده وهي ذات طابع إسلامي دافع فيها عن الجامعة الإسلامية وخليفة المسلمين العثماني، كما هاجم الثورة العربية والشريف حسين بن علي. وفي عهد الانتداب نفي اليعقوبي إلى الاسكندرية لدعوته للقومية العربية. دعا

هذه كانت توقعات ورؤى ونظرة المثقفين العرب الكبار في ذلك الوقت نحو العهد الدستوري الجديد، لم ينظروا إلى السلطان على أنه هو المسؤول عن الفساد والاستبداد بالعهد الحميدي، بل زمرة المابين والمخابرات التي وضعته بحالة خوف مستمرة من الليبراليين وأعداء السلطنة، وهي التي ارتكبت الكثير من الفظائع باسمه، والعلاج كما يراه هؤلاء المثقفون كان تطبيق فكرة العثمنة. فقد آمن هؤلاء العرب العثمانيون بأن المساواة والتعاون بين العرب والأتراك، والنظام الدستوري هو أفضل ضمان لمستقبلهم ومستقبل بلدانهم. وأفضل ضمان للحفاظ على وحدة الإمبراطورية العثمانية.

إلا أن قادة الاتحاديين لم يثقوا بأحد غير الأتراك، وذلك رغم وعود جمعية الاتحاد والترقي بالمساواة، ومن أحاديثهم التوافقية للقوميين العرب في الدولة، حيث صاغها طلعت بيك، باشا لاحقاً، بشكل واضح، وذلك في اجتماع عقد لفرع الجمعية في سالونيك سنة 1910، حيث قال إنّه من غير الممكن أن يكون هناك أي مجال للبحث في قضية المساواة إلى أن نتمكن من عثمنة الإمبراطورية. كانت كلماته تنطبق على كل من لم يكونوا في الدولة أتراكاً، حيث كانت نقطة تركيزه الأساسية تتعلق بالعثمنة. ففي وقت كان فيه كل رعايا الدولة عثمانيين، وبالذات بعد إعادة العمل بالدستور، فإنّ العثمنة لا يمكن أن تعني إلا تتريك غير الأتراك في الدولة، بمن فيهم الأرمن والعرب وغيرهم. لقد تبنى قادة الاتحاديين أيديولوجية أدت إلى انتشار واسع "لرغبة أكيدة في عملية إحياء قومي بين كافة المتعلمين الأتراك". لكن تبين فيما بعد أن هذه المبادئ والأفكار عبارة عن أوهام. فبدلاً من الحماس حل الإحباط، وبدلاً من العثمنة حلت القومية التركية، وتلاشت كل آمال العدل والإخاء والمساواة.[587]

وهكذا يتبين لنا أن العثمنة لم تكن إلا ظاهرة تاريخية كرستها الدولة العثمانية كثيرا إبان عهد التنظيمات والدستور، إلا أن هذه العثمنة لم تستطع التطور وإحداث تغييرات جوهرية على مستوى البنى الاجتماعية، كما لم تنجح كثيرا في تحديث الثقافة والتفكير ذهنيا. فلماذا لم تنجح

الى مقاومة إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين. ولليعقوبي عدة مؤلفات من بينها مجموعتاه الشعريتان حسنات اليراع، والنظرات السبع.

[586] Salim Tamari. **The Syrian – Palestinian Intrlligentsia ang the Ottoman Campaign Against Arab Separatism.** Paper for discussion at the IPS seminar February 28 Friday 2014.P. 1- 20. P.3- 4

[587] عصام نصار. **القدس تحت حكم تركيا الفتاة.** ترجمة: سميح حموده. مجلة حوليات القدس، مؤسسة الدراسات المقدسة، عدد 12، 2011. ص43- 59. ص53

العثمنة؟

لم يجد مشروع التنظيمات ولا العثمنة الإصلاحية أرضية مناسبة لإحداث التغيرات والتحولات وذلك بسبب مركزيتها وفوقيتها، ولم تتوالد فكريا ولا اجتماعيا، بل انطلقت من خلال قرارات سياسية وإدارية وبيروقراطية بحتة. ولم تجد الدولة ولا المجتمع أية فرصة جدية من أجل التغيير والتفاعل التاريخي، سواء في البيئة العربية أو التركية.

كما كان للتدخلات السافرة للسياسات الأوروبية الانكليزية والفرنسية والروسية، في الشؤون العثمانية، بسبب الامتيازات الأجنبية التي كانت أحد أبرز العوامل في إفشال خطط العثمنة الإصلاحية ومشروع التنظيمات، وعرقلة نتائجها وبعض تطبيقاتها التحديثية، وصولا إلى إغراق الدولة العثمانية بالمديونية الخارجية، مما كان سبباً في اختراق الاستعمار للبلاد. بالإضافة إلى دور رأس المال والشركات الأجنبية والمعاهدات الجمركية التي فرضت على الإمبراطورية العثمانية.[588]

لقد فشلت التجارب الإصلاحية العثمانية؛ وذلك نظرا لاصطدامها مع نظام العثمنة الذي قضت عليه أربع إيديولوجيات وهي: أولها- سياسة الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني، والتي تقوم فكرتها على أساسين اثنين، أولهما: إصلاح حال المسلمين وتلقيهم المدنية الحديثة في إطار دولة الخلافة الإسلامية، وثانيهما تحرير الشرق الإسلامي من سيطرة الغرب الاستعماري.

وثانيها: سياسة التتريك التي تبنتها جمعية الاتحاد والترقي بعد وصولهم إلى السلطة إثر انقلاب تركيا الفتاة على السلطان عبد الحميد الثاني 1908، وخلع السلطان 1909، واشتهرت سياسة التتريك بـ "العنصرية" والتي عملت على إضافة المكونات القومية والتاريخية لشعوب الدولة العثمانية وذلك بهدف جعلهم أتراكا.

وثالثها: سياسة العلمنة التي تبناها الاتحاديون بعد وصولهم إلى الحكم.[589]

ورابعها: ولادة المشروع الصهيوني في سنة 1897، في مؤتمر بال بسويسرا، حيث بدأ على الفور العمل المنظم ضد الإمبراطورية العثمانية وضد المشروع النهضوي العربي، سياسيا واقتصاديا، تآمرا وتجسسا وذلك من أجل إقامة كيان سياسي- صهيوني لليهود في فلسطين. وهو

[588] سيار الجميل. **العرب والادراك الانبعاث والتحديث من العثمنه الى العلمنه**. ص26
[589] المصدر السابق، ص117

مشروع ضد التطورات لفكرة العثمنة الإصلاحية وضد الأماني النهضوية العربية. وقد نجح في كبح جماح العثمانيين بإسقاط دولتهم وتشريح جثتها وتقطيع أوصالها، وتكريس التجزئة. والوقوف جدارا منيعا صعبا ضد التوحد القومي- العربي ومشاريع الوحدة العربية._إن رفض السلطان عبد الحميد الثاني للصهيونية كان ثمنه باهظا، فقد نجحت الصهيونية واستطاعت تأسيس كيان لليهود على مدى خمسين سنة (1897- 1947)، كما ونجحت بفرض وجود هذا الكيان لكي تستقبل تاريخا جديدا.[590]

3- الاتحاديون والصهيونية

نشاط الصهيونيين ونشاط العرب

كان من نتيجة تغيير النظام السياسي في الإمبراطورية العثمانية عام 1908 و 1909، أن قدم آمالاً جديدة وكبيرة للحركة الصهيونية، فقبل سقوط السلطان عبد الحميد كانت الحركة قد أصابها اليأس من تحقيق برنامجها، وذلك نتيجة للمواقف الصلبة التي وقفها السلطان عبد الحميد، لدرجة أن هرتزل حول نظره عن فلسطين، ولكن ما أن وصلت جمعية لاتحاد والترقي إلى الحكم[591] وساهمت فئات من اليهود العثمانيين في أحداث الانقلاب السياسي الدستوري عام 1908، وفي حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909،[592] ثم حاجة الإمبراطورية للمال اليهودي، حتى خطا العمل الصهيوني خطوات إلى الأمام في فلسطين.[593]

فماذا كانت سياسة السلطات العثمانية؟ وكيف واجه أهالي فلسطين والعرب هذا التطور الكمي والنوعي في تطبيق المشروع الصهيوني منذ إعادة الدستور 1908، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909؟

كان بين أركان وصفوف الاتحاد والترقي الكبار أفراد من مسلمي يهود سلانيك الذين يسمون (الدونمة) وأفراد أخرى من يهود سلانيك، ولهم تأثير ونفوذ كبير في مركز الجمعية

590 المصدر السابق، ص27
591 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص132
592 حسان علي حلاق. **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 – 1909**. ص304
593 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص132

وشؤونها،[594] فقد تمكنوا من إلغاء القوانين التي كانت تحظر على اليهود شراء الأراضي والهجرة إلى فلسطين وإقامتهم فيها، وهي القوانين التي كان السلطان عبد الحميد قد أصدرها قبل إعلان الدستور، وذلك نتيجة للشكاوي التي رفعها إليه عرب فلسطين، وحذروا فيها من نشاط ومطامع اليهود في فلسطين، والأخطار التي سوف تلحق بهم إذا ما تركوا دون ردعهم ومنعهم. ولقد كان الزعيم اليهودي الصهيوني هرتزل، والذي سعى ونجح في عقد مؤتمر لليهود سنة 1897م في بال وقرر إقامة دولة يهودية في فلسطين وشراء الأراضي فيها والسعي في زيادة الهجرة إليها. وطلب من السلطان عبد الحميد أن يبيع فلسطين لليهود أو أن يسمح لهم بالهجرة إليها والتوطن والتملك فيها، وذلك مقابل مساعدات مالية يقدمها اليهود للإمبراطورية والسلطان. وقد رفض السلطان عبد الحميد هذا العرض رفضا باتا واصدر أمراً بتشديد الرقابة على نشاط اليهود.[595] بل قام بإصدار فرمان بمنع بيع الأراضي الميري في فلسطين لكل اليهود وحتى رعايا الدولة العثمانية. مما جعل الدول الأوروبية واليهود العثمانيين تثور ضد هذه القيود.[596]

وفي المقابلة التي تمت في 8 أيار/مايو 1901، بين السلطان عبد الحميد وهرتزل،[597] افتتح هرتزل المقابلة بتحذير السلطان من العرب، وأوضح له أن قيام وطن يهودي بسوريا الجنوبية كاف للقضاء على الحركة القومية العربية، ثم تعهد للسلطان بأن يسدد اليهود الديون العثمانية البالغة عشرات الملايين من الجنيهات، وأن يقدموا للسلطان خاصة عُشر هذا المبلغ الطائل،[598] وإصلاح الاقتصاد العثماني المتهالك، ثم عرض وساطته من أجل إيقاف حملات صحف تركيا الفتاة في أوروبا. ثم ألمح إلى أن هدف الحركة الصهيونية في إيجاد ملجأ لليهود في الأراضي المباركة[599] إذا ما رحب السلطان بهجرة اليهود إلى الإمبراطورية والاستيطان فيها.[600].

إلا أن السلطان رفض وقال له:"... إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا .. لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر ما بذلناه من دماء في سبيلها ...إنني أحب

---

[594] محمد عزة دروزة. **منة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)**. ص181

[595] المصدر السابق، ص188- 189

[596] ميم كامل اوكى. **السلطان عبد الحميد الثانى بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية**. ترجمة: اسماعيل صادق. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1992. ص10

[597] عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص235

[598] سعيد الافغاني. "تاريخ مفترى للسلطان عبد الحميد". **مجلة البيان**. ع35. شباط 1969.

[599] حسان علي حلاق. **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 – 1909**. ص179

[600] عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص235

تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين، ولكن إقامة دولة يهودية في الأراضي المباركة التي فتحناها بدماء أجدادنا العظام فلا ."[601]

وبقي السلطان عبد الحميد الثاني متمسكا بموقفه المعارض للحركة الصهيونية، وقال:" إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمهم، وقد قتل رجالنا الواحد بعد الآخر في بلفنه* ... فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت إمبراطوريتي فعلهّم يستطيعون آنذاك بأن يأخذوا الأرض بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا في جثثنا، وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة".[602]

لقد كان السلطان مقتنعا أنه إذا وافق على هجرة يهود إلى فلسطين فأنه يكون بذلك قد حكم على أهل وسكان فلسطين المسلمين بالإعدام والقتل والتشريد.[603]

لقد أدرك السلطان عبد الحميد الثاني ومنذ البداية حقيقة المشروع الصهيوني، وأنه لن يجلب الخير للمنطقة كما كان أصحابه يزعمون كاذبين، كما قدر تضحيات العرب بأن كتيبتين من جنود بلاد الشام حاربوا في بلفنا سنة 1877، ضد روسيا، وقتل الرجال الواحد بعد الآخر في بلفنا لأن أحدا منهم لن يرضى بالتسليم، لذا وقف السلطان عبد الحميد الثاني ضد مشروع تهويد فلسطين، وبخاصة ضد مساعي هرتزل، زعيم المنظمة الصهيونية السياسية، لشراء الأراضي في فلسطين لقاء تسديد ديون السلطنة لدى المصارف الأوروبية. ويعود سبب موقفه هذا إلى مكانة بيت المقدس الشريف الإسلامية وتقرب السلطان إلى العرب، كما أنه لا يريد إضافة أقلية قومية جديدة، إلى المجتمع العثماني، فمشاكله مع الأقليات في إمبراطوريته تكفيه وهي كثيرة، والخشية من أن يؤدي الاستيطان إلى قيام دولة يهودية في البلاد. وقد استمر في موقفه هذا من الصهيونية والهجرة اليهودية حتى قيام ثورة الاتحاد والترقي عام 1908م وخلعه عام 1909.

لما قامت ثورة الاتحاديين 1908، وتم خلع السلطان عبد الحميد 1909، قام اليهود بالسعي مع رجال الاتحاديين في الفترة الأولى من حكم جمعية الاتحاد والترقي في رفع قوانين الحظر عن

---

601 حسان علي حلاق. **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 – 1909**. ص176- 179

* بلفنا: هي مدينة هامة إستراتيجية تقع على ملتقى الطرق الرئيسية بين مضيق جبل البلقان وبلغاريا الغربية والطونه. وقعت فيها موقعة عسكرية بين العثمانيين والروس في (آب/أغسطس 1877/ رجب 1294هـ) وقد ابلى العثمانيون فيها بلاء حسنا.

602 المصدر السابق، ص198

603 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص229

اليهود . واستطاعوا أن يصدروا قرارا برفع الحظر عن شراء اليهود للأراضي وعن هجرتهم إلى فلسطين وإقامتهم فيها.[604] وتم لهم ذلك.

ولعب اليهود وجماعة الدونمة دوراً هاماً في مجالس الاتحاد والترقي، فقد كان من بين أركان الاتحاديين أفراد من اليهود وكان لهم تأثير كبير في مركز الجمعية وشؤونها.[605] وأصبح لهم تأثير كبير في دوائر جمعية الاتحاد والترقي، فقد جندت الصهيونية من خلال الماسونية الايطالية اليهودي **عمانوئيل قره صو** وهو أحد الأدمغة المفكرة البارزة في الجمعية،[606] والذي يعد من أهم الشخصيات التي أدت دورا في تركيا الفتاة وهو يهودي اسباني كان أول من اشترك في الحركة - وصفته المصادر الانجليزية بأنه من قادة الاتحاد والترقي،[607] لخدمة أهدافها وكان له دور رئيسي في الجمعية، وفي الانقلاب السياسي الذي وقع عام 1908، وفي خلع السلطان عبد الحميد 1909. والإصرار على نفي وإقامة السلطان في سلانيك ووضعه عند صيرفي الجمعية اليهودي الايطالي، وتعيين أخ رمزي بيك اليهودي من الدونمة مشرفا عليه.[608]

واستغل اليهود العثمانيون وجودهم في الاتحاد والترقي، وذلك من أجل التغلغل والوصول إلى داخل أجهزة الدولة الحساسة، ومن بعدها السيطرة على مقدرات البلاد الاقتصادية، وقد تمكن **جاويد بك** اليهودي من الدونمة ووزير المالية بعد الانقلاب مباشرة، من الاتفاق مع الحركة الصهيونية والبنوك اليهودية، من أن يعقد عدة صفقات مالية لحساب جمعية الاتحاد والترقي، وقد استطاع بالفعل أن يحقق صفقة قدرت بستة ملايين ليرة عثمانية عقدها مع بيوت مال اليهودية في باريس، وذلك من أجل ممارسة الضغوط الاقتصادية لتحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين.

ولقد أثبتت ممارسات أعضاء الاتحاديين خضوعهم لقوى تركية يهودية ذات ارتباطات صهيونية وماسونية وأجنبية، وبالذات بريطانية، فقد أكد زعماء الصهيونية بعد نجاح جمعية الاتحاد

---

604 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)**. ص188- 189

605 المصدر السابق، ص188

606 محمد جمال الدين العلوي. "يهود الدونمة والانقلاب السياسي العثماني 1908". **العراقية المجلات الأكاديمية العلمية**، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل. مركز الدراسات الإقليمية، 2011. عدد الصفحات 219 – 244. ص232

607 بان غانم احمد الصائغ. دور الحركات القومية في انهيار الدولة العثمانية الوطن العربي نموذجا. **مجلة التربية والعلم**، المجلد 13، العدد 12، سنة 2006. ص 1- 13. ص6

608 محمد جمال الدين العلوي. "يهود الدونمة والانقلاب السياسي العثماني 1908". ص232

والترقي في الوصول إلى الحكم أن أبواب فلسطين أصبحت مؤهلة لأن تفتح بدون صعوبة لليهود.[609]

وقد تأكد العرب من التعاون بين جمعية الاتحاد والترقي وبين اليهود الصهيونيين من الفرحة والاحتفالات التي استقبلت بها الأوساط اليهودية الصهيونية انقلاب 1908، فقد علق الزعماء الصهاينة عليه آمالا كثيرة وتوقعوا أن يكون فاتحة عهد جديد لهم، واصدر حزب بوعالي تسيون الصهيوني في فلسطين بيانا خاصا يشيد بالانقلاب وبالاتحاديين.[610]

وبسبب تأييد الاتحاديين لمطالب الصهيونية وتشجيعهم الهجرة اليهودية الى فلسطين جرى نقل الموظفين الأتراك المعارضين للهجرة اليهودية من فلسطين،[611] فقد ذكر محمد عزة دروزة في مذكرات "مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات" أنهم في نابلس أصبحوا يسمعون عن تصاعد نشاط اليهود في شراء الأراضي وذلك بعد أن تم خلع السلطان عبد الحميد عن الحكم وتسلم السلطة للاتحاديين واستتباب الهيمنة لجمعية الاتحاديين، فقد قام اليهود بشراء أراضي في حيفا ويافا ومرج بن عامر قرب الناصرة. وان صدامات جرت بين الفلاحين في قرية العفولة وبين اليهود عندما جاء اليهود للاستيلاء على الأراضي بعد شرائها، وقد اعترض قائمقام الناصرة شكري العسلي على عملية بيع مرج ابن عامر لان هذه القرى يقطنها فلاحون متصرفون في أراضي هذا المرج تصرف زراعة واستغلال منذ مئات السنين وقال إنهم صاروا بذلك أصحاب حق مكتسب ولا يحق لهم إخراجهم منها. وأن خلافا قد وقع بين شكري العسلي وبين والي بيروت الذي قال بوجوب تنفيذ البيع وتسليم الأرض لليهود، وان والي بيروت شكى شكري العسلي إلى وزارة الداخلية التي قامت بعزل شكري العسلي.[612]

وارتفع عدد اليهود في فلسطين إلى 80 ألف يهودي، في عام 1909، وبالذات بعد خلع السلطان عبد الحميد، وحصلت الصهيونية على نحو 156 ميلا من الأراضي وأقيمت 26 مستوطنة. كل ذلك حصل بفضل يهود الدونمة من زعماء الاتحاديين وإجراءاتهم الجديدة في إدارة سياسة الدولة العثمانية. كما رفض المهاجرين اليهود عند وصولهم إلى فلسطين أن يتجنسوا كرعايا

609 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص133- 134
610 بان غانم احمد الصائغ. دور الحركات القومية في انهيار الدولة العثمانية الوطن العربي نموذجا. ص12
611 المصدر السابق، ص9
612 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)**. ص189- 190

عثمانيين بل أصروا على الحصول على جنسية أجنبية حتى يتمتعوا بالامتيازات الممنوحة للدول الغربية وذلك بفضل الامتيازات الأجنبية، كما تمتع اليهود بحكم ذاتي في مستوطناتهم فاستخدموا علم خاص بهم وعملة وطوابع بريد خاصة، وقاموا باستبدال العمال العرب بالعمال اليهود، هذه الإجراءات تعد اعتداءات وتجاوزا على سيادة الدولة العثمانية.[613]

أما في يافا فقد ارتفع عدد المستوطنات والمهاجرين اليهود إليها في عهد الاتحاديين عما كانت عليه في فترة حكم السلطان عبد الحميد حيث وصل عدد المستوطنات التي شيدها اليهود إلى 39 مستوطنة ضمت 12 ألف يهودي خلال السنوات (1910- 1914).[614]

كما أصدرت جمعية الاتحاد والترقي تشريعا يقضي ببيع جميع الأراضي التابعة للسلطان عبد الحميد في الدولة وبالمزاد العلني! ولولا يقظة عرب فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ.[615]

هكذا نجد أن الاتحاديين قاموا بتقديم تسهيلات كبيرة لليهود وللصهيونية في مجال شراء الأراضي والهجرة الصهيونية إلى فلسطين. وان أعدادا هائلة من اليهود قد تدفقوا إلى فلسطين بعد زوال حكم السلطان عبد الحميد.

- مظاهر الوعي العربي تجاه الصهيونية وسياساتها في فلسطين

أشكال الاحتجاج العربي ضد الصهيونية

بدأ في فلسطين الوعي القومي تجاه الصهيونية، بالتحذير من نشاط الصهيونية أولا، ومحاولة استنهاض الوعي القومي تجاه هذا الخطر ثانيا منذ نهاية القرن التاسع عشر. ففي سنة 1887، بدأ الاصطدام الأول مبكرا في فلسطين بين العرب واليهود، عندما شعر العرب بتحول اليهود نحو الفكر الصهيوني وبدأوا يمارسون الاستيطان الزراعي وقاموا بطرد الفلاحين الفلسطينيين من الأراضي التي سيطروا عليها والتي ابتاعوها من كبار الملاك في ملبس والخضيره. فاحتج وثار الفلاحون الفلسطينيون وقاموا بالهجوم على مستعمرات ملبس والخضيره وذلك للدفاع

613 محمد جمال الدين العلوي. "يهود الدونمة والانقلاب السياسي العثماني 1908". ص233
614 بان غانم احمد الصائغ. دور الحركات القومية في انهيار الدولة العثمانية الوطن العربي نموذجا. ص9
615 موفق بني المرجة. **صحوة الرجل المريض.** الكويت: مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1984. ص220

عن أرضهم والانتقام، مما حدا بالسلطات العثمانية إلى اتخاذ إجراءات لتحديد هجرة اليهود إلى فلسطين.[616]

كيف واجه أهالي فلسطين تطورات تطبيق المشروع الصهيوني منذ إعادة الدستور 1908 وعزل السلطان عبد الحميد 1909؟

شهد موقف العرب عامة والفلسطينيين خاصة، تحولا كبيرا[617] بعد انقلاب 1908، وعزل السلطان عبد الحميد 1909، فقد نشطت المقاومة ضد الحركة الصهيونية وتعزز الوعي العربي وذلك نتيجة لإدراك العرب لطبيعة التسهيلات التي منحها الاتحاديون للحركة الصهيونية في فلسطين، كما بدأت فكرة التعاون بين الصهيونية وجمعية الاتحاد والترقي في مقاومة الوعي العربي،[618] خاصة بعد أن أبعد عن الحكم رمز سياسة الجامعة الإسلامية السلطان عبد الحميد سنة 1909، وظهور الأبعاد القومية التركية لرجال الاتحاد والترقي.[619] وازداد نضوج الوعي العربي على اثر هزائم حرب البلقان وما تسبب به من انقلاب آخر 1912، الذي قاده رجال الاتحاد ضد المعارضة الممثلة بحزب الحرية والائتلاف وذلك بحجة استئناف القتال في البلقان.[620] دفع هذا كله في اتجاه زيادة الوعي بالمصلحة الجماعية والدفاع عنها في وجه الأخطار الخارجية.[621]

ورغم تنامي مظاهر الوعي القومي العربي، إلا أننا نجد أن المنظمة الصهيونية نشطت بالعمل على جبهتين: الأولى سياسية، وكانت تهدف إلى الحصول على البراءة الدولية (وثيقة، مستند) والاعتراف الدولي بالصهيونية وأهدافها، والثانية عملية في حقل الاستيطان وتهويد فلسطين الأرض والشعب والسوق، بكل ما يعنيه ذلك من تغييب لأهل البلد الأصليين معنويا وماديا ونفي حقهم التاريخي في وطنهم.[622]

---

616 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص16
617 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص253
618 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص16
619 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص254
620 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص16
621 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص254
622نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص18- 19

وكان نجيب عازوري* قد بدأ في فترة مبكرة بدراسة الحركة الصهيونية ومخاطرها على مستقبل فلسطين خصوصا والعرب عموما،[623] ففي كتابه (يقظة الأمة العربية) لفت نجيب عازوري الأنظار إلى مطامع الصهيونية حين أشار إلى أن القوتين الرئيسيتين اللتين ستستقطبان المنطقة والعالم في المستقبل هما: يقظة الأمة العربية ومحاولة اليهود تأسيس إسرائيل القديمة.[624] وتنبأ بالصراع بين القومية العربية والحركة الصهيونية، ورأى أن مصير العالم سيعتمد على نتيجة هذا الصراع النهائية كما وأن هاتين الحركتين سوف تستمران في الصراع والقتال حتى تنتصر الواحدة على الأخرى.[625] كما نبه إلى ذلك على صفحات المنار السيد محمد رشيد رضا.[626]

ازدادت مظاهر الوعي العربي تجاه الأخطار الصهيونية سنة 1908 و 1909، وتعددت أشكال الاحتجاج عن طريق: الضغط على رجال الدولة في الآستانة من خلال النواب في البرلمان، فقد أبدى العرب، سواء زعماؤهم السياسيون في فلسطين وغيرها من الأقطار العربية، أو ممثلوهم البرلمانيون في اسطنبول وكذلك صحافتهم، معارضتهم للمشاريع الصهيونية في فلسطين. ونبع ذلك من مصلحة ذاتية ومن شعور بالانتماء القومي، ومن وطنية محلية، ومن غيرةً إسلامية ضد اليهود ومؤيديهم الأوروبيين.[627] فقد كانت المعارضة السياسية للاستيطان والهجرة الصهيونية في ازدياد في المدن الفلسطينية والعربية المجاورة. فبعد سنة 1908، زاد وارتفع صوت المعارضين العرب في البرلمان العثماني، منتقدين تقصير الحكومة والموظفين في اسطنبول والأقاليم، ونقلت الصحافة أقوال ومناقشات المعارضين للناس.[628]

أما القضية التي عمقت الشك وعدم الثقة بين الزعماء والنواب العرب وحكومة الاتحاديين، فهي تهاون الموقف الحكومي الرسمي إزاء الهجرة الصهيونية إلى فلسطين.[629] ولهذا جرت في سنة 1912، مناقشات حادة في البرلمان العثماني في اسطنبول من قبل النواب العرب وذلك

*نجيب عازوري: (1878- 1916)،ولد عازوري في قرية عازور جنوبي لبنان، درس في مدرسة الفرير في بيروت ونال شهادة المدرسة العليا الفرنسية في باريس. عين مساعدا لوالي بيت المقدس عام 1898. اسس في باريس مجلة الاستقلال العربي عام 1907، وفي عام 1908، عاد الى يافا اثر تسلم حزب تركيا الفتاة الحكم في السلطنة، ثم انتقل الى مصر حيث أسس محفلا ماسونيا بطقس اسكوتلندي يهدف الى تحرير الامة العربية، واعتبر فترة من الزمن وزير خارجية حزب مصر الفتاة. توفي عازوري في القاهرة عام 1916.

[623] تيسير خلف. (تحقيق)."وصف فلسطين أواخر أيام العثمانيين 1898 – 1916." **موسوعة رحلات العرب والمسلمين الى فلسطين** ج6. دمشق: دار كنعان، 2010 . نجيب عازوري يصف فلسطين في بداية القرن العشرين. ص(ص39)

[624] عبد الكريم رافق. "فلسطين في العهد العثماني"، **الموسوعة الفلسطينية.** ص873

[625] نجيب عازوري. **"يصف فلسطين في بداية القرن العشرين"** ص39 – 41

[626] عبد الكريم رافق. "فلسطين في العهد العثماني"، **الموسوعة الفلسطينية.** ص873

[627] المصدر السابق، ص873

[628] - عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)** ص254

[629] المصدر السابق، 114

احتجاجا على النشاط الصهيوني المكثف في فلسطين. وعلى امتلاك اليهود مساحات من الأراضي في سهل مرج بن عامر منبهين إلى الخطر الصهيوني.[630] فقد انتقد نائب دمشق شكري العسلي ونائب القدس روحي الخالدي[631] تساهل السلطات الحكومية في ذلك[632] وقاما بتحذير المجلس من الخطر الصهيوني ومن خطورة شراء الأراضي في العراق وسوريا، واستشهدا بقول أوشكين الزعيم الصهيوني: أن الصهيونية تنفق الأموال في فلسطين ن أجل أن تكون فيها امة يهودية.[633] إلا أن تأثيرهما كان ضعيفا نتيجة لوجود أعضاء يهود أقوياء في جمعية الاتحاديين المسيطرة على الحكم.[634]

كما حذر روحي الخالدي من الهجرة اليهودية قائلا: لقد وصل عدد اليهود الى مئة ألف في متصرفية القدس، وقام الأغنياء منهم بشراء نحو مئة ألف دونم من الأراضي، وعملوا على تأسيس بنك باسم "البنك الاستعماري اليهودي لاستعمار فلسطين".[635] وشرح عن تزايد أعداد المهاجرين الصهاينة إلى ارض فلسطين، وألف كتابا بعنوان (المسألة الصهيونية).[636]

كما حرك هذا النشاط الاستيطاني المكثف مقاومة السكان من القطاعات الاجتماعية وبدرجات متفاوتة من الحدة في فلسطين، حيث انفجر الصراع بوسائل عنيفة عدة مرات في 1912. وقد حاول يهود الدونمة الأعضاء في جمعية الاتحاديين أمثال جاويد بك ناظر المالية، التأثير على سلطة الاتحاديين الحاكمة بأن تبيع للصهاينة ثلاثة ملايين دونم من الأراضي في فلسطين وسوريا،[637] إلا أن عملية البيع فشلت، بسبب تحذير شكري العسلي للبرلمان العثماني من الخطر الصهيوني على الإمبراطورية العثمانية.

ولقد كتب شكري العسلي قائلا: إن الجمعيات الصهيونية اليهودية ماضون في شراء أراضي فلسطين ويشترطون البيع بالفضة، ويكتبون العقود، وقد استطاعوا أن يستولوا على ثلاثة أرباع قضاء طبريا، ونصف قضاء صفد، وأكثر من نصف قضاء يافا والقدس، والقسم المهم من حيفا وبعض قراها، ويسعون للدخول إلى قضاء الناصرة، ليستولوا على سهل مرج بني عامر الذي يشقه

---

630 نعمان عاطف عمرو. **مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام 1920.** ص19
631 المصدر السابق، ص16
632 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص190
633 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص16
634 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص190
635 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص16
636 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص114
637 نعمان عاطف عمرو. **مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام 1920.** ص19

الخط الحجازي من الغرب إلى الشرق. كما اشتروا واستولوا على الكثير من الأراضي والقرى، وهم لا يختلطون بالعثمانيين ولا يشترون منهم شيئا، ولهم بنك انكلو فلسطين يقرضهم بفائدة لا تتجاوز الواحد في المائة في السنة، وقد جعلوا لكل قرية إدارة وفيها مدرسة ولكل قضاء مديرية ولكل جهة مدير عام،[638] ويتمسكون بقوميتهم الأجنبية، ويخضعون للمحاكم اليهودية في كل الأمور، ولهم علم ذو اللونين الأبيض والأزرق،[639] ويرفعونه في أعيادهم واجتماعاتهم مكان العلم العثماني وينشدون النشيد الصهيوني، ويستخدمون أسلحتهم الخاصة.[640] ولهم عملة نقدية وبريد وطوابع خاصة ولا يحترمون سلطة الدولة العثمانية، ولا اللغة والمدارس العثمانية كذلك.[641] وغير ذلك مما يدل على أنهم يقومون بتأسيس دولتهم السياسية.[642]

وبعد هيمنة الاتحاديين على السلطة 1908، وخلع السلطان عبد الحميد سنة 1909، ازداد النشاط اليهودي في شراء الأراضي في منطقة حيفا ويافا ومرج بن عامر قرب الناصرة. وازدادت حوادث الصدامات بين الفلاحين في قرية العفولة وبين اليهود الذين جاءوا للاستيلاء على الأراضي بعد شرائها،[643] وكان البائع من عائلة سرسق البيروتية، فقد باع 9515 دونما لشركات الاستيطان الصهيوني في منطقة العفولة التي ازدادت أهميتها بعد وصول فرع سكة الحديد إليها. ورغم إتمام صفقة البيع وتسجيلها رسميا[644] اعترض شكري العسلي الدمشقي قائمقام الناصرة على بيع مرج ابن عامر؛ لأن القرى التي كان يسكنها فلاحون متصرفون في أراضي هذا المرج تصرف زراعة واستغلال منذ مئات السنين، وقال إنهم أصبحوا أصحاب حق مكتسب، ولا يجوز إخراجهم منها. ووقع خلاف بين شكري العسلي ووالي بيروت الذي كان في صف المستوطنين ووجوب تنفيذ البيع وتسليم الأرض لليهود، وشكا الوالي لوزارة الداخلية فعزلت شكري العسلي[645] في كانون الثاني/يناير 1911 من منصبه، كما ذكرنا، الأمر الذي فتح المجال أمام إقامة مستعمرة مرحافيا في المنطقة.

---

638 محمد كرد علي. خطط الشام.ج3. دمشق: مطبعة الترقي، 1935. ص132
639 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص135
640 محمد كرد علي. خطط الشام.ج3. دمشق: مطبعة الترقي، 1935. ص132
641 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص135
642 محمد كرد علي. خطط الشام.ج3. دمشق: مطبعة الترقي، 1935. ص133
643 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص189- 190
644 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص256
645 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص190

إذن ازدادت حالات إبعاد الفلاحين العرب عن بيوتهم وأراضيهم، فازداد التذمر من الاتحاديين وسياساتهم، وقد توترت العلاقات بين العرب واليهود بسرعة، بعكس ما كانت عليه في الأجيال السابقة. فمنذ استيلاء جمعية الاتحاد والترقي على الحكم سنة 1908، وخلع السلطان عبد الحميد عام 1909، والصراعات بشأن الأراضي مستمرة ولم تنته بسلام.

أما شكري العسلي الذي بذل جهدا كبيرا لإبطال صفقة الأراضي في منطقته[646] فقد ترشح بعد عزله من قائمقامية الناصرة للانتخابات عن دمشق[647] لدورة برلمان سنة 1911، وأعلن في برنامجه الانتخابي أنه سوف يحارب الصهيونية حتى آخر قطرة من دمه. وبعد انتخابه، قام بدور قيادي في البرلمان العثماني مدافعا عن حقوق العرب،[648] وأثار هو ونائب القدس روحي الخالدي وغيرهم من نواب فلسطين وبلاد العرب مسألة النشاط والمطامع اليهودية في فلسطين، وانتقدوا تساهل رجال الاتحاديين.[649] ولقد اشترك المسلمون والمسيحيون في محاربة الصهيونية والدفاع عن الأراضي، المسلمون كنواب في البرلمان، والمسيحيون في اليقظة الثقافة عامة وفي الصحافة خاصة.[650]

أما في مجال الصحافة، فقد شغلت أهالي فلسطين مسألتان هما الهجرة والاستيطان الصهيونيتان لذا أولتهما الصحافة الفلسطينية والعربية أهمية خاصة.[651] فقد أصدر نجيب نصار جريدة الكرمل في حيفا، وأصدر عيسى العيسى جريدة فلسطين في يافا.[652] ومنذ سنة 1909، كان نجيب نصار، أبرز محاربي المشروع الصهيوني على صفحات جريدة الكرمل، وفي سنة 1911، انضم إليه الأخوان عيسى العيسى على صفحات جريدة فلسطين.[653] فكانت الصحيفتان تنشران كل ما يقوم به اليهود من نشاطات استيطانية وهجرة ومن خطورة ذلك، وتنبهان وتحذران وتطالبان الدولة العثمانية أن تعيد الحظر السابق.[654]

ومنذ سنة 1909، جعل نجيب نصار موضوع الصهيونية ومحاربة بيع الأراضي لجمعيات الاستيطان محورا مركزيا لاهتماماته السياسية على صفحات جريدته الكرمل، ومنذ سنة 1911،

---

646 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص257
647 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص190
648 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص257
649 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص190
650 عادل مناع. **فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص254
651 المصدر السابق، 250- 251
652 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص189
653 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص251
654 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص189

أدى الأخوان العيسى دورا مشابها على صفحات جريدة فلسطين.[655] كما دأبت الصحافة على ترجمة ونشر أقوال وبرامج الزعماء الصهيونيين من أجل تعبئة الشارع العربي[656] وقد نشرت الكرمل ترجمة كتاب (الدولة اليهودية) لهرتزل وقرارات مؤتمر بال وتصريحات وأقوال زعماء اليهود، التي كانت تكشف عن مطامع اليهود ونشاطهم في سبيل ذلك في فلسطين.[657] كما نشرت جريدة فلسطين ترجمة للبرنامج الصهيوني السياسي الذي وضعه زعيم العماليين أوشتسكين، وفيه: على الأمة التي تعمل على إنشاء كيان سياسي مستقل حر، أن تمتلك هذه البلاد اقتصاديا وعقليا، بأن تكون كل قوى تلك البلاد في يد أفرادها. وعليها أن تعمل على أن يكون الرأي العام الأجنبي في صفها.[658]

كما وجهت صحيفة الكرمل دعوة عامة لمواجهة المخطط الصهيوني بكل الوسائل. وشيئا فشيئا تبلور الوعي القومي العربي ضد الخطر الصهيوني، وقد اتضح هذا الاتجاه في مقالات محمد المحمصاني على صفحات (فتى العرب) حول المسألة الصهيونية، والذي اعتبرها مسألة حياة شعب وهلاك آخر، ويقول عن أسباب رفض العرب للصهيونية نرفضه لأنه غريب يريد طرد صاحب البيت والقضاء عليه وأن يحل مكانه.[659]

وهكذا نجد أن الصحافة كانت من أهم الوسائل التي عبرت عن الوعي القومي تجاه الصهيونية وسياساتها وأخطارها، حيث تصدرت جريدة الكرمل وفلسطين والفتى العربي والمفيد والمقتبس وغيرها من الصحف بحملات توعيه كبيرة ضد المشروع الصهيوني، وأسهبت في شرح أخطاره. وأدت دورا مهما في إيقاظ الرأي العام بخصوص مغزى تلك الأحداث وأبعادها على الفلسطينيين خاصة، وعلى الدولة العثمانية عامة.

وعندما شعر بعض النخب الفلسطينية بانشغال الإصلاحيين عن القضية الفلسطينية نتيجة للظروف التي تمر بها المنطقة، قام نجيب نصار بتوجيه دعوة إلى الفلسطينيين لعقد مؤتمر في

655 عادل مناع. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)**. ص254
656 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص18
657 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ص189
658 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص18
659 المصدر السابق،ص17

نابلس من أجل تكوين جمعية هدفها العمل على ترقية البلاد والمحافظة على أهلها، وأن تسعى لأن تكون قومية محترمة بذاتها، وقوتها درع لها.[660]

كان الواعون والمثقفون المطلعون مباشرة على مطامع اليهود ونشاطهم في القدس ويافا وحيفا يرسلون **برقيات الاحتجاج** إلى الآستانة، ويقومون بنشرها، كما ينشرون المقالات التحذيرية في صحيفتي الكرمل وفلسطين، وقد انتقلت هذه الطريقة إلى مدينة نابلس، فأصبحوا يرسلون الشكاوي والاحتجاجات والتحذيرات.

كما ثار العرب وخرجوا في **تظاهرات جماهيرية** حاشدة، واحتجوا وأقاموا ضجة كبيرة وعقدوا الاجتماعات الاحتجاجية في المدن الفلسطينية. ففي أواخر سنة 1911، عقد في مدينة نابلس، اجتماع احتجاجا على مشروع نجيب الأصفر.[661] كما انطلقت حركة احتجاج واسعة ضد الخطر الصهيوني بدأت من مدينة الناصرة ثم تحولت إلى احتجاجات اجتماعية.[662]

660 المصدر السابق، ص18

661 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)**. ص190- 191

662 نعمان عاطف عمرو.**مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920** . ص19

الاستنتاجات:

من خلال استعراض أحداث السنتين المفصليتان الانقلاب الدستوري 1908 والانقلاب المضاد وخلع السلطان عبد الحميد 1909، توصل البحث إلى جملة من النتائج منها:

أن الأحداث والظروف الداخلية والخارجية في الإمبراطورية العثمانية ما بين القيام بانقلاب 1908، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909، كانت متضاربة ومتناقضة جدا مع ما دعت إليه جمعية الاتحاد والترقي قبل استيلاءهم على الحكم حول المحافظة على استقلال ووحدة أملاك الإمبراطورية العثمانية، وكأن جمعية الاتحاد والترقي وصلت إلى الحكم من اجل تقسيم الدولة العثمانية وليس من اجل المحافظة عليها والنهوض بها.

ففي عهد جمعية الاتحاد والترقي اضطرت الحكومة العثمانية إلى التنازل عن أراضٍ عثمانية أكثر من تلك التي تخلى عنها السلطان عبد الحميد طوال فترة حكمه، مما شكل ضربة قوية لمصداقية الاتحاديين، الذين كانوا قد أعلنوا أنهم جاءوا للحكم من أجل المحافظة على سلامة أراضي الإمبراطورية العثمانية، ووضع حد لضياعها وتمزقها. كما فشلوا في مواجهة الحركات الانفصالية والعدوان الأجنبي، وأظهروا عجزا كالعجز الذي كانت عليه حكومات عبد الحميد،[663] فكانت أولى ثمرات السنتين المفصليتين 1908- 1909، أن أعلنت بلغاريا بصورة رسمية استقلالها في تشرين الأول 1908 عن الإمبراطورية العثمانية، وذلك بعد مرور عدة أشهر على إعلان المشروطية. تلا ذلك إعلان النمسا إلحاق مقاطعتي البوسنة والهرسك في 9 تشرين الأول 1908، إلى بلادها بصورة نهائية. وأعلنت جزيرة كريت التحاقها باليونان بتاريخ 10 تشرين الأول من العام نفسه. لتشكل ضربة جديدة على مكانة المشروطية.[664] هذه الأحداث كانت مخيبة لآمال العثمانيين وللوعود التي أطلقها الاتحاديون في المحافظة على أراضي الإمبراطورية، مما شكل ضربة ونكسة كبيرة لمصداقية الاتحاديين، وإخفاقا هائلا لهم أمام الرأي العام العثماني. مما أدى إلى نفور الشعب العثماني منهم وحملوهم مسؤولية ما حدث في الأقاليم العثمانية وعجزهم عن إنقاذها من الأخطار الخارجية المحدقة بها.

من جانب أخر، جاء الاتحاديون إلى مركز السلطة العثمانية عام 1908، تحت شعارات ووعود براقة، فقد أعلنوا أنهم يسعون إلى توحيد جميع القوميات والعناصر، لتؤلف بينها في جو من

663 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** ص327
664 ساطع الحصري. **البلاد العربية والدولة العثمانية**. ص113- 116

الحرية والمساواة والتآخي، بمعنى أنها ادعت أن هذه السياسة سوف تضع حدا للانتفاضات القومية والمشكلات الداخلية التي تستنزف طاقة الإمبراطورية العثمانية، كما أنها سوف تنهي تدخل الدول الأوروبية في شؤون الإمبراطورية العثمانية مما سيؤدي إلى تماسك أجزاء الدولة العثمانية.[665] لكن ما حصل هو العكس تماما. فقد انحرفت جمعية الاتحاد والترقي كثيرا عن الأهداف التي أعلنتها والتي جاءت من أجلها، ذلك الانحراف الذي أعاد الدولة إلى الوراء، وصار شائعا أن الانقلاب جاء ليعيد الاستبداد الذي كان سائدا في السابق، ونتج عن هذا تعميق للوعي القومي بين الشعوب غير التركية. كما كان فاتحة لصراعات داخلية وهزائم عسكرية ،وتبلور نزعات قومية أبرزها العربية، وتفاقم التدخلات الأجنبية في الأقاليم العثمانية.

كما توصل البحث إلى أن جمعية الاتحاد والترقي هي من دبرت فتنة 13 نيسان 1909، وحملت مسؤولية هذه الفتنة للسلطان عبد الحميد الثاني، وذلك من أجل تحقيق هدفين: الأول، إنهاء حكم السلطان عبد الحميد، والثاني تصفية جميع العناصر الموالية له والمعارضين لهم.

كما أكدت الأحداث أن يهود الدونمة واليهود كان لهم دور مؤثر في الانقلاب الدستوري 1908، وفي فتنة 13 نيسان، وفي التخطيط لخلع السلطان عبد الحميد 1909، وذلك بمساندة ودعم من الدول الأوروبية خصوصا بريطانيا، فكان الاتحاديون العقل المدبر والدول الأوروبية الممول والحامي لهم. لقد كان إسقاط السلطان وخلعه هي الخطوة الأولى الحقيقية لتفتيت الإمبراطورية، بل سقطت الخلافة الإسلامية فعليا بعزل السلطان عبد الحميد. وهذا ما شعرت به الدول الأوروبية والبلقان، كما شعر به الأرمن واليهود الذين لا دولة لهم، شعروا بأنهم قد اقتربوا كثيرا من تحقيق أهدافهم.

وظهر عامل فاعل في السنتين المفصليتين 1908- 1909، في السياسة العثمانية، وهو بروز دور للضباط الكبار في الحياة السياسية في الإمبراطورية العثمانية، وفي مقدمتهم قائد جيش الحركة محمود شوكت باشا الذي أنهى الانقلاب المضاد 1909. فعلى الساحة السياسية جاء ظهور شخصيات عسكرية فعالة وذلك نتيجة التغيير الذي حصل في القوى السياسية الفاعلة خلال السنتين 1908- 1909، فقد كان السلطان محمد رشاد الذي يمثل رأس السلطنة ذا شخصية ضعيفة،[666]

[665] بشرى ناصر هاشم الساعدي. **الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج**. ص5

[666] عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص154

قليل العلم، لم يتعلم أي لغة أجنبية غربية، وقد اعترف أنه لم يقرأ الصحف منذ عشرين عاما.[667] وقد وصفه المترجم الثاني في السفارة البريطانية بالسلطان الصوري المسن بدون أية خبرة سياسية وبدون حضور وكان يظهر وكأن فمه قد كمم بشيء يمنعه من الكلام. كما أن الجمعية تراجع دورها لصالح ضباط الجيش، وفشلت في الحفاظ على مكانتها عقب الانقلاب، بالإضافة إلى أن العسكر تمكنوا من تقويض الحكومة التي تشكلت على أثر الانقلاب المضاد 1909، وذلك تحت شعار حماية الدستور والعمل على إرجاع الانضباط داخل الجيش والمحافظة على القانون.[668]

وفي الفترة الدستورية الثانية 1908، 1909، أصبح من المألوف الإشارة إلى العرب من مستشاري السلطان عبد الحميد ووصفهم بالقرود في صحافة المعارضة في اسطنبول، والإساءة للعرب عند الحديث عنهم. وبدأت تُسمع تعابير ازدرائية وأوصاف بذيئة تحقيرية مواجهة للعرب، مثل: بيس عرب (العرب القذرون)، جينغينيه عرب (عرب نور)، واكليسز عرب (عرب أغبياء).[669] وكان يقع بين رجال العرب وشبابهم وبين رجال الترك وشبابهم مشادات ومهاترات بسبب ذلك.[670] إن نقط التحول في العلاقات العربية مع الدولة العثمانية هذه، بالإضافة إلى ظهور التوتر العرقي الذي ظهر في سنة 1909، بعد محاولة الانقلاب المضاد. أديا إلى إصرار العديد من الأعضاء الناشطين في اسطنبول في الجمعيات الأدبية العربية على المطالبة بحكم ذاتي، ومن ثم الاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية.[671]

وإن أحداث السنتين، الانقلاب الدستوري 1908، والانقلاب المضاد وخلع السلطان عبد الحميد 1909، جعلت العرب والقوميات الأخرى تعلق على انقلابي الاتحاديين في 1908-1909، الآمال الكبيرة، وظنوا بأن عهد الأخوة العربية- التركية قد بدأ فعلا، وأن الحكم بمبدأ اللامركزية سيطبق في الإمبراطورية العثمانية، إلا أن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي عندما أصبحوا أصحاب القرار في الحكم ظهروا على حقيقتهم المتعطشة للحكم والسلطة،[672] وأخذت روح العنصرية التركية تشتد في شباب الاتحاديين والترك وأصبحوا يتصرفون وكأنهم أصحاب الدولة

---

667 محمد كرد علي. **خطط الشام.ج3**. ص125

668 عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص154

669 سليم تماري. **الرؤية العثمانية لفلسطين: الترسيم العثماني الإثنوغرافي لفلسطين وسورية.** مقالة في كتاب القدس تاريخ المستقبل. تحرير عصام نصار. رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2010. ص44- 45

670 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)**. ص181

671 سليم تماري. **الرؤية العثمانية لفلسطين: الترسيم العثماني الاثنوغرافي لفلسطين وسورية.** ص44- 45

672 كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908. مجلة كلية التربية الأساسية**. ص156

والسلطان وانه يحق لهم في أن يكونوا متفوقين في المناصب والمظاهر على العناصر الأخرى ومن ضمنها العرب.[673] فضحوا بالمؤسسات الدستورية من أجل المحافظة على مراكزهم، واستخدموا القتل والاغتيال والقمع وتكميم الأفواه والصحافة بحجة حماية الحرية والدستور، فأصبح حكمهم استبدادياً. ودفعت هذه السياسة العرب والأرمن وغيرهم إلى التحرر والثورة وتأليف وتأسيس الأندية والجمعيات في اسطنبول وفي الأقاليم العربية.[674]

كما أن تغيير النظام السياسي في الإمبراطورية العثمانية عام 1908 و 1909، قدم آمالاً جديدة وكبيرة للحركة الصهيونية، فقبل سقوط السلطان عبد الحميد، كانت الحركة قد أصابها اليأس من تحقيق برنامجها؛ وذلك نتيجة للمواقف الصلبة التي وقفها السلطان عبد الحميد، لدرجة أن هرتزل حول نظره عن فلسطين.[675]

وأذل الاتحاديون الأتراك هذا الملك العظيم في بداية حكمهم 1908- 1909، وتدخلوا في السياسة صحيح أن جمعية الاتحاديين في البداية، اختاروا، أن يكونوا بعيدين عن الحكم، إلا أنهم كانوا الآمر الناهي في الدولة العثمانية، وبسطوا سيطرتهم على السلطة التنفيذية، وأصبحوا حكومة في داخل الحكومة، وصاروا خطراً على الدستور نفسه. بل خطرا على الإمبراطورية كلها،[676] وجنوا جنوناً عظيماً بسياسة تتريك العناصر،[677] وكانت سياسة تتريك الأقاليم العثمانية، ومنها العربية، التي تبنتها جمعية الاتحاد والترقي بعد وصولهم إلى السلطة كانت سياسة تتريك عنصرية عملت على صبغ المكونات القومية والتاريخية لشعوب الدولة العثمانية وذلك بهدف جعلهم أتراكا،[678] وإحياء العصبية الطورانية، والكيد للإسلام، ومساندة الصهيونية لتحقيق أطماعها في فلسطين، عوامل أساسية في تحويل اتجاه القضية العربية على عهد الأتراك الاتحاديين نحو الاستقلال، وساعد على ذلك الهزات العنيفة التي أصابت الدولة العثمانية في ذلك العهد.[679]

---

673 محمد عزة دروزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)**. ص181

674 كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. **مجلة كلية التربية الأساسية**. ص156

675 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص132

676 محمد كرد علي. **خطط الشام.ج3**. ص154

677 المصدر السابق، ص 158

678 سيار الجميل. **العرب والاتراك الانبعاث والتحديث من العثمنه الى العلمنه**. ص117

679 محمد الخير عبد القادر. **نكبة الامة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما 1875- 1925** . ص83

لقد كانت سياسة الاتحاديين الأتراك تقوم على الإجرام[680] وإسكات كل الأصوات المعارضة، لهم بطرق وأساليب لا تختلف كثيراً عن أساليب السلطان عبد الحميد،[681] بل أكثر سوءاً وأشد قسوة، ولقد ارتكبوا كل أنواع المظالم التي فاقت كل ما كان يمكن أن يوجه إلى العهد الحميدي من تهم.[682] على الرغم من أن الحكم حينئذ كان حكما دستوريا.

كذلك كانت جماعة الاتحاديين تفكر بالانتقام من المعارضين، سواء كانوا أتراكا أو عربا أو أرمن، وتعاقب كل من يرفعون أصواتهم مطالبين بحقوق أمتهم، وتعتبروهم خائنين للإمبراطورية.[683] وما هم على الأغلب إلا مخالفون، فالمعارضة والمخالفة طبيعية في كل حكومة دستورية.

كما أصبح في زمن حكم الاتحاديين 1908- 1909، نصب المشانق وأحكام الإعدامات وبأعداد كبيرة للمعارضين سياسة شائعة وعادية،[684] فأصدروا أحكاما بالإعدام ونفذوها بشكل علني، وفي الساحات العامة أمام الناس، بطريقة لم يسبق لها مثيل ولا حتى في عهد غريمهم السلطان المستبد الأحمر- حسب وصفهم-[685] الذي كان يفضل أن يقوم بنفي المعارضين إلى الأقاليم البعيدة في الإمبراطورية العثمانية، دون أن يمس روحهم بأذى.[686] كما منعوا جميع الصحف التي تناوئهم والتي تتجرأ على انتقادهم، كما قتلوا الصحفيين المعارضين لهم.[687]

وعندما وصل الاتحاديون إلى الحكم عقب الانقلاب الدستوري 1908، أعادوا الحياة العملية للشريف حسين بن علي أميرا على مكة، -والذي كان قد استدعاه السلطان عبد الحميد إلى الإقامة في اسطنبول- فما كان منه إلا أن انقلب عليهم ليصبح قائدا لثورة عربية ضد الأتراك.[688]

---

680 المصدر السابق، ص209

681 مواهب معروف سالم الجبوري. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. ص63

682 محمد الخير عبد القادر. **نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما 1875- 1925** . ص209

683 محمد كرد علي. خطط الشام.ج3. دمشق: مطبعة الترقي، 1935. ص137

684 كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. **مجلة كلية التربية الأساسية**. ص156

685 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (اواخر القرن التاسع عشر - 1908)**. ص346

686 كريم طلال مسير الركابي. **ثورة الاتحاديين في تركيا 1908**. **مجلة كلية التربية الأساسية**. ص156

687 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (اواخر القرن التاسع عشر - 1908)**. ص346

688 حسن قايالي. **الحركة القومية العربية بعيون عثمانية**. ترجمة: فاضل جكتر، واعداد: زياده منى، دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2003. ص213

وبعد ظهور وتسلم الحكم عقب الانقلاب الدستوري 1908 وخلع السلطان عبد الحميد 1909، تسلمت صفوة جديدة، شابة متحمسة مقاليد الأمور، واختلفت عن القديمة جملة وتفصيلا، وابتعدت كل البعد عن الأرستقراطية القديمة، إذ امتدت جذورها الاجتماعية إلى الطبقة الوسطى، إلا أن خبرتها كانت محدودة، وفتحت الطريق أمام تغيرات كثيرة. كان معظمها غير صحيح وغير صائب.[689] وانتهى الانقلاب الذي كان يهدف إلى جعل تركيا دولة دستورية بجعل تركيا حكومة مطلقة رائدها الاستبداد والظلم، وغاية أفرادها الأولى السلطة والكسب.[690]

لقد ذهب الاستبداد، لكن لم تعقبه ديمقراطية واستبدل باستبداد. ونقل الانقلاب الحكم من أيدي السلطان إلى أيدي مجلس الوزارة، الذي يستمد سلطته من جمعية الاتحاديين، أي أن الجمعية هي الحاكم الحقيقي للإمبراطورية العثمانية. ولكن حكمها لم يكن مرغوباً فيه؛ لأنه كان متناقضا مع المؤسسات الحرة والتمثيلية. وبعبارة أخرى إن انتصار الجمعية بتوجيهها ضربة للاستبداد قد وجهت ضربة قاسية لمفهوم الدستور أيضا. مما حدا بالسلطان عبد الحميد في مذكراته إلى التساؤل:"ماذا حدث بعد إعلان المشروطية؟ هل انخفضت ديون الدولة؟ ... هل أصبحت القوانين الآن أكثر تعقلا ومنطقا؟ هل ازدادت الحقوق الشخصية عما قبل وأصبح الأهالي الآن أكثر رفاهية وتناقصت الوفيات وزادت المواليد؟ هل أصبح الرأي العام العالمي الآن بجانبنا أكثر من ذي قبل؟"[691] وتهكم وقال:"الذين تملكوا زمام الحكم من بعدي؛ أزالوا الخلاف بين العناصر المعادية لنا، وأوجدوا الشقاق بين العناصر التي تقف بجوارنا وتؤيدنا**!!!**".[692]

لم تكن جمعية الاتحاديين نفسها وفي جوهرها حركة تقدمية، على الرغم من انقلابها 1908، على السلطان عبد الحميد الثاني وإنهاء حكمه 1909، وعلى الرغم من أن شعارات الانقلاب كانت "حرية، مساواة، إخاء، عدالة" وعلى الرغم من أن الحكام الجدد أعلنوا "المساواة بين جميع العثمانيين بغض النظر عن العرق أو الدين"، لكن في الحقيقة إن أغلب هذه الوعود لم تنفذ أو تطبق. لقد توقف زمن الحرية والاجتماع وتشكيل الأحزاب، وحرية الصحافة رسمياً قبل فترة من دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب العظمى.[693]

---

689 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية فى جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية** (**أواخر القرن التاسع عشر - 1908**). ص344

690 محمد كرد علي. خطط الشام.ج3. ص134

691 محمد حرب. **مذكرات السلطان عبد الحميد**. ص197

692 المصدر السابق، ص195

693 عصام نصار. **القدس تحت حكم تركيا الفتاة**. ص8-9

لقد اعتقد أنصار ومؤيدو الحرية والدستور من ليبراليي تلك الفترة أن عهداً جديداً قد بدأ، وأن آثار هذا الانقلاب 1908، لن تقل عن آثار ثورة عام 1789، الفرنسية الكبرى، والتي تبنوا شعاراتها في الحرية والمساواة والإخاء. وأن الإمبراطورية ستدخل في نهضة جديدة، وأن الأخوة ستسود بين الترك والعرب والأكراد والألبان والأرمن وغيرها من الأمم والعناصر العثمانية.[694] إلا أن الآمال خابت.

وكان من نتيجة الانقلاب الدستوري 1908، أن كرَّس مبادئ الدستور والعمل السياسي الدستوري والثقافة الدستورية والتمثيل السياسي والحرية الفكرية، التي[695] استمرت وبقيت قائمة لدى النخب العربية، التي ورثت عن العمل الدستوري العثماني عناصر تفكير وأنماط ممارسته في العمل السياسي. وقد ظهر بشكل جلي وواضح في إنجازات ما يمكن تسميته بـ (دساتير العشرينات) في القرن العشرين في كل من سورية ولبنان والأردن ملكيات وجمهوريات دستورية.

كما أن ما أنجز خلال السنتين المفصليتين 1908- 1909، –بما فيها الدستور عام 1876 وعام 1908- لا بد من اعتباره في مسار التاريخ العربي والإسلامي إنجازا تأسيسيا لفكر دستوري حديث، أرسى مفاهيم جديدة في الثقافة السياسية العربية: مفاهيم الدولة/والأمة، والمواطن، والتمثيل، والاقتراع والانتخاب، والحريات المدنية وفصل السلطات والرقابة.[696]

كما كان للانقلاب الاتحاديين ونهجهم السياسي وتوجهاتهم المركزية في الحكم، دور في إعادة توزيع وتنظيم أقاليم البلقان والأقاليم العربية، وبسببها فإن المناطق من البصرة إلى ألبانيا صارت على معرفة بالانتخابات وفكرة الحقوق الدستورية والأحزاب السياسية، والنوادي الوطنية. كما أن تقدم السياسات الحزبية في الإمبراطورية العثمانية جعل الأحزاب السياسية، والنوادي واللجان، أصحاب الدور الرئيسي في السياسات المحلية والقومية.[697]

كما كان من نتيجة الانقلابين الدور الأكبر لجمعية الاتحاديين في تكوين وبروز النخبة الجديدة، وهي تسلّم الحكم حزب سياسي منظم لأول مرة في تاريخ الإمبراطورية العثمانية، وبالمهمة التي فرضتها الجمعية على نفسها في إنقاذ البلاد اتخذت دور السيد الموجه، فلم ترغب في

---

694 محمد روحي الخالدي. **أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة**. ص6- 7

695 المصدر السابق، ص8

696 وجيه كوثراني. **التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصا وتطبيقا ومفهوما**. ص23- 24

697 نادية عبد ياسين. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (اواخر القرن التاسع عشر - 1908)**. ص346

وجود ممثلين سياسيين آخرين يمكن لهم أن ينتقدوا سياستها أو حتى يستفسروا عنها، وإن جمعية الاتحاديين هي جمعية عنصرية دكتاتورية، لم تكن مؤمنة بالقيم الدستورية أو البرلمانية أو حكم الشعب لنفسه. وعند النظر إلى الأهداف التي تتبعها الاتحاديون والأفكار التي اعتنقوها قبل سنة 1908، وإلى مطبوعات الاتحاديين وأوراقهم الخاصة، تكشف بوضوح "أنهم رأوا أنفسهم فوق كل شيء، وهم فقط المخلصون للدولة".[698]

لقد كان نظام الحزب الواحد لجمعية الاتحاد والترقي الموجود في البرلمان الذي لا وجود للمعارضة فيه، بالإضافة إلى السيطرة على الحكومة والجيش والصحافة، كان هذا تجسيدا لدكتاتورية حقيقية. بمعنى أدق "دكتاتورية زمرة"،[699] إذ كان الاتحاديون لا يؤمنون بحكم الشعب لنفسه.

ولقد أظهر الاتحاديون إصرارا واضحا وتماسكا قويا، لا على الاستمرار فحسب، بل والانفراد بالسلطة أيضا. متسلحين بكل الاعتداد بالنفس والزهو الذي أصابهم إثر نجاحهم السريع، والسهل في القضاء على الاستبداد الحميدي وإن الاتحاديين لم يخفوا نيتهم في السيطرة الكاملة على مقاليد الحكم، ولم يسمحوا لأي نشاط سياسي خارج سيطرتهم، إلا بمجال ضيق، وبغرور المنتصر أعلنوا أن جمعيتهم "روح الدولة"، وأن أية محاولة لانتقادها أو معارضتها هو "مؤشر للجهل"، بل وخيانة للدولة. بل أكثر من هذا كثيرا ما يشيرون لجمعيتهم بـ "الجمعية المقدسة".(نادية346) لقد أداروا الحياة السياسية للإمبراطورية وفقا لأهوائهم. وعملوا على أن يكون الجيش داعما وسندا أساسيا لهم.

ولقد أخطأ معاصرو انقلاب 1908، ومن بعدهم معظم المؤرخين الذين كتبوا عن تلك المرحلة، وعَرّفوا الانقلاب على أنها حركة دستورية، وعّدوا جمعية الاتحاد والترقي طلاب دستور وعدل ومساواة وأخوة.[700]

وإن انحراف الاتحاديين بعد الإنقلاب الدستوري 1908- 1909، عن أهدافهم الأصلية أجبر جماعة من الأتراك والعرب من اسطنبول ودمشق لتشكيل الحزب الليبرالي، المعروف بحزب الحرية والإئتلاف.[701]

---

[698] المصدر السابق، ص344- 345
[699] المصدر السابق، ص330
[700] المصدر السابق، ص327- 328

وكان من نتيجة الانقلاب الدستوري 1908 والانقلاب المضاد 1909، وصول حكام عسكريين ميلهم الأساسي نحو العسكرية الألمانية، حيث كان معظمهم متأثرين بالمدرسة الحربية الألمانية، مما أزعج الحكومة البريطانية، وأدى إلى العودة بالعلاقات بين الطرفين إلى التوتر قبل الانقلاب الذي أطاح بحكم عبد الحميد في السنتين 1908- 1909، الأمر الذي جعل بريطانيا تستمر في السياسة الجديدة التي أخذت تنتهجها في سياستها تجاه الإمبراطورية العثمانية خلال حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ونعني تحول بريطانيا من سياسة المحافظة على أملاك الإمبراطورية العثمانية إلى العمل على تقسيم أملاكها وإزالتها من الوجود، وهذا ما قامت به، فقد أسهمت سياسة بريطانيا هذه في دخول الدولة العثمانية الحرب العظمى إلى جانب ألمانيا والنمسا، مما أدى إلى هزيمتها في الحرب وتقسيم أملاكها وإزالتها من الوجود.[702] لقد قامر الاتحاديون بالإمبراطورية العثمانية كأنها سلعة في السوق، فرهنوها في سوق السياسة الألمانية، فأضاعوها وخسروها وقضوا على تلك الإمبراطورية، فخسروا رأس المال، وبسقوطهم دب الفشل في الدولة العثمانية نفسها، وكيف لا يدب وقد خرجت رازحة بديونها ففقدت معظم أراضيها[703] وتأصلت العداوة بين العرب والترك، وما كانت العداوة في الحقيقة إلا بين دعاة الاتحاديين والمستنيرين من العرب،[704] فقضوا على الإمبراطورية، لذا لم تكن جمعية الاتحاد والترقي جمعية إنقاذ للإمبراطورية أبداً، وفي عام 1913، تحول الجمعية إلى حزب الاتحاد والترقي

وبعد الحرب العظمى، وقعت بلاد الشام والعراق (المشرق العربي) تحت حكم وسيطرة الدول الغربية، لتأسس فيه دول مجزأة قطرية على قاعدة توازن المصالح بين الدول الكبرى، وعلى قاعدة معطيات الحدود التي رسمتها بشكل مناطق النفوذ، مقسمة بين الدول الأوروبية. وكل ذلك نتج بسبب الأحداث السياسية التي حدثت خلال السنتين المفصليتين 1908- 1909.

لهذا تبقى أحداث السنتين المفصليتين من انقلاب 1908، والانقلاب المضاد وخلع السلطان عبد الحميد 1909، حدثا مفصلياً حقا، فقد سرعت أحداثها النزعات الانفصالية عن الإمبراطورية العثمانية، وزعت الأوهام والإحباطات المتلاحقة، ثم أتت الحرب العظمى فقضت على الإمبراطورية العثمانية جميعها، بهزيمتها في الحرب وانهيارها، واحتلال أملاكها وتقسيمها،

---

[701] Salim Tamari. **The Syrian – Palestinian Intelligentsia and the Ottoman Campaign Against Arab Separatism. P.6**

[702] عماد حمد الجبوري. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908– 1909**. ص172

[703] محمد كرد علي. **خطط الشام.ج3**. ص158

[704] المصدر السابق، ص140

ولم يبق منها إلا دولة تركيا اليوم، أما البلاد العربية فقد وقعت تحت الاحتلال والاستعمار الأجنبي والصهيوني معا.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

أولا: الصحف

1- مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، ص798، شعبان - 1326هـ / سبتمبر - 1908م

2- مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مج11، ص417، جمادى الآخر - 1326هـ /يوليو - 1908م

3- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج12، ص233، المحرم - 1327هـ / فبراير - 1909م.

4- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج12، ص233، المحرم - 1327هـ / فبراير - 1909م.

5- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص297، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

6- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص297، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

7- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م.

8- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276) ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

9- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276) ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

10- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276) ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

11- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

12- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

13- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909م

14- محمد رشيد رضا. مجلة المنار، مج 12، ص276، ربيع الآخر - 1327هـ / مايو - 1909

ثانيا: المذكرات والسير الذاتية

15- اوغلي، عائشة عثمان. **والدي السلطان عبد الحميد الثاني.** ترجمة: صالح سعداوي صالح.عمان: دار البشير، 1991.

16- حرب، محمد. **مذكرات السلطان عبد الحميد.**ط3. دمشق: دار القلم، 1991.

17- دروزة، محمد عزة. **مئة عام فلسطينية مذكرات وتسجيلات (1305- 1404 / 1887- 1984)** ج1. دمشق: الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، 1984.

18- السلطان عبد الحميد. **مذكراتي السياسية 1891 – 1908.** ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982.

19- طوران، مصطفى. **أسرار الانقلاب العثماني**. ترجمة: كمال خوجه. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1985.

رسائل الماجستير

20- بعيو، غانية. **التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839- 1876.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر: جامعة الجزائر، 2009.

21- الجبوري، عماد حمد صالح عبد الحليم. **موقف بريطانيا من انقلاب الاتحاديين في الدولة العثمانية 1908 – 1909.** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، 2006.

22- الجبوري، مواهب معروف سالم. **جمال باشا حياته ودوره السياسي**. رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد: كلية التربية للبنات،جامعة بغداد،2004.

23- عبد ياسين، نادية. **الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر - 1908).** أطروحة دكتوراه، كلية الآداب. جامعة بغداد، بغداد: 2006.

المراجع العربية:

24- انطونيوس، جورج. **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية.** ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس. بيروت: دار العلم للملايين. ط 8، 1987.

25- اوزتونا، يلماز. **تاريخ الدولة العثمانية.** ترجمة: عدنان محمود سلمان: مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري.المجلد الثاني، اسطنبول: مؤسسة فيصل للتمويل، 1990.

26- اوكى، ميم كامل. **السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية**. ترجمة: إسماعيل صادق. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1992.

27- برجاوي، سعيد احمد. **الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري.** بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1993.

28- برو، توفيق. **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 – 1914** القاهرة: دار الهنا للطباعة والنشر، 1960. للحصول على درجة الماجستير في التاريخ العربي الحديث.

29- البستاني، سليمان. **عبره وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده.** دراسة وتحقيق: خالد زيادة، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع،ط1، 2011.

30- بني المرجة، موفق. **صحوة الرجل المريض.** الكويت: مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1984.

31- تماري، سليم. **الرؤية العثمانية لفلسطين: الترسيم العثماني الاثنوغرافي لفلسطين وسورية** مقالة في كتاب القدس تاريخ المستقبل. تحرير عصام نصار. رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2010.

32- الجميل، سيار. **العرب والأتراك الانبعاث والتحديث من العثمنه إلى العلمنه**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.

33- الجوري، أمين. **القانون الأساسي**.بيروت:مطبعة الآداب، 1908.

34- الحصري، ساطع. **البلاد العربية والدولة العثمانية.** ط2. بيروت: دار العلم للملايين، 1960.

35- حلاق، حسان علي. **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 – 1909**. ط2 (د.م): دار الهدى، 1990.

36- الخالدي، محمد روحي. **"أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة".ط1.** تحقيق ودراسة: خالد زيادة، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2011.

37- دروزة، محمد عزة. **نشأة الحركة العربية الحديثة.** .بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1971.

38- رافق، عبد الكريم. **العرب والعثمانيون 1516- 1916.** دمشق: (د.ن)، 1974.

39- رامزور،ارنست أ. **تركيا الفتاة وثورة 1908.** ترجمة: صالح احمد العلي.تقدم ومراجعه: نقولا زيادة. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1960.

40- الزين، مصطفى. **ذئب الأناضول.** لندن- قبرص: رياض الريس للكتب والنشر،1991.

41- عبد القادر، محمد الخير. **نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاما 1875- 1925** . القاهرة: مكتبة وهبه، 1985.

42- العزاوي، قيس جواد.**الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**. بيروت: الدار العربية للعلوم، 2003.

43- علي، محمد كرد. **خطط الشام.ج3.** دمشق: مطبعة الترقي، 1935.

44- علي، محمد كرد. **خطط الشام.ج3**. دمشق: مكتبة النوري، 1983.

45- عمر، يوسف حسين. **اسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909**. اربد: دار المتنبي للنشر والتوزيع، 2005.

46- عمرو، نعمان عاطف. **"مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام1920 "** الخليل: جامعة القدس المفتوحة، 2008.

47- عوض، عبد العزيز محمد. **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864- 1914.** القاهرة: دار المعارف، 1969.

48- فليب، حتى. **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين.** ج2. ترجمة: كمال اليارجي. إشراف ومراجعة وتحرير جبرائيل جبور. بيروت: دار الثقافة، (د.ت)

49- قايالي، حسن. **الحركة القومية العربية بعيون عثمانية.** ترجمة: فاضل جكتر. إعداد ومراجعة: زياده منى. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2003.

50- لبيب، حسين. **تاريخ المسألة الشرقية.** مصر: مطبعة الهلال، 1921.

51- مصطفى، احمد عبد الرحيم. **في أصول التاريخ العثماني.**ط2. بيروت: دار الشرق، 1986.

52- مناع، عادل. **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 – 1918 (قراءة جديدة)** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.

53- نافع، بشير موسى. **الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية.** القاهرة: دار الشروق، 1999.

54- الوردي،علي. **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من عام(1876 – 1914)**. ج3. بغداد: المكتبة الوطنية، 1972.

55- ياغي، إسماعيل احمد. **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث.** ط2. (د.م): مكتبة العبيكان، 1998.

56- يحيى، جلال. **العالم العربي الحديث.** القاهرة: دار المعارف، 1985.

موسوعة:

57- خلف، تيسير (تحقيق)."وصف فلسطين أواخر أيام العثمانيين 1898 – 1916." **موسوعة رحلات العرب**

والمسلمين إلى فلسطين ج6. دمشق: دار كنعان، 2010 . "نجيب عازوري يصف فلسطين في بداية القرن العشرين".

58- رافق، عبد الكريم. "فلسطين في العهد العثماني"، **الموسوعة الفلسطينية.** القسم الثاني، مجلد 2، بيروت: 1990.

الدوريات:

59- الأفغاني، سعيد. "تاريخ مفترى للسلطان عبد الحميد". **مجلة البيان.** ع35. شباط 1969. ص45- 47

60- دوري، إسماعيل نوري."محمود شوكت خديعة جماعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني".**مجلة تكريت للعلوم الإنسانية.** المجلد (16)، العدد (3)، آذار (2009.ص.328- 374.

61- الركابي، كريم طلال مسير. "ثورة الاتحاديين في تركيا 1908"**. مجلة كلية التربية الاساسية،** العدد التاسع والأربعون سنة 2006. ص143-160.

62- الساعدي، بشرى ناصر هاشم. **"الفتنة الإرتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909 دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج".** بغداد: وزارة التعليم والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب قسم التاريخ، الإصدار 58، 2012: ص1- 25.

63- الصائغ، بان غانم احمد. "دور الحركات القومية في انهيار الدولة العثمانية الوطن العربي نموذجا". **مجلة التربية والعلم،** المجلد 13، العدد 12، سنة 2006. ص 1- 13

64- العلوي، محمد جمال الدين. "يهود الدونمة والانقلاب السياسي العثماني 1908". **العراقية المجلات الأكاديمية العلمية،** كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل. مركز الدراسات الإقليمية، 2011. عدد الصفحات 219 – 244.

65- كوثراني، وجيه. "التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصا وتطبيقا ومفهوما". الدوحة:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **مجلة تبين،** العدد 3 شتاء 2012.

66- نصار، عصام. "القدس تحت حكم تركيا الفتاة"**.** ترجمة: سميح حموده. **مجلة حوليات القدس،** مؤسسة الدراسات المقدسة، عدد 12، 2011. ص43- 59.

المراجع الأجنبية:

67- Abu- Manne, Butrus. **Arab- Ottomanists' Reactions To The Young Turk Revolution.** Article in Late Ottoman Palestine: The Period of Young Turk Ruler. Ben-Bassat, Yuval and Eyal Ginio. (London: Library of Ottoman Studied) , edited by Tauris Publishers, 2011. pp.145- 164.

68- Tamari, Salim. **The Syrian – Palestinian Intelligentsia and the Ottoman Campaign Against Arab Separatism.** Paper for discussion at the IPS seminar February 28 Friday 2014.pp.1- 20.

الملاحق:

(ملحق رقم 1)

انقلاب جمعية الاتحاد والترقي

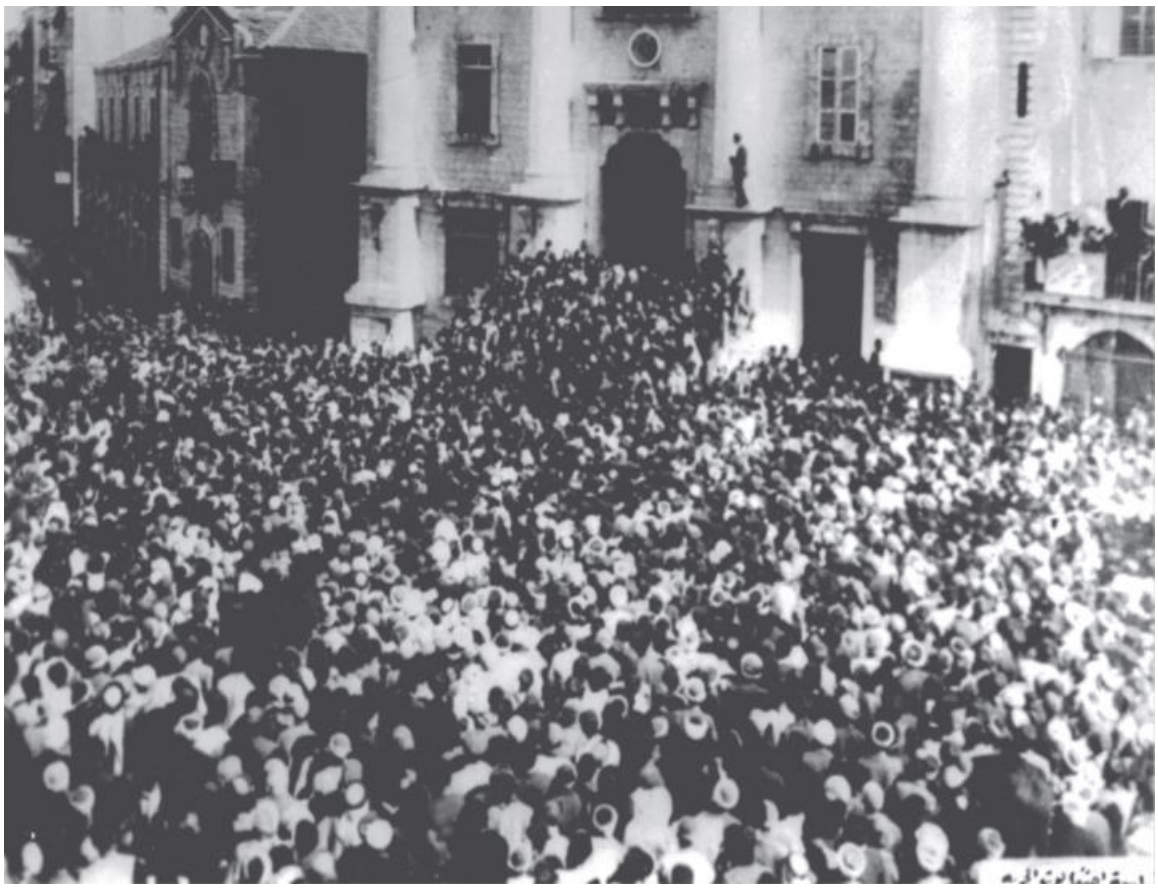

السراي الكبير وفيه مكاتب الإدارة المحلية، يافا، تموز/ يوليو 1908: حشد كبير من أبناء فلسطين يفد للاحتفال بالانقلاب 1908، التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي لحمل السلطان عبد الحميد الثاني على إعادة دستور 1876، وإطلاق الحريات، وإجراء انتخابات لبرلمان جديد. أطلق العرب على هذا الانقلاب اسم "الحرية"، واشتركوا فيها مع الأتراك، لكن العلاقات بين الطرفين تأزمت قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

من كتاب وليد الخالدي. قبل الشتات، التاريخ المصور للشعب الفلسطيني 1876- 1948. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1987.)

(ملحق رقم 2)

نص فتوى خلع السلطان عبد الحميد الثاني

الزمان/ السبت 21صفر - 1327هـ/ الثلاثاء 27 أبريل 1909م

المكان/ إستانبول.

المفتى/ السيد محمد ضياء الدين أفندي .

"إذا قام زيد (كناية عن السلطان عبد الحميد) الذي هو إمام المسلمين بإخفاء بعض المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية، ومنع وخرق الكتب المذكورة وإحراقها، والتبذير والإسراف من بيت المال بدون مسوغ شرعي، وقتل وحبس الرعية وتغريبهم بدون سبب شرعي، واعتياد المظالم كل يوم، ثم أقسم على الرجوع إلى الصلاح ولكنه حنث، وأصر على إحداث فتنة عظيمة بين المسلمين جميعًا وإيقاعهم في القتل، وورود أخبار متوالية من عدة نواحٍ من البلاد الإسلامية تعتبر زيدًا هذا مخلوعًا، وإن كان في بقائه ضرر محقق وفى خلعه صلاح مبين، فهل يجوز على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أم يقومون بخلعه ؟ الجواب نعم يجب خلعه".

السيد محمد ضياء الدين

صورة الفتوى

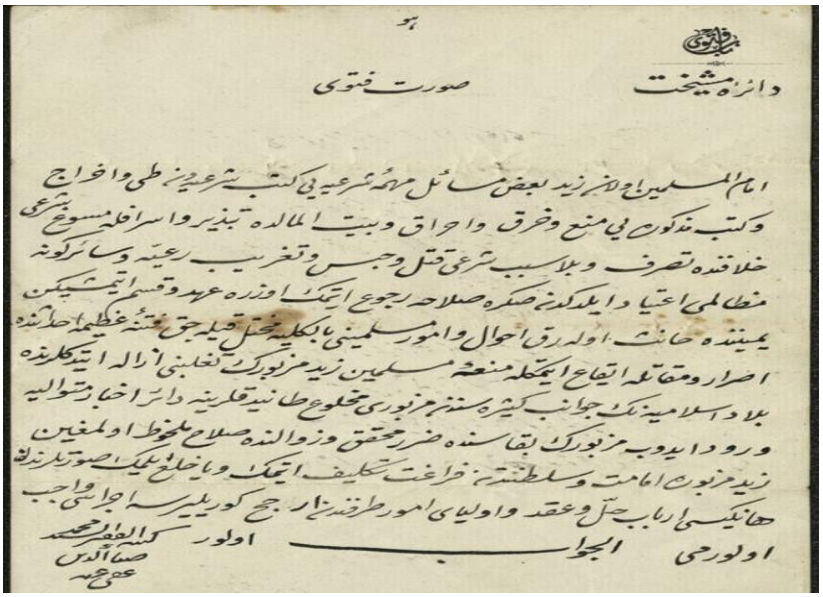

(ملحق رقم 3)

صورة للوفد الذي قام بإبلاغ خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني

بقرار خلعه عن عرش السلطنة والخلافة

الأعضاء: أسعد طوبطاني الألباني، عارف حكمت، عمانويل قره صو اليهودي، آرام الأرمني

(ملحق رقم 4)

رسالة السلطان عبد الحميد الثاني بعد خلعه إلى شيخه الشاذلي محمود أبي الشامات في دمشق

يؤكد فيها سبب خلعه عن الخلافة، انما لرفضه الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

"بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة، وإلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة. بعد تقديم احترامي أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ في 22 مايس من السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي: إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهارا، وأعرض أنني مازلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني _ بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم _ اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة الاسلامية. إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة -فلسطين، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيرًا وعدوا بتقديم (150) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي: (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا - فضلا عن (150) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبًا- فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والمحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضا). وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير.

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين. وقد كان بعد ذلك ما كان، ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختم رسالتي هذه.

ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي. سلامي على جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم التحية، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن نحيط سماحتكم علما، ونحيط جماعتكم بذلك علما أيضا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في 22 أيلول 1329

خادم المسلمين
عبد الحميد بن عبد المجيد"

(ملحق رقم 5)

وثيقة تاريخية للسلطان عبد الحميد الثاني

هذه الوثيقة نشرها الأستاذ سعيد الأفغاني في مجلة العربي الكويتية في عددها الصادر في شوال 1392هـ الموافق كانون أول/ ديسمبر 1972م، ضمن مقالة بعنوان (سبب **خلع السلطان عبد الحميد**)، أما الترجمة العربية للرسالة فقد قام بها الشيخ أحمد القاسمي الدمشقي المدير العام للأوقاف في دمشق سنة 1957م.